

الفطرية

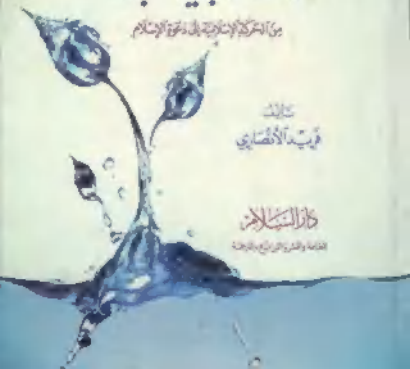
بعثة التجديد المقبلة

من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

مؤيد الأنصاري

دار النشلال

القاهرة والشرقية والبريد والبريد



الفطرية

بعثة التجديد المقبلة

مِنَ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ

تأليف

فريد الأنصاري

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

حَقَاقَةُ حَقُوقِ الطَّبِيعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّرْجُمَةِ مَحْمُوظَةٌ

لِلنَّاسِ

دَارُ السَّلَامِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ

لصاحبها

عبد الفادر محمود البكار

الطَّبعة الثَّانية

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

الأنصاري ، فريد .

القطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى
دعوة الإسلام / تأليف : فريد الأنصاري . - ط ١ -
القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
والترجمة ، [٢٠٠٩ م] .

٢٧٢ ص ؛ ٢٤ سم .

تدماك ٨ ٧٢١ ٣٤٢ ٩٧٧

١ - الإسلام - حركات الإحياء والإصلاح والتجديد .
أ - العنوان .

٢١٩

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت -
الويزي لامتداد شارع مكرم حيد - مدينة نصر

هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٧٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)

فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتب : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتب : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع
مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)

المكتب : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريدًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ القويبة - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ص.ب ٢٠٠

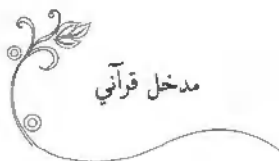
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت

على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة

أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ،

٢٠٠١م هي عشر الجائزة تروجا لقد

ثالث مضي في صناعة النشر



مدخل قرآني

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِمِثَرٍ عَلَيْهِمْ قَمَرٌ
يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ لَاصِقِينَ ﴿١﴾ فَأَفْضَ
وَجْهَكَ لِلَّذِينَ خَنَفُوا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا
يَبْدِلُ إِخْلَاقَ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِمْ وَأَنْفُؤُهُ وَأَقْسَمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكْفُرُوا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم: ٢٩ - ٣٢].

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



الموضوع	الصفحة
- الإهداء	٩
- خطبة الكتاب	١١
- تمهيد : في سبع مقدمات منهجية	١٩
المقدمة الأولى: بين يدي هذا الزمان	٢٠
المقدمة الثانية: بين يدي هذا المشروع، من « الحركة » إلى « الدعوة »	٢٥
المقدمة الثالثة: النص الشرعي بين « الحركة الإسلامية » وبين « دعوة الإسلام »	٣٣
المقدمة الرابعة: الإنسان هو القضية!	٣٨
المقدمة الخامسة: في ولاية الله، وتدير الشأن الدعوي!	٤٥
المقدمة السادسة: في السياسة والقصاص الإسلامي المعاصر	٥٢
المقدمة السابعة: في أقسام مشروع الفطرية	٥٦
الفصل الأول: الفطرية مدخل إلى تأسيس القضية	٦١
المبحث الأول: « بعثة التجديد » دراسة في المفهوم	٦٣
المبحث الثاني: الفطرية نقلة نوعية: من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام	٧٣
الفصل الثاني: في الفطرية: القضية والمفهوم	٨٥
المبحث الأول: الفطرية وقضية الدين	٨٧

١٠٥	الْبَحْثُ الثَّانِي: الفطرية دراسة في الأركان والمسالك
١١٦	المسالك التربوية للفطرية:
١١٦	- المسلك الأول: الدخول في مجالس القرآن
١١٨	- المسلك الثاني: بلاغ الرسالات
١١٩	- المسلك الثالث: رباط الفطرية
١٤٥	الفَصْلُ الثَّالِثُ : التجديد الفطري: معالمه المنهجية وقضاياها العمرانية
١٤٩	الْبَحْثُ الْأَوَّلُ : في المعالم المنهجية للتجديد الفطري
١٥٠	- المَعْلَمُ الْأَوَّل: التداول القرآني
١٥٢	- المَعْلَمُ الثَّانِي: الإمامة العلمية
١٥٥	- المَعْلَمُ الثَّالِث: سر الدعوة وبساطة المفاهيم
١٦٠	- المَعْلَمُ الرَّابِع: التنظيم الفطري
١٦٨	الْبَحْثُ الثَّانِي: التجديد الفطري وقضايا العمران البشري
١٦٩	- القضية الأولى: التوحيد
١٧٠	- القضية الثانية: العبادة. وأهم رموزها فريضة الصلاة
١٧١	- القضية الثالثة: المجتمع. ونواته الأولى إنما هي « الأسرة » بالمفهوم الإسلامي
١٧٤	- القضية الرابعة: علم الدين
١٧٥	- في تجديد المناهج العلمية:
١٧٦	- الأول: بحث الثقافة الفقهية التراثية؛ فهما وتداولاً
١٧٨	- الثاني: تجديد أصول الفقه بعمقه المقاصدي
١٨١	- الثالث: تجديد « أصول الفقه السياسي »
١٨٤	- خاتمة

١٨٧	- الملحق: برنامج الرابطة، « من الكلمات إلى الرسالات »
٢٦٢	البيان الجامع
٢٦٣	المصادر والمراجع
٢٦٧	نبذة عن المؤلف

* * *

إهداء

إلى محمّالِ رسالات القرآن..
 السالكين بها إلى الله، تعبداً وتلواً..
 المكابدين بها ويحزن هذا الزمان!
 إلى تلاميذ اللّاهي الحاضر..
 المرتلة عقولها ورجاءها يحارب الشجر!
 إلى ملأيع الخيول العبر..
 المورية يستأبكنها لهيب الفتح المين
 سلامنا وأماننا للعالمين
 إلى أمجالي الشّباب الصّادق المؤمنين..
 ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا
 إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]
 إليكم سادتي.. أفدي هذه اللّوعات..!

خادمكم المحب
 قريب الأنصاري



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى أتاه اليقين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَثْبُتَ أَوْ يُثْبِتَ عَلَيَّ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَفِتْنَةٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ بَاطِنَةٍ، مُقْبِلَةٍ أَوْ مُذِيرَةٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَطُعْيَانِ الْقَلَمِ، وَمِنْ زَلْجِ الْبَصِيرِ وَزَلَّةِ اللِّسَانِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَذْمَعُ، وَمِنْ هَوًى مُطَاعٍ وَشَحٍّ مُشْتَبَعٍ، وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ نَفْسِي وَهَوَايَا، وَمَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ يَزْوَايَا، نَجِّهَا اللَّهُمَّ مِنْ طُعْيَانِيهِ وَطُعْوَايَا، وَأَغْصِيهَا مِنْ فُجُورِهَا بِتَقْوَايَا، وَأَلْهِمَّهَا صِلَاحَهَا وَهَذَاهَا أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

ثم أما بعد: فإن قضية هذا الكتاب راجعة إلى إثبات أمرين اثنين:

أولهما: إثبات أن طبيعة التدافع الحضاري بين الأمة وخصومها قد دخل مرحلة أخرى من تاريخه، مرحلة ذات اختلاف كمي ونوعي؛ حيث صار الرهان الغربي اليوم قائماً على تدمير الفطرة الإنسانية في الأمة؛ بما يجعلها قابلة للابتلاع العولمي الجديد في دينها، وأخلاقها، وقيمها الحضارية، وفي سياستها، واقتصادها،

وعمرانها، وسائر نخط عيشها على الإجمال! بما نعتقد أنه لم يمر مثله في التاريخ بهذا العمق، وبهذه الإحاطة والشمول! نعم، قد مرت على الأمة فتن أنكى وأشد! لكن بأشكال وصور جزئية. فتن مريرة - والعياذ بالله - لكنها كانت تضرب من الأمة جانباً دون جانب، وتثير قضية دون أخرى، كما وقع مراراً في التاريخ، من الابتلاء بفتن الخوف والجوع، أما اليوم فالخطب أدهى! وإن ساد الأمن نسبياً كثيراً من البلاد الإسلامية - والأمن العام نعمة من الله عظيمة، لا يحقرها إلا جاهل بالله أولاً، ثم جاهل بالواقع وبالتاريخ - إلا أن الخطر الجديد مع ذلك من الناحية الحضارية أشد؛ لأنه يستهدف الوجود الشخصي للأمة بأكمله، ويحاول اجتثاثه من أصله! بوسائل أكثر تدميراً وأشد تغييراً، ربما كان الأسلوب العسكري منها أقل قوة وأهون تأثيراً.

نعم؛ لن يتمكن الغرب من ذلك أبداً! تلك عقيدتنا، وليست محن الأمة اليوم إلا بشائر في طريق العودة - إن شاء الله - إلى اعتلاء موقعها الذي جعلها الله فيه ابتداءً، موقع الشهادة على الناس! فإنما هي فتن التمحيص والابتلاء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَقًّا يَقُولُ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ﴿حَقًّا إِذَا سَأَلْتَسِ الرُّسُلَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنْهُمْ قَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ وَلَا يَرَى بَأْسًا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٥ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْمَقْدَرِ الَّذِي يَنْظُرُونَ عَلَى آيَاتِهِ كِبْرًا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨، ٩]. وبعض أهل العلم المعاصرين يرون أن الظهور على «الدين كله» إنما يكون بعالية الإسلام التي ستتحقق في هذا العصر.

ومن هنا تواترت البشارات عن رسول الله ﷺ بظهور هذا الدين على الأرض كلها، ويكفيها من ذلك هذا الخبر النبوي الصحيح المليح، الذي يرويه الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَنْتَفِخَ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ! وَلَا يَمُوتُكَ اللَّهُ نَيْتٌ عَذِرٌ وَلَا وَبَرٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» ^(١) ويبدو أن العالم مهياً

(١) رواه أحمد، والحاكم، وابن منده، عن تميم الداري مرفوعاً، وقال: صحيح الإسناد. كما رواه ابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والطبراني في الكبير، كلهم عن المقداد بن الأسود. وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في =

لهذا اليوم أكثر من أي وقت مضى، رغم ما يكتنف واقع المسلمين من محن وفقر، لكن عبارة (حتى) التي في آية البقرة لها حَقُّها؛ إذ لا يتحقق ما بعدها من فَرْجٍ إلا بما قبلها من ضيقٍ وحرجٍ، وهي في هذا العصر فتنة شديدة ومحنة مريرة، لها دورتها ولها إِبْائُها، ظلمات من الشبهات والشهوات ذات طبيعة أخرى، تعصف بفطرة الإنسان المسلم رَغْبًا وَرَهْبًا، بما هو فردٌ ووطنٌ وأمةٌ فتحطم دوحته وتمسخ هويته بشتى الوسائل الثقافية، والتعليمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإعلامية، والسياسية، والعسكرية... إلخ؛ لتعبط به في ذَرَكِ اليهيمَةِ الخرساء، عبدًا خسيسًا لطاغوتِ القَوْلَةِ. ظلماتٌ لن تخرج هذه الأمة منها بسهولة، وضحاياها - كما نرى اليوم - في العالم الإسلامي كثير.

وهامنا مدار المعركة، إن التحدي قائم اليوم على تحرير الإنسان المسلم - فردًا وأمةً - من أغلال الاسترقاق القَوْلِيِّ، عقيدةً وثقافةً واجتماعًا واقتصادًا. لقد فَقَدَ المسلم اليوم كثيرًا من خصائصه الفطرية - بما هو عبد خالص لله - وكاد يصير جزءًا من منظومة الآخر الحضارية، لكن على شكل ذرة نافهة تدور على الهامش بخادما غير مخدوم، ومستهلكًا غير منتج! ومفعولًا به غير فاعل! تمامًا على وزن هذا الحديث النبوي الرهيب، من قوله عليه الصلاة والسلام: « يُوشِكُ الْأُتَمُّ أَنْ تَدَاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعِهَا! » فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنَّكُمْ غُفَاءٌ كَغُفَاءِ الشَّيْلِ! وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ غَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ! » فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » ^(١). وتلك نتيجة طبيعية لمروقة عن مدار العبودية الخالصة لله، إلى شرك الأهواء والشهوات، التي ضلت به في ظلمات الوثنية العالمية الجديدة.

والأمر الثاني: أن العمل الإسلامي المعاصر لن يمكنه الاستجابة لهذا التحدي الحضاري الجديد، إلا بتجديد نفسه هو أولاً؛ وذلك بالرجوع إلى فطرته هو أيضًا في الدين والدعوة؛ لأن الفطرة المسلوقة أو المخرومة، لن تُعالج أو لن تُشرَّج إلا بمنهاج فطري.

= تعليقه على المسند، وقال: « إسناده صحيح على شرط مسلم ». كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة. (١) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن أبي شيبة، عن ثوبان مرفوعًا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وفي الجامع الصغير.

ولذلك كانت ورقات هذا البحث في تقرير « الفطرية »، بما هي منهاج في العمل الدعوي، قائم أساساً على أصول الفطرة، كما هي معروضة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما هي محاولة لاستعادة دور الوحي التربوي والاجتماعي في النفس وفي المجتمع، الوحي الذي قام منهاجه الشمولي على هدف أساس، ألا وهو: تخريج نموذج « عبد الله » الذي هو مناط كل شيء في الدين والدعوة على ما يقتضيه « مقام العبدية » الخالصة لله، من توحيد لرب العالمين في الاعتقاد والثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وفي سائر مجالات العمران البشري. بناءً على قوله تعالى:

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ فَأَوَّهَكَ لِلَّذِينَ خَبِثُوا فطرتَ اللَّهِ أَلَّنِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَئِثُ الْقَلِيلُ وَلَنَكْبِتُنَّ أَكْثَرَ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاقْفُوهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ جَزَاءً بِمَا لَدَيْهِمْ فَيَرْحَمُونَ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٩ - ٣٢].

فبعيداً عن خوارم الفطرة، من مضايق الجماعات والتنظيمات والأحزاب، وبعيداً عن حرج الأسماء والمصطلحات والألقاب، وما يترتب عن هذه وتلك من تصنيفات وتعميدات؛ نعود إلى النبع الأول في ديننا ودعوتنا، نعود إلى بساطة الإسلام، نعود إلى ربيع القرآن الصافي؛ لنسمي المعاني كما سماها الله، ونصف الحقائق كما وصفها رسول الله ﷺ، فاتحين قلوبنا لروح القرآن، عسى أن نتلقى حقائقه الإيمانية، وترقى بمنزله الربانية، في سبيل التخلق بمقام العبدية لله، فذلك هو باب النجاة الأخروي أولاً، وهو مَذَارُ الدين كل الدين، ثم هو مفتاح الخروج بالإنسان المسلم - فرداً وأمةً - من ظلمات التيه العولي المعاصر، وتلك هي راية التحرير الكلي من استرقاقه، من حملها واعتصم بها وَصَلْ وانتصر، ومن خانها انهزم وانكسر، وكليات القرآن العظيم قاطعة بهذا المنهاج. يكفيك منها قوله تعالى في هذا السياق ذاته:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَدًا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِإِلَهِكُمْ إِلَهُةٌ إِلَهُةٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢١﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٨].

فعلى هذا الأساس - بعون الله - نعرض ورقات هذا الكتاب، دون أن نحصر على الاستثثار بلقب أو التحيز إلى فئة؛ إلا ما دل عليه سبيل القرآن، وأرشد إليه منهاج النبي عليه أفضل الصلوة والسلام. متوسلين إلى ذلك - جهد المستطاع - برسائل العلم وقواعد الشريعة حريصين على الاستفادة من تراث الأمة في هذا المجال، بدءًا بجيل القرآن الأول، أصحاب رسول الله ﷺ، ومرورًا بأتباعهم الأخيار، وبفقهاء الأمصار، وما وُثِّقَ لهذه الأمة من مناهج في الفهم، وقواعد في الاستنباط، مما توارثوه تواترًا كليًا، واستقرأه معنويًا، عن الصحابة الكرام. ثم متبعين «قَصَص» الدعوة الإسلامية عبر التاريخ إلى يومنا هذا، غير هاضمين أي تجربة دعوية حقها، ولا منكرين لأي حركة أو طائفة فضلها. مراعين عند التنزيل للمواقف والأحكام، والشعب والتاريخ، وما استمر من خصوص تراثه الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، ما لم يخالف نظرًا قطعيًا أو إجماعًا شرعيًا. سائلين الله أن يجنبنا مواطن الزلل، وأن يقينا مزالق الضلالة والخطل.

وعليه، فإن كتابنا هذا الذي نقدمه اليوم لأحبنا وقرائنا الكرام عامة، ولأهل الشأن الدعوي منهم خاصة، عبارة عن رؤية - متواضعة - في فقه الدعوة الإسلامية، تتضمن تأصيلات منهجية، نظرية وتطبيقية.

وهو لذلك ينقسم - دون هذه «الخطبة» التي هي فيما ترى، والخاتمة التي تلخص نتائجها - إلى تمهيد وثلاثة فصول وملحق. وقد قسمنا الفصول إلى مباحث على حسب ما تتضمنه من قضايا.

فالتمهيد هو في بناء سبع «مقدمات منهجية» تمهد لقضايا الكتاب.

والفصل الأول صيغ بعنوان: «الفطرية مدخل إلى تأسيس القضية». وفيه مبحثان: المبحث الأول في: «بثثة التجديد» دراسة في المفهوم.

والمبحث الثاني: «الفطرية نقلة نوعية: من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام».

وأما الفصل الثاني فهو: «في الفطرية: القضية والمفهوم». وفيه مبحثان: المبحث الأول في: «الفطرية وقضية الدين».

والمبحث الثاني: «الفطرية دراسة في الأركان والمسالك».

وأما الفصل الثالث فهو في: « التجديد الفطري: معالمه المنهجية وقضاياه العمرانية ». وفيه تمهيد ومبحثان.

المبحث الأول في: « المقاليم المنهجية للتجديد الفطري ».

والمبحث الثاني في: « التجديد الفطري وقضاياه العمران البشري ».

وأما الملحق فهو في: « برنامج الزمانيَّة مِنَ الكَلِمَاتِ إِلَى الرِّسَالَاتِ ». وفيه تمهيد تعريفي بالبرنامج طبيعةً وغايةً، ثم عرض مقرر تربوي يتكون أساساً من مجموعة من الرسائل، المستخلصة من النصوص القرآنية والبيانات النبوية، وُضِعَتْ على طريقة التراجم الفقهية لدى المُحَدِّثِينَ، مرتبةً على منهاج تربوي يتدرج بصاحبه عبر مدارج التخلق بصفات الربانية؛ وذلك قصد التأهيل لممارسة العمل الدعوي.

وفي الأخير وضعنا خاتمة عامة، ترجع على ما سبق باستخلاص نتائج وخلاصات للعمل.

تلك قضايا حاولنا مدارستها في هذه الورقات؛ عسى أن يقيض الله لها من يُخرج من يَبْتِنِهَا حَجًّا نَافِعًا.

ولا أنسى بعد هذا أن أشكر السادة العلماء، من بعض أسيادنا وإخواننا، وكذا بعض أهل الخبرة التربوية في المجال الدعوي، ممن تكرموا بقراءة فصول هذا الكتاب كلها أو بعضها؛ فأفادونا بملحوظاتهم وتوجيهاتهم. بل إنني أذكر أن بعض فصوله كان عبارة عن عمل جماعي؛ بما نال من التصحيح والتنقيح، الذي اشتغل فيه بعضهم بروح الفريق. فجزاهم الله عني وعن الإسلام خير الجزاء.

ذلك، وإنما الموفق من وفقه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

وكبه - بمكناسة الزيتون - عيد ربه، راجي عفوه وغفرانه، الفقير إلى رحمته ورضوانه: فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السجلماسي، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين. وقد وافق تمام تصنيفه يوم السبت: ٢٧ رجب: ١٤٢٨هـ، الموافق ل: ٢٠٠٧/٨/١١م.

الْفُطْرَتَيْنِ

بعثة التجديد المقبلة

بين الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

تمهيد

• ويحتوى على سبع مقدمات:

المقدمة الأولى: بين يدي هذا الزمان.

المقدمة الثانية: بين يدي هذا المشروع، من « الحركة » إلى « الدعوة ».

المقدمة الثالثة: النص الشرعي بين « الحركة الإسلامية » وبين « دعوة الإسلام »!

المقدمة الرابعة: الإنسان هو القضية!

المقدمة الخامسة: في ولاية الله، وتدير الشأن الدعوي!

المقدمة السادسة: في السياسة والقصاص الإسلامي المعاصر.

المقدمة السابعة: في أقسام مشروع الفطرة.

تمهيد

(في سبع مقدمات منهجية)

نستعمل مصطلح « المقدمة » - خلال هذا التمهيد - بما يقارب المعنى المنطقي للكلمة، أي باعتبارها منطلقاً منهجياً، وأصلاً استدلالياً؛ لتوجيه الأدلة وبناء الحجج. ومن هنا؛ فما من مسألة نقررها خلال هذه المقدمات السبع، إلا وهي ممهدة لقضية من القضايا المعروضة في هذا الكتاب، مما سيأتي بسطه مفصلاً خلال فصوله ومباحثه. وبيان ذلك هو كما يلي:

المقدمة الأولى

بين يدي هذا الزمان

وما عسانا أن نقول عن هذا الزمان؟ وللزمان - في هذا الزمان - ألف لسان! فهل بقي شك في أن « القَوْلَة » - بوجهها الكالحي - قد اكتسحت فعلاً؟ وهل بقي شك في أنه قد تم احتلال الإنسان قبل احتلال الأوطان؟ ثم من ذا يتردد بعد في ملاحظة التحولات العالمية؟ أليست الأرض تدور اليوم على غير طريقتها العادية؟ ألا تدخل الأمة الآن منعطفاً جديداً من تاريخ علاقاتها مع نفسها، ومع الآخر؟

ألم تكشف الصهيونية - بوجهها الأمريكي - القناع عن غطرستها؛ استخفافاً بالعرب والمسلمين، في أجرأ حركة من تاريخها تجاه الأمة الإسلامية؛ استعداداً لأمر ما؟ لقد تقارب الزمان اليوم لينكشف عن شيء، والعالم ينتهي له بدول تتوحد وتتكتل، وأخرى تتمزق وتنفرد، ويرموز تقوم وأخرى تنهار، فانطلاقاً من سقوط الاتحاد السوفياتي، وسقوط سور برلين بدلالاته السيمائية العميقة، حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بأمریکا، التي ضيّعت لنا بـ « إخراجها »؛ كانت موجة أخرى من تاريخ التدافع الحضاري تتجمع؛ لتنتقل بأكبر عملية احتلال عسكري في القرن الخامس عشر الهجري (الحادي والعشرين الميلادي)؛ ويدخل الغرب العالم الإسلامي - بقيادة أمريكية - غازیاً بلا قناع سياسي! فتكون العراق أكبر فنترة للعبور إلى غزو عالمي جديد للأمة الإسلامية، بتجليات متعددة، قد تختلف مظاهرها من قطر إلى قطر؛ ولكن مآلها واحد هو الهيمنة العولمية الحديدية على العالم الإسلامي. وهامنا تعددت الأشكال والموت واحد.

إن الغزو الغربي للعالم الإسلامي في صورته الجديدة، الحاصلة اليوم - ثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا - لهو صفة قوية في وجه الأمة! ليس - فقط - من حيث هي أنظمة مُسَيَّسةٌ مَداهنةٌ أحيانًا، أو خائنة متخاذلة أحيانًا، أو متواطئة أحيانًا أخرى؛ ولكن أيضًا من حيث هي مشاريع نهضوية فكرية، وقومية، ووطنية، بل حتى إسلامية أيضًا! ولم لا؟

لقد انتهى زمن وكالة الأنظمة العربية فالآن العدو هو الذي يشتغل، وهو الذي يقتحم البيوت ويقتل، وهو الذي يحاكم، وهو الذي يصادر! يلقي القبض على من يشاء كما يشاء، ومتى يشاء! فأينما مفكر حر، أو داعية - أو ربما حتى عابر سبيل - أزعجه بكلمة؛ أصدر أمره باعتقاله! ولم يعد بيالي، ولا حتى بحرج النظام العربي الذي يعيش ذلك المطلوب في حوزته وتحت سلطانه، ويلقي القبض عليه هو بنفسه، هنا أو هناك، في أي مكان من خريطة العالم الإسلامي!

إضافة إلى هذه المهلكات الخارجية، فقد أصيبت الأمة بداء التآكل الداخلي منذ عدة قرون، هذا الداء الذي تطور حتى آل إلى انهيار وجودها المعنوي؛ فوجدها العدو لقمة سائغة، وجاءت سلسلة الاستعمارات القديمة والجديدة بشتى ويلاتهما ومصائبهما، وتلك هي ترجمة التاريخ المعاصر لحديث النبي ﷺ - المذكور قبل - في الثنائية. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَضَعِهَا» فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غَفَاءٌ كَغَفَاءِ السَّيْلِ» وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ! فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (١).

إن أزمة ضعف الوجود المعنوي للأمة، الذي صار اليوم إلى ما يشبه الفقدان، إنما هو راجع إلى ما دُكر في هذا التشخيص النبوي الكريم: حب الدنيا وكرهية الموت؛ ومعناه فقدان الثقة بالله، وضعف الارتباط بأصول الدين إيمانًا وعملاً. وإنما كانت هذه الأمة يوم كانت بالدين، ولن تكون في يوم من الأيام إلا بالدين، وإنما للمسلم إنسانٌ أخروي

بالدرجة الأولى. وبهذا بنى عمرانہ الدنيوي الحضاري العظيم، يوم كان حاضراً في التاريخ. وتلك هي القضية.

إن مشكلة الأمة اليوم - وهي تنزف باستمرار؛ جراء تمزقها الروحي والثقافي والسياسي - أنها لم تعد تبالي بمصدر قوتها الحقيقية، ولا تثق فيما عندها من أدوية بصيدلية الدين، ولا هي بعد ذلك تثق حتى بنفسها، مما أكسبها هزيمة نفسية ألفت بها في أحضان العدو مِرْقاً من الأشلاء والأجزاء!

ولقد غدّى العدو مرض التآكل الداخلي عبر سنوات، ببرامج التعليم المسموم والإعلام المغفوم؛ ما بلغ بها إلى انقلاب المضادات الحيوية الطبيعية، التي خلقت للدفاع عن الجسم، إلى مضادات داخلية للجسم نفسه، فنشأت تيارات شاذة من أبناء الأمة يحاربون الأمة! ويلعنون التاريخ الذي كان! تيارات تنصلت عن هويتها، وتبرأت من دينها، وتمردت على الله خالقها! فخانت الأمة، وخانت الدين، وخانت الوطن! وما أحسب أن شيقاً كان أشد على الأمة في حربها مع عدوها من هذا الكيد العظيم! ذلك أنه رغم ضعف الرصيد الشعبي لهذه التيارات فإنها استقوت بالعدو على أوطانها وشعوبها، وتبوأَت بدعمه المباشر مواطن الصدارة والإدارة في الحكومات! ووقعت بأيديها سياسة التعليم والإعلام والاقتصاد؛ ففعلت في البلاد والعباد من الخراب ما لم يستطع الاستعمار المباشر أن يفعله!

فاتقنا بذلك من الوضع الصحي السليم الموصوف في الحديث: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالشَّوْرِ وَالْحُمَّى!»^(١). إلى الوضع الصحي السقيم، وضع التفرق والافتتال الداخلي، الموصوف في الحديث الآخر: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَيْنِ وَمَعْنَى وَاحِدَةٍ! سَأَلْتُ رَبِّي لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالشَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْفِرْقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهَمِ بَيْنِهِمْ فَمَعْنِيهَا!»^(٢).

ومحنة الأمة اليوم هي في محاولة النهوض من تحت هذا البلاء كله، بتشعباته الداخلية والخارجية، ولنا اليقين في أن لها من الطاقة الكامنة والحركات الذاتية، ما لو

شغلته لأقلعت بقوة، بل لطارت في الفضاء رغم ذلك كله، وإنما الإشكال اليوم هو في التحديد الدقيق لمواطن أزرار التشغيل لطاقة الحياة فيها، تلك هي الأسئلة، وتلك هي التي لا تملك لها الحركة الإسلامية - في كثير من تجلياتها المعاصرة - إلا أجوبة مجملة!

ويتنصب السؤال المثير: أين الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي إذن؟ أين نحو قرن من الزمان، مضى في بناء التنظيمات والجماعات؟ أين الخطط والبرامج والاستعدادات؟

ألم يكن الأوان بعد للمراجعة، والمساءلة لحركات العمل الإسلامي هنا وهناك؟ إلى متى ونحن متشبثون بهخطط خرقها الغرب واخترقها أكثر من سبعين مرة؟ حتى أتت عولمة النظام العالمي الجديد على آخر ما بقي منها، فلم يعد لها غير عجيبيج المظاهرات، وصراخ المظاهرات؟! إلى متى ونحن متشبثون - أحزاباً وتنظيمات - بوهم (إننا قادمون) ^(١) تماماً كما تشبث النظام السابق في العراق بوهم (عُطِطَ للسحق والتقطيع)؛ لم تلبث أن دكها الدبابة الأمريكية، ولما تنقطع أصداء كلماتها الرنانة في الفضائيات!

هذا زمان نهاية الجغرافيا واختفاء الحدود؛ نعم، ولكنه زمان انبعاث حركة التاريخ، واستشرافها لدورة حضارية أخرى. والصراع اليوم هو حول من يكون لها؟ أو هي لمن تكون؟ أما قصة «نهاية التاريخ» فتلك أكذوبة من أكاذيب القوَّة، وأسطورة من أساطيرها، أُتِّجِثْ في سياق الحرب النفسية على المستوى الفلسفي والسياسي.

الحرب الحضارية اليوم عالمية بما للكلمة من معنى، وقطار التاريخ ينطلق بقوة نحو المستقبل.

والعولمة في نهاية المطاف حصان، والحصان لمن يركبه، وإننا على يقين من أن الدعوة الإسلامية اليوم إذا هي دخلت هذه المعركة بشروطها الإيمانية، وبتميزها

(١) إنما القصد نقض قولهم: (إننا قادمون) من يعني بذلك تجربته التاريخية الذاتية، انطلاقاً من حربه، أو تنظيره وجماعته، أما دعوة الإسلام في مجموعها ومجملها فهي قادمة بإذن الله، تلك حقيقة عقدية تواترت النصوص بنوعها، وأبرق الواقع الحزين بمسقبلها؛ ذكرى للمستبصرين.

الحضاري، وهويتها الإسلامية الصافية؛ فإنها بإذن الله تُنتج عولتها الإيمانية عُمراتاً حضارياً جديداً، وأمثاً وسلاماً للعالمين، وإن الفرس التي تقاتل اليوم في صف العدو، يمكن أن تقاتل هي نفسها غداً في صف الإيمان؛ وإنما القضية هي في الفارس من هو؟ وما طبيعة الروح التي تسكنه؟!

فأين الحركات الإسلامية من هذا كله؟ بل أين هي من الإسلام بما هو مُبشِّرات نصية ومنهجية بعالمية هذا الدين، وظهوره على العالمين؟ وإلى أي حد هي فعلاً تجتهد - فكراً وعملاً - من داخل بنية النص الشرعي، ومنظومته الاستدلالية؛ لتجديد مفاهيمه وقيمه في المجتمع؟ أين هي الإستراتيجيات الدعوية والإصلاحية؟ وأين موازين نقدها وتمحيصها في هذا الإطار العالمي الجديد؟

أليس قد آن الأوان فعلاً لتجديد النظر في الأساليب التربوية، والمنهجيات الدعوية؟ في زمن لم تعد فيه ظلال الحكومات كما كانت، ولا مظاهر العدوان كما كانت؟ وصار العدو - عن كتب - يراقب برامج التعليم، وخطب المساجد، والعلاقات الزوجية، ويحصي مدارس القرآن، والمعاهد الدينية، ونسب الولادات؟ أليس قد آن الأوان لبعثة جديدة؟ تجدد أول ما تجدد هذه (الحركات الإسلامية) نفسها التي لم تعد قادرة على إعطاء ما لا تملك؟ إلى متى ونحن صامتون؟ مترددون في وضع الإصبع على مواطن آلامنا وأدوائنا؟ وقد امتدت يد «الآخر» إليها قبل يدنا؛ لتعالجها - ولكن مع الأسف - بدوائه لا بدوائنا وبطريقته، لا بطريقتنا!

إن الوقت الذي نعيشه اليوم قد تضايق وتقارب؛ حتى لم يبق منه - لفوات الواجب - إلا وقت الضرورة، فمن ذا يحاول منا أن ينتقل من الشكل إلى الجوهر، في «بعثة التجديد المقبلة»؟ ومن ذا يبادر للإسهام في تسجيل خطوات الانتقال التاريخي الكبير؟ مع منعطف العولمة المظلم؛ من «الحركة الإسلامية» إلى «دعوة الإسلام»؟

المقدمة الثانية

بين يدي هذا المشروع
من « الحركة » إلى « الدعوة »

وعليه؛ فهذه لبنة جديدة في البناء الدعوي الذي نشغل به، ترمي إلى الإسهام في العودة بالعمل الإسلامي إلى فطرته، وأصل طبيعته؛ ولذلك وسما الكتاب بمصطلح «الفطرية»، وهي سيماء دالة على المقصود منه ابتداءً وانتهاءً. أخذنا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، متخذين لذلك منطلقاً من قوله تعالى: ﴿لِي أَشْجَعَ النَّبِيِّينَ طُلُوعًا أَهْوَاهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ أَصْلِ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَصْيِيرٍ ۝﴾ فَأَيَّدَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرْتَ اللَّهُ إِلَىٰ فِطَرِ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الَّذِي تَقْبَلُ ۝ وَلِكَيْ لَا أَكْفَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ تَبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَلْبَانَهُمْ وَأُفْسُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٢٩﴾ (الروم: ٢٩ - ٣٢).

ولأن الفطرة راجعة - على الإجمال - إلى الطبيعة الأولى، وإلى الهيئة الأصلية التي كانت للأشياء قبل خضوعها للتغيير والتبديل، فإن الحاجة ملحة اليوم على العودة بالعمل الإسلامي إلى ذلك أيضًا.

لقد أتى على العمل الإسلامي حين من الدهر وجد نفسه فيه يدور في حلقة مفرغة بسبب الأزمة الحاصلة في تصوراته ومنهاجه. وإن للقاموس الاصطلاحي والجهاز المفهومي الذي يشتغل به لدلالة على طبيعة تلك الأزمة، مما يمكن تشخيصه بالتحليل لأبرز مصطلح يتسم به. وعلى رأس ذلك مصطلح (الحركة) نفسه الذي يحمل ما يحمل من الخلفيات غير الإسلامية؛ مما كان له الأثر البالغ على توجهات

التنظيمات الإسلامية المعاصرة، وعلى ميزان أولوياتها، والألفاظ ليست بريئة من الخلفيات الحضارية والمذهبية، ولا استعمالها بالأمر الهين في أمور الثقافات والعلوم عمومًا، وفي أمور الدين بصفة خاصة، وقد أرشد الله الصحابة إلى التحري فيما يخالطون به رسوله - عليه الصلاة والسلام - من الألفاظ والعبارات، بلًا للاشتراك اللغوي الحاصل في بعضها بين الخير وبين الشر؛ رفقا لكل تلبس وتدلّيس يقع من المنافقين! فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا نَنْظَرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلْعَدِيدِ عَذَابَ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وإنما فطرة العمل الإسلامي أنه «دعوة»، لا «حركة»، وبين هذا وذاك فرف كبير فمصطلح «الدعوة» لفظ قرآني أصيل، ومصطلح «الحركة» لفظ سياسي دخيل؛ ولذلك ما له من آثار كبيرة على مستوى المنهاج والتصور للعمل الإسلامي كما ستري بحول الله. وإنما سمي الله - جل وعلا - فعل تجديد الدين ووظيفة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - في كتابه وسنة نبيه - «دعوة»، وما كان ينبغي العدول عما سمي الله به مفاهيم الدين، إلى غيره من عبارات التحدثين؛ لأنه سبحانه أدرى بمراده من دينه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نمل: ٢٣]. وخاطب رسوله ﷺ في هذا الشأن فقال له: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسِعَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال له أيضًا: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وخاطب سبحانه هذه الأمة فقال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ❶ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختلفوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥]. وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَرَهَىٰ مَنْ بُشِّرَ إِنَّ مِنْهُ جِزَاءً شَدِيدًا﴾ [يونس: ٢٥]. وقال أيضًا: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]. ومثله أيضًا: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْحَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ يُذَوِّبُ وَيُبَيِّنُ مَآيَتِهِمُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]. وغير هذا وذاك في القرآن كثير.

و « الدعوة » هو عين المصطلح المستعمل في البيانات النبوية باطراد تام، ويكفيك منها قوله ﷺ: « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا »^(١).

ثم ما استعمل السلف الصالح - بعد ذلك - غير مصطلح (دعوة الإسلام) وهو التركيب الاصطلاحي المستعمل عند أهل الحديث كما في صحيح مسلم وغيره^(٢)، وكذا عند كُتَّاب السيرة عمومًا، وعند علماء الفقه، خاصة في أبواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر ضروب الإصلاح، سواء في دار الإسلام أو في دار الحرب، أو دار العهد. وهذه النصوص وغيرها دالة على أنه مصطلح عام في معنى تبليغ دعوة التوحيد، وأصل الدين الكلي، الذي هو مسمى « الإسلام »، وإيصاله لمن لم يبلغه أصلًا من الكفار، كما أنه مستعمل عندهم في الدلالة على الإصلاح الداخلي، والتجديد الديني لما انحرف من مفاهيم الدين وأحكامه في المجتمع الإسلامي أصالةً.

فتبين إذن أن مصطلح « الدعوة » جامع لكل المعاني المشروعة، التي يعبر عنها اليوم بمصطلح « الحركة » ■ كما أنه مانع من دخول كل الإحالات المنحرفة والدلالات المختلفة، التي قد تتسرب إلى العمل الإسلامي مع التعبير الدخيل إضافة إلى تميزه وتفرد بالمقاصد التعبدية التي يُقْصَرُ عنها لفظ « الحركة » وبضيق.

ونحسب أن مصطلح « الدعوة » قد ناله من التحريف المفهومي والتجزئي، الدلالي، بحيث جعله مقصورًا لدى كثير من المستعملين له اليوم في الحقل الإسلامي الإصلاحي، على معنى « الوعظ » بمفهومه الخطابي ليس إلا، وهذه أزمة كثير من « الإسلاميين » إزاء المصطلحات القرآنية الرائجة في التداول الإسلامي المعاصر. ونحسب أن من مهام « الفطرية » إعادة الاعتبار لألفاظ القرآن الكريم، وللمصطلحات الشرعية عمومًا، بتجديد استعمالها بمفاهيمها الأصلية، كما هي في الكتاب والسنة، لا كما هي جارية على ألسنة الناس، وكذا مواجهة القصف

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح مسلم: (كتاب الجهاد والسير. باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلنتهم دعوة الإسلام...).

الإعلامي للعالم الإسلامي، الذي يرمي الأمة صباح مساء بالمصطلحات الأيديولوجية المصنوعة في المختبرات الصهيونية! والضمود أمام زحفه الثقافي الشامل؛ وذلك بالعض على « كلمات الله » بالنواجذ، والتشبث بألفاظ القرآن الكريم، وبمفاهيمها الربانية ودلالاتها الإيمانية. ونحن نعلم أن دون ذلك ما دونه من المجاهدة بالقرآن، لفظاً ودلالة:

﴿ فَلَا تَجْعَلِ الْكَافِرِينَ وَجْهَهُمْ يَدٌ مِنْ جِهَتِكَ كَمَا كَانَ الْفِرْقَانُ ۚ ﴾ [الفرقان: ٥٢].

إن مصطلح « الدعوة » هو التعبير الإلهي المنزل وحيًا؛ للدلالة على طبيعة الرسالة القرآنية في الأرض تأسيسًا وتجديدًا، بينما يبقى مصطلح « الحركة » تعبيرًا وضعيًا، مرتبطًا بنسبيته التاريخية، وبمرجعياته المادية البشرية، التي لا روح فيها ولا رواء، وما أرى العدول عن كلمات الرحمن إلى عبارات الإنسان، في مجال ديني تعبدى محض، إلا ضربًا من التحريف المفهومي لمقاصد القرآن!

وبيان ذلك أن مصطلح (حركة) في المجال الاجتماعي إنما هو ترجمة للفظ الأجنبي: (mouvement) وهو تعبير منحدر من أدبيات علم الاجتماع السياسي، ظهر في أوروبا في ظروف المظالم الاجتماعية والاختلالات الطبقيّة التي خلفتها الثورة الصناعية، خلال القرن الثامن عشر ثم التاسع عشر الميلاديّين، وذلك عندما تغيرت طبيعة الاقتصاد الأوروبي وحلت الآلة محل اليد العاملة، كما حلت المصانع الضخمة محل الصناعات البدوية والنسوية المنزلية، فأحدث ذلك تغيرات بنوية على طبيعة المجتمع الأوروبي، وتكونت كتلات اجتماعية جديدة؛ للدفاع عن حقوقها والمطالبة بتحسين وضعيتها؛ كالتنقابات العمالية، والحركات النسوية، ثم الحركات الطلابية، وغيرها.

ومن هنا جاء مصطلح « الحركة » دالًّا بالأساس على: تيار سياسي منظم فكريًا وبشريًا، يناضل من أجل فكرة محددة؛ لتغيير وضع معين بأساليب سياسية في الغالب، لكنها قد تنطور إلى أساليب عسكرية أو ثورية دموية كما هو شأن الحركات الماركسية مثلًا.

ولذلك فقد بقي المصطلح محملًا بدلالات « مادية »، ومرجعية متأثرة إلى حد بعيد بنظرية « الصراع الطبقي »، أو « النزاع الاجتماعي » كما سماه الدكتور عبد الهادي خلف، في دراسته: « المقاومة المدنية: مدارس العمل الجماهيري

وأشكاله». يقول: «يقوم تاريخ البشرية على مختلف أشكال النزاع بين المجتمعات البشرية، وضمن كل منها. فالنزاع بمعناه الاجتماعي العام [هو] القابلية التي يلد التاريخ على يدها ويتقدم!»^(١) حيث «يتجه كل مجتمع بشري حال نشأته إلى الانقسام إلى مجموعات، تتفاوت قدراتها على الوصول إلى الموارد المتاحة لذلك المجتمع والاستفادة منها، بيد أن الأشكال البسيطة لذلك التفاوت الأولي سرعان ما تصبح أشكالاً معقدة ومتشعبة المصادر والتأثيرات، كلما تطور ذلك المجتمع (...) فمع هذا التطور يتكرس التفاوت الاجتماعي ويتخذ أشكالاً أكثر صلابة ووضوحاً!»^(٢) ومن هنا ينشأ «النزاع» أو «الصراع» من أجل السيطرة على الموارد الاقتصادية؛ حيث «تتنافس فيه الفئات الاجتماعية على الاستفادة من الموارد المتاحة لمجتمعها، والاستحواذ عليها، ووسائل التحكم فيها»^(٣).

وما مفهوم «الحركات الاجتماعية» على حد تعبير «تشارلز تيلي» سوى: «سلسلة من التفاعلات بين أصحاب السلطة وأشخاص يُنصَّبُون أنفسهم باقتدار، كمتحدثين عن قاعدة شعبية تفتقد للتمثيل النيابي الرسمي. وفي هذا الإطار يقوم هؤلاء الأشخاص بتقديم مطالب على الملأ من أجل التغيير، سواء في توزيع أو في ممارسة السلطة، وتدعيم هذه المطالب بمظاهرات عامة للتأييد»^(٤).

ومن هنا فإن «الحركات الجماهيرية» قد نشأت في سياق مواجهة صور شتى من الاستبداد، من مثل: «الانقلابات العسكرية»، و«الأنظمة الديكتاتورية العسكرية»، أو «الديكتاتورية المطلقة»، و«الغزو أو الاحتلال الأجنبي»، و«الظلم الاجتماعي» بشتى صورته، الذي في ظله ظهرت «الحركات النسوية»، و«حركات مقاومة الميز العنصري»، و«حركات التحرر الوطني» في البلدان المستعمرة، و«حركات

(٢) المقاومة المدنية: (١٧).

(١) المقاومة المدنية: (٤٥).

(٣) المقاومة المدنية: (١٨).

(٤) Charles Tilly, "Social Movements as Historically Specific Clusters of Political Performances," Berkeley Journal of Sociology 38 (1994): (1-30).

نقلاً عن: (الحركات الاجتماعية المفهوم والتاريخ) (ص: ٢). للباحثين: (ربيع وهبة، وجوزيف شكلاً)، بحث منشور على الموقع الإلكتروني:

مواجهة الاستغلال الطبقي « في كثير من البلدان الصناعية ^(١) . إذ « عبر مثل هذه الحركات الجماهيرية يقدم التاريخ البشري المعاصر أمثلة بارزة على الإمكانات الواسعة، التي يتيحها التضال الجماهيري - خاصة حين تكون الجماهير ضعيفة - في مواجهة عدو مسلح، وقمعي، وقادر على البطش! » ^(٢) .

ف « الحركة » بهذا المفهوم إذن؛ لا تخرج عن معنى كونها « مجموعة ضغط سياسي تحمل مجموعة من المطالب » ليس إلا وعلى ذلك أجمعت أغلب الدراسات والبحوث التي تناولت مفهوم « الحركات الاجتماعية » بشئ أولها، والسبب في ذلك كما يقول الدكتور إبراهيم البيومي غانم ^(٣) : إن الحركات الاجتماعية إنما نشأت في سياق الأزمة، خاصة « أزمة الديمقراطية »؛ حيث « تنشأ الحركات الاجتماعية في مواجهة الدولة؛ نتيجة تعثر الدولة في أداء دورها، وتدخل الدولة المتزايد للسيطرة على السوق، وتدعيم قوتها وتوسيعها على حساب المجتمع المدني، وهو ما يتزامن عادة مع تآكل دور الأحزاب السياسية، كمنظمات للتعبئة والتمثيل الشعبي (...) وتنشط الحركات الاجتماعية في ظل هذا العجز؛ لتقوم بمهمة تمثيل المصالح، وتقديم خطط بديلة، والدفع باتجاه التغيير من خارج النظام، ولتمثل قوة ضاغطة تفرض على الدولة تعديل سياساتها وتطوير أدائها » ^(٤) .

ذلك هو مفهوم « الحركة » في المجال الاجتماعي، كما ظهر في سياق الصيرورة الغريبة الحديثة. ولا غيب في أن الحلقة المادية العلمانية واضحة فيه جداً. وهاننا مناط الإشكال المصطلحي كما سنبين بعد قليل بحول الله.

ذلك أن هذه التعريفات والشروحات كلها تؤكد القصور الشديد لمصطلح « حركة » عن الدلالة الشمولية الكلية التي يتمتع بها مصطلح « الدعوة »، بما يتضمنه هذا من مصدرية ربانية، وخلفية إيمانية عقائدية، ومرجعية تربوية إصلاحية شاملة. ثم إن مصطلح « الحركة » متهم بتضخيم بعض معاني العمل الإسلامي على

(١) المقاومة المدنية: (٤٨ - ٦٤).

(٢) المقاومة المدنية: (٤٨).

(٣) خبير سياسي في « المركز القومي للبحوث الاجتماعية » بمصر.

(٤) الحركات الاجتماعية، د. إبراهيم البيومي غانم. بحث للدكتور إبراهيم البيومي غانم، منشور على

الموقع الإلكتروني: « إسلام أون لاين » .

حساب بعض، لتضخمها عند أصحابها أصلاً من واضعي المصطلح في منظومته الغربية! وتلك حضارة أخرى وقوم آخرون، كما أنه متهم بتجوير وسائل للعمل قد لا تقبلها - كلياً أو جزئياً - أحكام الشريعة إلا باستصلاح أو (أسلمة) كما يعبرون اليوم، مع أن أمر الدعوة دين والدين واضحة معالنه، أصيلة وسائله، خاصة على المستوى المنهجي الكلي، وليس كل الوسائل يقال فيها إنها من قبيل الاجتهاد، بل منها ما هو مرتبط بثواب الدين، لا حاجة لنا فيه إلى «أسلمة» ولا إلى استيراد أو اقتراض!

ومن هنا؛ فقد كان لتوظيف مصطلح «الحركة» من الأثر ما كان في الاختلال الجزئي أو الكلي للعمل الإسلامي، والانحراف به إلى مضائق العمل الحزبي المباشر أو غير المباشر؛ حيث أصبحت كبرى الحركات الإسلامية في العالم مجرد أحزاب سياسية كبرى! ^(١) وتبعها في ذلك من تبعها من الحركات والتنظيمات في المشرق والمغرب حتى رسخ في ذهن الجيل أن صورة العمل الإسلامي إنما هي هذا النمط أو هذه الهيئة! فشامت بذلك جملة من التصورات، وانقلب كثير من موازين الأولويات. بل رسخ في ذهن الكثير أنه لا يمكن أن يعيش بالدين، ولا أن يكون من المسلمين، إلا بانتماؤه إلى جماعة، أو انخراطه في تنظيم، وانحصاره داخل إساره، لا بدور إلا بمداره، ولا يتغذى إلا بأفكاره! وقد عملت بعض الجماعات فعلاً على ترويح هذا البهتان، والله يعلم أنه ما أنزل به من سلطان، بل الفكرة بهذه الصورة بدعة منكرة، وعقيدة باطلة، أعني جمل النجاة الأخروية رهينة أغلال الجماعات ومضائق التنظيمات، فمن لم يمر عبر «مباركتها» هنا، شحرم النجاة هناك.

وعليه؛ فإننا لسنا نقصد بهذا التأصيل الاصطلاحي مقارنة ألفاظ، وتقليب معاني ودلالات، وبيان دقائق إشكالات؛ من أجل أمور لا تزيد ولا تنقص من أمر العمل الإسلامي شيئاً، أو ربما قيل فيها ما يقال أحياناً في سياق الخلاف الفقهي، إذا اكتشف أنه راجع إلى مجرد اختلاف لفظ، لا إلى حقائق الأحكام ومفاهيم العلم،

(١) انظر تصريح الدكتور «محمد سليم العوا» أحد قيادي جماعة الإخوان المسلمين بضرورة ترك العمل السياسي بكل مفرداته والعودة إلى العمل التربوي الشامل! (حوار مع الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين؛ الأحد ١٠ يونيو: ٢٠٠٧).

فيقال عندئذ: (لا مشاحة في الاصطلاح). كلا طبعا؛ فالأمر هنا مختلف تماماً؛ إذ هو عميق الارتباط بالمفاهيم الأساسية للعمل الإسلامي والدعوي، سواء من حيث مفاهيمه، أو من حيث أحكامه، أو موازين أولوياته، وكل ما تعلق بصحة الفعل الواقع في سياقه أو بطلانه.

ولذلك فالمشاحة كل المشاحة في الاصطلاح؛ ولو نظرت إلى أمر الله تعالى أصحاب رسول الله بمخاطبة نبيه ﷺ بلفظ: « أَنْظِرُونَا » بدل « رَاعِنَا »؛ لوجدت أن العبارتين مترادفتان في اللغة، ورغم ذلك ورد النهي عن إحداهما والأمر بالأخرى، ولم يُقَلَّ أنذ: « لا مشاحة في الاصطلاح ».

إن « الدعوة » لها مجال تداول شرعي أصيل، تحفه أحكام معينة، وأصول معينة، وآداب معينة، ونظام معين من المراتب والأولويات المفقدة شرعاً، والموثقة نصاً، أو المقاربة اجتهداً بقواعد العلم وموازين الشريعة. أما « الحركة » فلها مجال تداولي آخر مختلف تماماً، ونقلها إلى مجال « الدعوة » لا يسلم من استصحاب مرجعيتها الغربية، ولو على المستوى النفسي وهو أمر له ما له من الضرر على العمل الإسلامي في مفهومه، وطبيعته، وميزان أولوياته، وحتى بعض أحكامه.

ولا يعني هذا كله أيضاً أننا نُجري الألفاظ على ظواهرها فحسب، بل العبرة بـ « المفاهيم » فقد يكون من التنظيمات أشكالاً لم تلتقب بلفظ « حركة »، وإنما تسمت باسم: « جماعة »، أو « دعوة »، أو غيرها من الألفاظ ذات الدلالة الشرعية الأصيلة، ولكنها في الواقع حيصة مفهوم « الحركة »، ولو لم تُسم رسمياً بسماء، وذلك حسب ما طبع تصوراتها المنهاجية والعملية لمفهوم العمل الإسلامي وطبيعته. ومن هنا نادينا بفطرية العمل الإسلامي، أي الرجوع به إلى أصل فطرته الدينية، وإلى طبيعته الشرعية، الجامعة بين البساطة والعمق، سواء على مستوى المصطلحات والمفاهيم، أو على مستوى المناهج والتصورات؛ لأن بذلك - في نظرنا - يستوي ميزانه وتستقيم أحكامه. وذلك هو موضوع كتابنا هذا.

المقدمة الثالثة

النص الشرعي بين « الحركة الإسلامية »
وبين « دعوة الإسلام » !

الفطرة هي الدين، وما الدين إلا وحي من الله، وما الوحي إلا نص من كتاب الله أو نص من سنة رسول الله ﷺ قال أمر الدين كل الدين إلى أنه نص، وهنا يظهر الفرق جلياً بين « الحركة الإسلامية » وبين « دعوة الإسلام ». فالحركة الإسلامية تشغل حول النص، بينما دعوة الإسلام تشغل بالنص وفي النص، وتدعو إلى النص، فعملها مرتكز أساساً على التعامل المباشر مع الوحي، تخلقاً بأخلاقه وتحققاً بأحكامه وجنجه، ودعوة للناس إلى الدخول في فلكه واستثمار مقاصده. فالنص في الأولى شعار، وهو في الثانية مَنَار، يؤدي الدخول في محيطه إلى ابتلاء عملي للنفس، وسلوك تطبيقي في المجتمع.

والاشتغال « حول النص » قد يوهم أنه عملٌ بالنص وفي النص، بينما هو في الحقيقة مجرد رسم لأهداف إسلامية، لكن بسمي فكري وكسب بشري محض لا علاقة له بالنص، بل هو - من حيث منهجيته « الحركة » - خارج إطار النص، كما بيناه في المقدمة السابقة، وإنما مرجعه في ذلك هو متوج الفكر البشري في مجال « التغيير الاجتماعي »، مما أنتجه « الآخر » من مناهج وتصورات، وما رسمه من قواعد وأولويات، في السياق الحضاري الغربي، وكان من صلب تجربته التاريخية، مما قد يخالف أولويات الدين أو ربما خالف طبيعة الدين، بسبب عدم استشارة النص تأصيلاً واجتهاداً، وعدم الاحتكام إليه والاشتغال به ديانةً وتعبداً، وعدم جعله وسيلة قُضْبِيَّة، ومَسَلَكُ مُزَادَة، وسُلْمُ بَنَاءٍ وعمرانه. فالاشتغال للدين في المجال الدعوي لا يكون إلا بالدين، إذ لا يتم التوصل إلى غايته إلا بوسيلته، فهو الغاية والوسيلة معاً. وعدم اعتبار ذلك هو ما يُحوِّل أهداف الاشتغال « حول النص » إلى مجرد شعارات،

لا تجدد - في الواقع العملي - من الدين شيئاً^(١).

وقضية حرية الوسائل في المجال الدعوي ليست على إطلاقها أبداً بل هي مقيدة بما ذكرنا من الاشتغال بالنص اجتهاذاً وتأصيلاً، وعدم ضبط هذا أدى في كثير من الأحيان إلى الانحراف عن منهاج الدين، وإلى الضرب بعيداً عن أهدافه ومقاصده بما جعل بعض الحركات تتحول من مشروع ديني تجديدى، إلى مجرد مشروع مدني لا يرتبط بالدين إلا قليلاً.

ولا يعني هذا أننا نعرض مشروعاً حرفانياً في مجال الدعوة والإصلاح! أو أننا نقول بعدم جواز الاستفادة من تجربة « الآخر »، كلا طبعاً، ولكن بشرط ألا تكون المنقولات من صلب المنهاج وأركانه؛ لأن المنهاج هو الدين، بل يجب أن تخضع الاستفادة لمقاييس الدين استصلاحاً حتى تصبح جزءاً من الدين، وتدخل تحت سلطان النص، وتصير - في سياق التنزيل والتحقيق - عملاً بالدين وتعبداً لله رب العالمين. وهو ما يستوعبه الدرس الأصولي الفقهي، بمنهاجه الاستصلاحية والاستحسانية المنضبطة إلى قواعدها الشرعية وتحقيقاتها الاجتهادية.

والناظر في دعوة الإسلام كما وردت في القرآن يجدها لا تخرج عن منسنة النص، بما هو وحي من الله جل علاه، وبيان نبوي لمقتضياته وجكبه، ولا بد من التنبيه في هذا السياق إلى أن القرآن لم يترك المجال الدعوي هملًا بلا بيان، بل ذلك كان من أكبر المجالات التي اعتنى ببيانها وتدقيقها، وبكفينا في ذلك آية وظائف النبوة الدعوية التي تكررت في القرآن أربع مرات من أوائله في سورة البقرة وآل عمران إلى أواخره في سورة الجمعة من المفصل، جاءت بألفاظ ثابتة لا تكاد تتغير إلا تقديمًا وتأخيرًا، على حسب مقام السياق ومقاصده، ليس إلا حيث حصر الله ﷻ وظيفته الرسول ﷺ الدعوية في ثلاث وظائف، واحدة منها يمكن أن تنقسم إلى اثنين؛ فيكون الجميع أربعة؛ وهي: التلاوة للآيات، والتركية للقلوب، والتعليم للكتاب والحكمة. وواضح أن هذه الأخيرة يمكن أن تنقسم إلى تعليم للكتاب، وتعليم للحكمة، وتلك هي دعوة إبراهيم لهذه الأمة المسلمة، ولا يجوز أن

(١) لك أن تنظر تفاصيل لهذا من جانب آخر، على المستوى التنظيمي خاصة. وذلك في الفصل الثالث من هذا البحث، خلال البحث الأول في « المَقَلَمُ الرابع: التنظيم القطري ».

يكون تكرار هذه الحقائق بألفاظها في القرآن عبثاً بل هو تقرير تشريعي لمنهج الإسلام الدعوي، الابتدائي والتجديدي معاً، على سبيل المحصر والنبات والاستقرار، وكل وظائفه تلك تنطلق بالإنسان من النص وتنتهي به إلى النص، فاقرأ الآيات تَتَرَى وَتَذَكَّرُ، ثم عُدْ حَقَائِقَهَا إِنْ شِئْتَ عَدًّا.

الأولى: قوله تعالى في دعوة إبراهيم لهذه الأمة: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

والثانية: قوله تعالى لهذه الأمة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٩، ١٣١].

الثالثة: قوله سبحانه في سياق المن بنبعة الرسالة المحمدية على المؤمنين: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الرابعة: قوله تعالى في بيان سر النقلة العجيبة للمسلمين من حال إلى حال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الحجرات: ٢].

فأنت ترى أنه لا شيء من ذلك يخرج عن دائرة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الحجرات: ٢] وكلها اشتغال بالنص وفي النص. فهي وظائف ثلاث: تلاوة وتركيب وتعليم، ولكن قطعاً لكل وظيفة دلالة أعمق مما قد يتبادر إلى الذهن من معنى سطحي، بل هي - على ما فصلناه في غير هذا الكتاب - تلاوة بمنهج التلقي، وتركيب بمنهج التدبر، وتعليم بمنهج التدارس^(١). وكل ذلك مبثوث في الكتاب والسنة صراحة وضمناً، يَرُدُّ كلما تعلق الأمر ببيان منهج تجديد الدين أو الدعوة إليه، ولا شيء من ذلك كله يخرج عن

مجال تداول النص الشرعي والاشتغال به قرآنًا وسنة؛ ولذلك قال تعالى على سبيل الاستدراك على الذين بدلوا في المنهج وغيروا: ﴿ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نَاصِحِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُصَلُّونَ الْكِتَابَ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقد قرئت: (تَقْلَمُونَ الْكِتَابَ) كما هو معلوم؛ تنبيهًا إلى ضرورة الاعتصام بالوحي دينًا ودعوة.

وأما السنة فأمرها في هذا الشأن أعظم من أن يحاط به، ومشهور جدًا حديث النبي ﷺ، المضروب مثلاً لمراتب العمل الدعوي في استثماره للوحي. قال عليه الصلاة والسلام: « مَثَلُ مَا بَقِيَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْفَرَسِ الْكَبِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَبِيَّةٌ قَلْبُ الْمَاءِ، فَاتَّبَعَ الْكَلْبُ وَالْفُحْشُ الْكَبِيرَ. وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَتَسَكَبَ الْمَاءُ فَتَفْغَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِثْمًا هِيَ فَيَاحُ لَا تَحْمِلُكَ مَاءً وَلَا تُثْبِتُ كَلًّا؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّ فِي وَبِنِ اللَّهِ وَتَفَعَّاهُ مَا بَقِيَ اللَّهُ بِهِ لِعِلْمٍ وَعِلْمٍ، وَعَمَلٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ وَأَمَّا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ »^(١). وقال: « بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً »^(٢). وقال أيضا: « خُذُوا كُمْ مِنْ تَعْلَمِ الْقُرْآنَ وَعِلْمُهُ »^(٣). فماذا بقي بعد ذلك من مدارات الدعوة غير النص؟

إن الجوهر الحقيقي والمبرر الأساس لوجود العمل الإسلامي إنما هو تجديد التلقي للقرآن الكريم رسالة الله رب العالمين، القرآن من حيث حقائقه الإيمانية ومفاهيمه الشرعية، مع استصحاب البيانات النبوية في ذلك؛ لتنزيله متدرجًا على المنهاج الدعوي السليم، وتحقيق مناطاته في واقع الإنسان بما هو حركة عمرانية في الزمان والمكان. القرآن هو رسالة الرحمن إلى العالمين، هذه حقيقة أضاعها اليوم كثير من المسلمين؛ ولعل عددًا غير قليل من أبناء الحركة الإسلامية سيحتاج إلى وقت ليس باليسير؛ من أجل أن تستيقظ روحه على هذه الحقيقة العظمى، ومن أجل أن يدرك كم كان يضرب - في حركته - بعيدًا عن المقاصد الأصلية للدين والدعوة الدين. نعم كثير منا سيحتاج إلى وقت ليس باليسير، بل إلى مخاض فكري وروحي عسير، من أجل التخلص من الاعتقادات الباطلة، والفهوم الزائفة، التي تراكمت على عقولنا وأهوائنا، في تصور مفهوم العمل الإسلامي، وفي تصور معنى الدين، وذلك بما طال

علينا من الأمد - في حركاتنا وتنظيماتنا - ونحن نضرب خارج مدار القرآن العظيم؛ ديناً ودعوةً، وبما ضربنا على أنفسنا بأنفسنا من حصار فكري، وجدار تصوري، أغلب حجارته ومادته من الأباطيل، جدار شكل حولنا برزخاً سميكاً معقداً، وكان حجاباً بيننا وبين فطرية الدين، يمنع عنا أشعة الشمس، ويحجب عنا الرؤية السليمة لدعوة الدين، وإنها حقيقة كبرى نحن عنها غافلون، فانظر إليها - إن شئت - من خلال هذه الآية البصيرة وتدبر. ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦]. ثم اقرأ منهاج الإصلاح القرآني مقررًا من لدن الله في كلمات ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ الْكِتَابَ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. فلنأخذ الإصلاح: تمسك بالكتاب وإقام للصلاة.



المقدمة الرابعة

الإنسان هو القضية!

والقضية ليست متعلقة بمصطلح « الحركة » فحسب؛ بل هي متعلقة « بجهاز مفاهيمي » كامل، وبنظام تصوري شامل، في إطار عمل منهجي يرمي إلى الإسهام في تأصيل العمل الإسلامي في الكتاب والسنة، بين يدي بعثة تجديد الدين المقبلة. ذلك أن العودة بالعمل الإسلامي إلى فطرته تقتضي العودة به إلى مجال عمله، والاشتغال به في صلب وظيفته، وفي جوهر موضوعه ومحل خطابه؛ بما هو عمل ديني أساساً يُقْبَدُ الله به أولاً وآخراً، ولا خلاف بين علماء الشريعة أن ذلك جميعاً إنما هو دائر - من حيث موضوعه الإجمالي - على قضية واحدة، وهدف واحد، ومحل للخطاب واحد، هو الإنسان في علاقته مع ربه، وكل ما عدا ذلك فهو راجع إلى هذا المعنى بما في ذلك التشريعات المتعلقة بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. فالعلاقات التشريعية والتربوية الأفقية في الكتاب والسنة كلها آتلة إلى العلاقة العمودية، التي هي ربط العباد بالله، تلك حكمة الخلق، وغاية الوجود البشري في الإسلام، وآيات القرآن وبيانات السنة لا تخرج عن هذا المعنى البتة. كما سنفصل في متن هذه الدراسة بحول الله.

الإنسان إذن هو القضية، وهو مجال الاستثمار الرئيس للدين، وقضيته الكبرى دائرة بين أمرين اثنين: إما أن يكون عبداً لله، وإما أن يكون متمرداً عليه، جل علاه، سواء في ذلك إيمانه وعقيدته، أو عبادته وكسبه، أو تشريعه وقوانينه، أو علاقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... إلخ، فالاستثمار الدعوي في الإنسان كفيلاً - إذا استقامت الوسائل طيبةً وفقهاً - بضمان ذلك كله، ذلك هو المنهاج الفطري

الذي جاء به القرآن، واشتغل به الرسل والأنبياء، ومن سار على نهجهم من العلماء العاملين والحكماء الربانيين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تشخيص أمراض العصر في المجال الديني العام مؤد - عند التمعن والملاحظة الاستقرائية - إلى حقيقة ظاهرة: وهي أن طبيعة الانحراف الحاصل اليوم في المجال الإنساني والاجتماعي إنما هو انحراف في الفطرة، واختلال في أخص خصائصها، كما سنبين بحول الله، وهذا لا يعالج إلا بمنهاج فطري رباني أصيل، فحاجة العصر وطبيعة الدين، كلاهما يقضي بضرورة العودة إلى « الفطرة » في العمل الإسلامي؛ لإعادة تشكيل الإنسان على موازين القرآن، وذلك هو جوهر بعثات التجديد الإسلامي عبر التاريخ، وتلك هي طبيعتها في دورتها المقبلة إن شاء الله.

لقد آن الأوان لتتوقف عن إعادة إنتاج النمط المنحرف لبعض التنظيمات الإسلامية، التي خالفت المنهاج الفطري السليم، بالتعمر في مصطلحاتها، والتنعق في مفاهيمها، والإغراب في وسائلها، والاختلال في أولوياتها، والخلط في مرجعيتها، فَعَقَّدَتْ وَتَعَقَّدَتْ، وَشَقَّتْ وَتَشَقَّقَتْ، فَلَا ظَهْرًا أَقْبَتْ وَلَا أَرْضًا قَطَعَتْ! بينما هذا القرآن ينادي في كل وقت وحين: ﴿ وَلَقَدْ بَيَّنَّزْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

وعليه؛ فإن الاشتغال - في الوقت الراهن - بالتفكير لبرامج سياسية، أو حلول اجتماعية على المستوى السياسي؛ بدعوى الشمولية في العمل الإسلامي ما هو في الحقيقة إلا تجزئ له وتمزيق! بل الشمولية كل الشمولية إنما هي في إنتاج الإنسان القرآني أساساً، وهذا كفيلاً بإنتاج كل شيء من تلك الفروع بصورة تلقائية، لكن عند وقته وإبانة. ورحم الله ابن عطاء الله السكندري لما سطره في حكمته الخالدة؛ حيث قال: « مَا تَوَكَّلَ مِنَ الْجَهْلِ شَيْئاً مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَ فِي الْوَقْتِ عَمَّا أَظْهَرَهُ اللَّهُ فِيهِ! »^(١).

المشروع الإسلامي الشمولي هو المشروع القائم على شمولية القرآن في بناء الدين.

والشمولية - بمفهومها الإسلامي - إنما هي قائمة على بناء الأصول والكليات، من الحقائق والمفاهيم، على جميع المستويات العقيدة والإيمانية والعمارنة. لكن بما هي أصول وكليات، لا بما هي تفاصيل وبرامج في السياسة والإدارة وقضايا العمل والعمال والبطالة فحسب، فهذه إنما هي وظيفة «الفقه التشريعي»، ومحاولة علاجها في بنية مُنَبَّهَةٍ، غير مؤصلة في تلك الأصول والكليات، ضربٌ من العبث وتجريب للمحال.

إن العالم اليوم دولة واحدة، تحكمه كتلةٌ واحدة في القوة وفي السياسة وفي الاقتصاد والإعلام ومحاولة تغيير جزء منه على المستوى المحلي هنا أو هناك، مؤدَّة بالضرورة إلى زعزعة أصله على مستوى مركزته العالمية الاستعمارية، ودون ذلك ما دونه من مدافعة وصراع، لا بد من تقدير حجمه واستبصار مآلاته. فأَيُّ عملة قطرية في العالم اليوم ليست محكومة بالدولار؟ وأي سياسة في الوطن العربي والإسلامي لا تدور في فلكه ومداره؟ والمثلُّ من أهله إنما يقاتلون في العالم هنا وهناك، ويوجهون سياسة هذا البلد أو ذاك، بالترغيب والترهيب خدمةً لسلطانه، هذه حقيقة العولمة اليوم، التي تقصد إلى صهر كل الشعوب والثقافات والمذاهب، وسائر الخصوصيات في خدمة الدولار، ولا تسمح بوجود أي شيء ينقض أطروحتها الطاغية المتوحشة! ومن هنا فكل مشروع إصلاحٍ لم يراع ذلك ضلُّ وهلك! والإسلام في عهد الرسالة - وهو يتنزل من رب العالمين القاهر فوق عباده - راعى توازن القوى الداخلية من قريش وأحلافها من العرب، والقوى الخارجية من فارس والروم؛ فبنى دولته بين ذلك جميعاً ببناء أصولها الأولى، دعوةً على المستوى البشري أولاً، عقدياً وإيمانياً واجتماعياً، ثم ترقى بها - على المستوى البشري دائماً - شيئاً فشيئاً، حتى تمخضت الدعوة عن دولتها في إبانها، والدارس للسيرة النبوية ومراحلها يدرك سنة التدرج الرباني بالدعوة الإسلامية، كيف انطلقت من القرآن إلى العمران، عبر بناء الإنسان والإنسان أساساً، فكان من أمر الله ما كان.

ومن ثَمَّ فإن قضية الأمة اليوم في هذه المرحلة التاريخية ليست في البرامج التفصيلية بالدرجة الأولى، هذه قضية الأجيال اللاحقة، وهي فقه مرحلة التمكين للإسلام والمسلمين، المبشَّر به في القرآن وفي سنة سيد المرسلين، وهي من حيث

طبيعتها العلمية ليست ذات خطر عظيم. القضية اليوم هي أن يكون الناس مسلمين حقاً مسلمين لله رب العالمين، كيف وهذه الأيديولوجيات اللادينية ما تزال تنازع الدين وأهله مشروعية التوجه والوجود في كثير من بلاد العرب والمسلمين؟! وعليه؛ فالإنسان المقصود بالدعوة الفطرية؟ على المستوى القيادي - نوعان:

إنسان فاعل، وإنسان متفاعل.

ف « الإنسان الفاعل » : هو العالم الرباني الحامل لرسالة القرآن، الفقيه المجدد، الداعية الحكيم - كما سيأتي بيانه خلال فصول هذا الكتاب - فخطابه هو على وزان خطاب القرآن عام شامل، يحمل إلى المجتمع - بكل شرائحه وطبقاته - كليات الدين، وأصوله الإيمانية والعملية، وقيمه الأخلاقية، تلاوة وتركيزاً وتعليماً؛ ولذلك كان هو الإنسان المركزي في دعوة الفطرية.

وأما « الإنسان المتفاعل » : فهو الإنسان المتلقي لخطاب الدعوة عن الإنسان الفاعل، ليحملها باعتباره فاعلاً أياً، لكن في مجال متخصص محدد، كالمجال التعليمي، أو المجال الإعلامي، أو المجال الاقتصادي، أو السياسي... إلخ. فالإنسان المتفاعل إذن هو: إنسان التعليم، أو إنسان الإعلام، أو إنسان المال، أو إنسان الاقتصاد، أو إنسان السياسة... إلخ.

والناظر في قوى العمران البشري، المتحركة في نسيجه الاجتماعي العام، يجد أنها ترجع إلى أربعة أسس هي: التعليم، والإعلام، والاقتصاد، والسياسة. إلا أنها ليست جميعها على تساوي فيما بينها، بل تتميز الأسس الثلاثة الأولى (التعليم، والإعلام، والاقتصاد) بكونها عملاً بنوياً تحقّقاً على المستوى القاعدي، بينما يتميز الأساس السياسي بكونه عملاً فوقياً، وبينه وبين الثلاثة المذكورة علاقة جدلية قوية جداً، أخذاً وعطاءً. ومن هنا كانت الأولوية الدعوية في المنهاج الفطري - باعتباره دعوة إسلامية تحمّلكم إلى سنة التدرج - إنما هي للعمل النبوي التحتي، لكن طبعا دون إغفال أهمية العمل الفوقي في علاقته الجدلية بالآخر.

ولذلك وجب أن تكون الأسس الثلاثة الأولى هي الميادين الرئيسة للعمل الدعوي في علاقته بالإنسان المتفاعل؛ إذ من سيطر عليها صنع السياسة، ومن سيطرت عليه صنعتها السياسة!

وأما محاولة صناعة السياسة بغير السيطرة عليها كلياً أو جزئياً، أو على الأقل الحضور الميداني فيها؛ فهو ضرب من العبث، خاصة في الظروف العالمية والمحلية المعاصرة، والعمل فيها اليوم إنما يجب أن يكون من خلال البرامج الدعوية أساساً. فالعمل الدعوي هنا هو العمل البنوي التحتي، العمل الذي يشتغل في الميدان العملي في ظروف سيطرة الآخر عليه؛ وقد يختلف ذلك نسبياً على حسب طبيعة الميدان وإنسانه.

فتدخل الدعوة معركة التعليم بما هو وظيفة نبوية رئيسة، وذلك من خلال الاشتغال بإنسان التعليم أساساً، من التلميذ إلى المدرّس، إلى أولياء التلاميذ وجمعياتهم، إلى المؤسسة التعليمية برمتها، المكلفة بهذا القطاع الحيوي الخطير، جهوئاً ومركزياً، تدخل ذلك كله داعيةً ومُدافعةً ومُنافسةً، وتشتغل فيه وبه، بممارسة ومُنتيجة! لكن على المستوى القاعدي دائماً، وفي ذلك ما فيه من المكاسب الكبرى للإسلام ما لا يدانيه شيء آخر على الإطلاق.

كما تدخل الدعوة معركة الإعلام بما هو ميدان للبلاغ الدعوي ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّتِلْكَاسِ وَيُسْئَلُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِيدٌ وَيَذْكُرُوا الْأَنْبِيَاءَ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. والإعلام هو ربيب التعليم؛ إذ هو عمل في الإنسان أيضاً، وصناعة لعقله ووجدانه، إصلاحاً أو إفساداً! ومن هنا أهميته وخطورته على المستوى الدعوي؛ ولذلك فهو مجال وجب أن تدخله الدعوة على الوزن الأول أيضاً، أعني: داعيةً ومُدافعةً ومُنافسةً، وتشتغل فيه وبه، بممارسة ومُنتيجة.

فوسائل الإعلام اليوم رغم سيطرة التوجهات اللادينية على كثير من مواقعها الإمبراتيحية، فإنه من الواجب على أصحاب العمل الإسلامي التدافع حول اعتلاء منابرها، لرفع كلمة الله، والصدع بدعوة الحق، ولا ننسى أن الوسائل المتاحة من شبكات الإنترنت والأشرطة السمعية والبصرية قد يبارك الله فيها، فتحرز بها الدعوة من المكاسب ما لا يحجزه المتغلب بفضائياته العظيمي، فالمعركة الدعوية إذا تحقّق أصحابها بإخلاصهم لله، تَوَلَّاهَا اللهُ جَلَّ علاه، وبارك فيها، وجعل قليلها كثيراً. ثم تدخل الدعوة معركة الاقتصاد أيضاً، داعيةً ومُدافعةً ومُنافسةً، وتشتغل فيه وبه، بممارسة ومُنتيجة.

وتخوض معركته تربيةً للمستهلك أولاً، ثم دعوةً وتكويناً للمستثمر والمنتج ثانياً؛

لإشاعة قيم الإسلام الاستهلاكية والإنتاجية على السواء، في اتجاه أفق السيطرة الدعوية الجزئية أو الكلية على الإنتاج الرئيس وعلى السوق، لكن دائماً على مستوى العمل الربوي القاعدي، المشتغل بصناعة رجل الاقتصاد المؤمن، ورجل المال المؤمن، ورجل الأعمال المؤمن، أكثر من الاشتغال بسياسة الاقتصاد العامة، فإنما هذه تكون بذلك ولا عكس. الرهان اليوم على إصلاح «إنسان المال»، الأخذ والمعطي سواء، استهلاكاً، وإنتاجاً؛ قصد الإسهام في توجيه دفة التدافع المالي شيئاً فشيئاً، على المستوى المحلي ثم العالمي عندما يأذن الله.

وأما العمل السياسي فَيُكْتَفَى فيه بمخاطبة إنسانه بكلمات الله، بعمقها الغيبي وامتدادها الأخروي، دعوة وتوجيهاً، دون عمل ولا قصد إلى منافسته في مفاته ومناصبه، ولا حتى العمل بما يشعره بذلك من الدخول في منافسات انتخابية ضيقة أو تحالفات حزبية خاسرة، تؤدي في النهاية إلى محاصرة الدعوة ورجالها؛ إذ المقصود في الدعوة الفطرية - في هذا المجال - إنما هو «الإنسان السياسي» يشتهي أطرافه، من «اليمن» إلى «اليسار»، ومن «المعارضة» إلى «الأغلبية»، ومن الميداني إلى الإداري. كل أولئك جميعاً موضوع للعمل الدعوي؛ عسى أن يستعيد فطرته.

نعم، تعمل الفطرية في دعوتها للإنسان السياسي على تغليب فضله على نقصه، ونصرة خيره على شره، وحقه على باطله، ثم دفع كيده بإخلاصه، لكن دون أن تكون هي طرفاً في صراع الحقائق والمناصب، بل الرهان على أن يستجيب كل من موقعه لكلمات الله أو ليس كلهم جميعاً بني آدم؟ أليسوا معنيين بخطاب القرآن وبدعوة الإسلام؟ أليسوا مسلمين؟ مهما كانت أحوالهم بين الصلاح والفساد؟ تؤرقهم حقيقة الموت، لو أوقفهم الخطاب الدعوي على مفهومها الإسلامي، وما يترتب عليه من الحقائق الإيمانية والمآلات الأخروية؟

إنني على يقين بأن الدعوة الإسلامية بصيغتها الفطرية ستجد مكانها بين أولئك جميعاً، وتصنع تيارها من كل الأطراف؛ لأن السياسة الحزبية بصورتها الحالية إنما هي صنعة بشرية «براجماتية» أشبه ما تكون بالطائفية؛ خلّوها في الغالب من المصالح العامة الحقيقية؛ اللهم إلا ما كان شعاراً وكفى، فمصالحها إنما هي لبعض الناس لا

لكل الناس، بينما الدين هو كله لله، وما كان كله لله عاد فضله على كل الناس ﴿فَظَرَّتْ أَلَّهُ أَلَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّ لَا بَدِيلَ لِيَخْلُقِ أَلَّهُ ذَلِكَ أَلَدِيَّتْ أَلَقِيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] .

المقدمة الخامسة

في ولاية الله وتدير الشأن الدعوي

واجب الوقت اليوم هو صناعة المسلم العبد لله الواحد القهار، كل المشاريع الدعوية يجب أن تدور حول هذا المدار، وكل البرامج الإسلامية يجب أن تخدمه. وقد تقرر في الكتاب أن الله تعالى إذا أخلص له عباده تولاهم ونصرهم، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وإلا فلا، مهما خاضوا في عجيج السبيلات وانخرطوا في ضجيج النقابات! ولاية الله باب الخروج الأوحى بالعمل الإسلامي من أزمتته، وباب الوصول به إلى غايته، وما زاده العدول عن هذه الوجهة إلا خيلاً.

إن العمل الإسلامي الذي لا يتولاه الله لا يصل الغاية أبداً؛ فإذا تولى الله عبداً أو قومًا؛ بما حققوا من تجرد لله وإخلاص له وحده دون سواه، كفاهم كل شيء. ﴿الَّذِينَ يَكْفِي عِبَادَهُمْ وَيَخَوْفُنَاكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُبِلٍ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

تلك قاعدة كلية استقرائية تجرى مجرى القوانين الراسخة في الكتاب والسنة، ويكفيك منها قوله تعالى: ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ أَلْزَىٰ نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۖ وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلِيمُونَ ۖ نَفَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَهْزِئُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٦، ١٩٧]. ومن هنا قرر سبحانه أن ميراثه الأرض قدر ثابت لا يتغير، فجعله في عباد الصالحين خاصة؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۚ﴾ [إِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِقَوْمٍ عَاكِفِينَ ۚ] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۚ قُلْ إِنَّمَا يُرِثُ بِالنَّاصِيَةِ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْ فَهَلْ أَمْتٌ مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَظْنَنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اتَّخَذَ الْأَوَّلُ مِن قَبْلِهِمْ لَيَبْغِيَنَّهُمْ وَيَكْشِفَنَّ لَهُمْ فِيهِمَ الْاَلْزَمَ الَّذِي كَانُوا يُقْتَضُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَنَا يُسَبِّحُونَ لَا يُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الشورى: ٥٥].
وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذُكِرُونَ﴾ [النساء: ٥٩].
وَمَنْ يَقُولُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. ذلك قدر الله السابق في علم الله، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَتَنَا لِمَا دَنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ [إِنَّهُمْ لَكُمُ النَّصُورُونَ] ﴿وَلَوْ جُنَدًا هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

ومعنى الولاية هنا: إنما هو راجع إلى تولي الله لمن تولاه؛ أي أن الله - جل علاه - يتخذ هذا الإنسان، أو تلك الدعوة، أو أولئك القوم، من جنده وخاصته، بما رضي عنهم ورضوا عنه، وبما أخلصوا له العبادة والعمل، فعلاً وقصدًا، فتجردوا من كل الأهواء، وتخلصوا من كل الأدواء، ظاهراً وباطناً، فعملوا كل شيء لله، ولم يجعلوا من أمر الدين والدعوة شيئاً لأنفسهم البتة، فلم يكونوا في ذلك كله إلا لله وبه، لا شبهة ولا شائبة، فإذا صَفَّوْا على ذلك أَقْبَيْتْ عليهم محبة الله، وهو مقام الولاية الحقاً ودون ذلك ما دونه من مسائل المجاهدات، ولكنه يسير على من سره الله له. واليسر فيه يكون على قدر ما أضمر العبد من الصدق لله في طلبه، والتجرد له - جل علاه - في القيام بحقه ومراده. وإنما الموفق من وفقه الله.

وسبيل الولاية بهذا المعنى واضح جداً من الآيات الآتية الذكر. ولنا أن نزيد بها بياناً بحديث الولاية المشهور، وهو المروي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ» وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ بِمَا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّابِلِ حَتَّى أُجِيبَهُ، فَإِذَا أُجِيبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ» (١). ومنه أيضاً قول النبي ﷺ: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، ذِي طِفْزَيْنِ، لَا يُؤْنَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَنْزَعَهُ» (٢) وهذا المعنى العظيم في الكتاب والسنة كثير.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي والبيهقي عن أنس مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم: (٤٥٧٣).

نفاذه ومولف من قصة موسى عليه السلام التي تضمنت من القواعد الدعوية جُملتها بالذات. وإليك تبيان:

إن أول أمر يستوقف القارئ في قصة موسى عليه السلام، هو: حضور «ثلاثة الضيف» والشهادة، في تدبير أمر الدعوة إلى الله ذلك أن الله جلّ علاه علّم بطرق حقائقها بصفة الماضي الحال - في القرآن - على غرض الأمر التثبيتي، والمكتوب التفضيالي، بما قضاه الله ولقدّمه منذ الأزل - سبحانه جلّ علاه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه - لأن ذلك من خواص وروحه تعالى، قصص علينا سبحانه الترتيب الإلهي الحكيم، والتدبير الرباني العظيم، بشأن الدعوة وإصلاح الأرض، من بعد ما حلّها فرعون وملؤه فساداً، فعاد الترتيب لذلك من قول ميلاو موسى نفسه: حيث حيا أهل مبعثه خريطة الإصلاح كاملة، ثم بحث رسوله في بني إسرائيل عهداً متفقاً لقضاء الله ورضاه، على سبيل الاعتلاء ثم وتقدمه. وتفرعون ومعه، بهذا الأمر العظيم، قسرت الأحداث بعد ذلك ترى على الأرض، حدثاً حدثاً، على مقتضى تدبير الله وحكمته، فخرطة القصة الشعرية كلها مرسومة في السماء، محسومة في عالم الضيف، وأنؤمن الناظر برون الله يرى هذه الحقيقة، وإن لم ير تفاصيلها، ويشاهد أن قيادة الشأن الدعوي والتدابير الإصلاحية هي في السماء، وأن عالم الضيف هو المتحكم في عالم الشهادة والعكس غير صحيح؛ ولذلك فهما يمكن للواقع من إكراهات - لا يجوز إحداها - فاللهية مع ذلك يحاول بما آتاه الله من إيمان وعلم بالله وشرعيته، أن ينظر في مراد السماء وما يقتضيه من إكراهات الأرض، فكما أن للأرض ضرورتها فللسماء أيضاً فضائرها وضررها، ومن لم يراع هذه الثنائية الإلهامية في تدبير الشأن الدعوي تحبط كثيرًا في حيرة، ويضل عنه باب الخروج من المضائق، إلا ما شاء الله.

والهنا الآن طرفاً من قصة موسى عليه السلام، فيها بيان كيف أن الله جلّ علاه قد هدانا كل شيء من أمر قصته ودهونه قبل بحثه حتى إذا جاء الإناء نزل نصالي وفلقها شجعة ومفرقة على مكث، ثم كما نزل آيات القرآن مفرقة على مكث ترتب رباني متسلسل عجيب! وذلك في قول مبعثه نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ

رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ٦١ - ٦٨] - هكذا قررها موسى ﷺ: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَّيْبِينَ ﴾ مبيناً ضرورة استحضار ثنائية الغيب والشهادة في تدبير الشأن الدعوي بما فصلنا وبيننا.

وهو عين ما سلكه محمد رسول الله ﷺ في قصته وفي تربيته لأصحابه؛ وذلك على أكمل ما يكون المثال، لمن تدبر قصته في القرآن، ودرس مراحلها وترتيب وقائعها في سيرته، عليه أطيب الصلاة والسلام. ويكفيك من تقرير هذه القاعدة في سيرته ﷺ وهو في أشد مراحل محنته، وقد اشتد البلاء بأصحابه المستضعفين آنذ في مكة - الحديث الصحيح الذي يرويه الصحابي الجليل خباب بن الأرت عليه السلام، قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بؤدة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: « قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ، فيُخْفَرُ له في الأرض، فيُجْعَلُ فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُجْعَلُ نصفين! ويُمَشَّطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه! فما يصده ذلك عن دينه! والله ليتمن هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه! ولكنكم تستعجلون! » ^(١).

وغير ما مرة كشف النبي ﷺ لأصحابه مآل دعوته كما هو ثابت في سيرته الصحيحة وما سوف يحققونه من نصر، وما سوف تمتد إليه خيولهم من فتوح، فقد وعد أصحابه امتداد سلطان الإسلام؛ ليستوعب ما بين مشارق الأرض ومغاربها، حتى يشمل كنوز الفرس والروم، قال لهم ذلك وهم يعانون آنذ من الخوف والجوع، في ضيق الحصار الشديد على المدينة من غزوة الخندق.

ومثل هذا في السيرة النبوية الصحيحة كثير... والعجيب أنه ﷺ لا يذكر لهم ثغالباً إلا وهم في أشد مضايق الابتلاء والاستضعاف! وذلك ربطاً لهم ولدعوتهم بثنائية الغيب والشهادة في تدبير الشأن الدعوي، واستناداً إلى الله - جل وعلا - وتوكلاً حقيقياً عليه، وتجرداً من كل حول وقوة؛ بما قد يوقع الداعية في العجب والغرور؛ فيحبط عمله، وترتفع عنه ولاية الله ثم يكون من الخاسرين ديناً، ومن المهزومين دنياً والعياذ بالله!

وما أفسد العمل الإسلامي شيء، ولا أخرجته عن مقاصده التعبدية، لدى كثير من الجماعات والتنظيمات؛ بما رفع ولأية الله عنه - تسديدًا وتأيدًا ونصرةً - مثلُ إفساد أصحابه له؛ بالحرص على تحقيق الذوات واستعراض العضلات.

المقدمة السادسة

في السياسة والقصص الإسلامي المعاصر

والذي يظن - بعد ذلك - أننا بهذا المنهج سنقاطع السياسة، فهو يعاني من مشكلة في مفهوم « الدين » إن الدين - بما هو خضوع لله رب العالمين - يتضمن تصورات ومواقف سياسية في كل شيء؛ من أصوله إلى أدق فروعه! فأن « تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » سياسة، وأن تسجد لله، ولله وحده، سياسة، وأن تستجيب لنداء المؤذن كل فجر سياسة، إن السياسة سارية في الدين (سريان السمن في الخليب) على حد تعبير المغاربة. لكن تجريد قضاياها في العمل الدعوي وعرضها على أنها هي الدين، أو على أنها عمود الدين، انحراف عن منهج الدين وهو ما سميناه من قبل بالتضخم السياسي^(١).

إننا نسعى بهذا المنهج الفطري إلى إنتاج سياسة تسوس السياسة ولا تشغل بالسياسة أو بتعبير المناطقية: سياسة حاضرة « بالقوة » في كل شيء، وإن لم تحضر « بالفعل » في كل شيء، وبذلك تكون - بإذن الله - موجهة لكل شيء ومعناه أن علينا أن نصنع السياسة بصناعة الدين؛ لا أن نصنع الدين بصناعة السياسة، كما نفعله كثير من الحركات الإسلامية اليوم! وبين المعنيين فرق كبير، بل هي معادلة ذات طرفين، مقتضاها: أن الدين في الطرف الأول أصل والسياسة فرع، وهو في الطرف الثاني فرع والسياسة أصل! كما أنه في الطرف الأول مصدر إنتاج حاكم؛ فيكون له الأثر البالغ في متوجهه على موازينه الشرعية ومقاصده التمهيدية، بينما هو في الطرف الثاني مجرد منتج محكوم، خاضع لضرورات الفعل السياسي وأهوائه.

(١) البيان الدعوي والتضخم السياسي للمؤلف.

ولذلك ما له من آثار على المستوى التصوري والتربوي لأبناء العمل الإسلامي ودعائه على السواء؛ سلباً أو إيجاباً على حسب موقعهم من المعادلة المذكورة.

وهذا التصور للمسألة السياسية في العمل الإسلامي ليس ضرباً من التنظير الطوباوي أو التوهم الخيالي، بل هو عين الفعل النبوي في بناء دعوة الإسلام، ثم هو تجربة وقعت بالفعل في التاريخ المعاصر للعمل الإسلامي. حيث كانت لها نتائج دعوية متميزة في مشروع تجديد الدين في المجتمع، وآثار واضحة في إرساء التوازن السياسي بأوطانها لصالح الدين وأهله، في سياق مشروع دعوي متدرج على موازين الأولويات الشرعية، ولم يكن هذا المنهج حكماً على جماعة بعينها في العالم الإسلامي، ولا على تيار إسلامي معين بمفرده، بل قد اشترك فيه أكثر من مدرسة وتيار، وإن كان ذلك على اختلاف بينها في مراتب التحقق من منهجه وقواعده. وليس معنى هذا أننا سننقل تجربة هذا الاتجاه أو ذاك، أو أننا سنستورد هذا (السيناريو) أو ذاك، كلا قطعاً؛ لأنه ببساطة (لا يمكنك أن تسبح في النهر مرتين) كما قال الحكماء. وإنما نورد التجارب مورد القصص للاستنباط والاعتبار، واكتشاف سنن الله في أسرار التحولات الإنسانية والاجتماعية، على ما دلنا عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وللقصص في القرآن أثر عظيم في الدلالة على سنن التاريخ وقوانين العمران البشري.

ذلك هو منهج القرآن، وتلك هي طبيعة الدعوة النبوية، كما تواترت سننها في كتب الحديث والسيرة، ثم تلك هي طبيعة الدين في كلياته وأصوله. وما ينبغي أن تكون أصول الدعوة إليه إلا على مولزينه، لا على موازين غيره من الأدبيات الدخيلة، والمقاييس الأرضية المستوردة.

ومن هنا؛ فإنه لا ينبغي أن نضرب بكل مكتسبات العمل الإسلامي المعاصر عرض الحائط، كلا، فهذا إما هو جهل أو غرور! بل لا بد من الاستفادة من كل مكتسباته الإيجابية في بعثة التجديد المقبلة عند العودة به إلى فطرته وأصالته. ولا ينبغي أن تستثنى من ذلك تجربة أو جماعة أو تيار. بل كل طائفة إسلامية عندها من الحق كما عندها من الباطل على قدر بعدها أو قربها من موازين الشريعة وأولويات الدين وقواعده. وصحيح أن الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة فيه الغنية

والكفاية، لكن القرآن علمنا أن التجربة الواقعية مهمة جدًا في تمحيص الدعوة؛ لما تتيحه للمراقب الحصيف من النظر في طبيعة النجاح والإخفاق، عند تحقيق مناط المفاهيم والأحكام، في مجال الدين عمومًا ومجال الدعوة إليه خصوصًا؛ ولهذا قص الله القصص في القرآن: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] - ولا شك أن تجارب الحركات الإسلامية المعاصرة هي من «قصص» هذا العصر، فلا يضرب عن كسبها إلا جاهل بسنن الله في التاريخ. والناظر في كسب العمل الإسلامي المعاصر يستطيع تصنيفه - باعتبار آخر - إلى ثلاثة أصناف على الإجمال، كل صنف منها اختص بجانب إيجابي في الدين والدعوة، وبرز فيه حتى كانت له فيه الريادة والإمامة، بينما ضعف في جوانب أخرى، ضعفًا أدى به في بعض الأحيان إلى الاختلال.

والأصناف الثلاثة للعمل الإسلامي للمعاصر هي: المدرسة السلفية العلمية، والمدرسة الحركية التنظيمية الإصلاحية، ثم المدرسة الدعوية ذات الطابع التربوي الصرف. والاستفادة من ذلك كله في سياق تجديد الدين على موازين الفطرة، مما قرره الكتاب والسنة، راجع - في نظرنا - إلى الإمكانيات التالية:

أولاً: الاستفادة من الإيجابيات التي حققتها المدرسة السلفية العلمية في مجال تصحيح المفاهيم العقدية، وتصنيفها من الشراكيات والخرافات، وما أنجزته من مجهود مشكور في مجال التحقيقات الحديثة، مما كان له أكبر الأثر في تصفية التراث الإسلامي على العموم.

ثانيًا: الاستفادة من إيجابيات المجهود الفكري في مجال الدراسات الواقعية والسياسية، مما أنجزه مفكرو الحركة الإسلامية الحديثة في العالم الإسلامي، وما أسهموا به من تحليل لمعطيات الواقع العالمي والإقليمي، ولما يتهده من أخطار وأضرار؛ بما أنتج منهجًا متميزًا لفقه الواقع، مما لا مناص عنه للداعية في سياق تحقيق مناط الأحكام الدعوية، ومما يعتبر الإعراض عنه ضربًا من الجهل بطبيعة الدين، من حيث نزل؛ ليتحقق في إطار الزمان والمكان، وليجري على موازين المعاديات في سنن التاريخ، وما تقتضيه ضرورات الواقع البشري.

الثالث: الاستفادة من التجارب التربوية الناجحة، التي حققها التيار التربوي الروحي، في كل من جماعة الدعوة والتبليغ، ذات الطابع الفطري البسيط، وجماعة النور التركية ذات الطابع القرآني العميق، التي أسسها مجدد الدين بيلاد الأناضول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمته الله، وطورها تحفقه الداعية الحكيم الأستاذ فتح الله كولن.

وكما نعلم أن لكل مذهب عقلاؤه وحكماءه، فإننا نعلم أيضاً أن لكل مذهب سفهاءه ودُهَناءه! وكما نعلم أيضاً أن لكل مذهب إيجابياته وإشراقاته، فإننا نعلم أيضاً أن لكل مذهب سلبياته وسَطَحاته! وإنما الحكم في ذلك جميعه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومقتضيات أصول العلم وقواعده المستنبطة منها.

ولذلك فإننا نكرر ونقرر - مرة أخرى - أن استفادة الدعاة من التجارب الدعوية المختلفة، لا ينبغي أن تكون على سبيل النقل الحرفي لصيغها، وإنما هي من الناحية التاريخية « قَصَصٌ » للاعتبار. وإلا فلكل بلد خصائصه التي يكون إهمالها ضرباً من الجهل بطبيعة الدين نفسه وقد رأينا في « قَصَصِهِمْ » عِزّاً من الفشل والتجاذب في أمر الدين والدعوة، وجحكماً بالغة، مما تشد إلى مثله الرجال.

وبعد هذا وذلك؛ فنحن نرى بناءً على استقراء واقع الحركات الإسلامية، وطبيعة الأزمة الإسلامية الحالية، في محتتها وفتنتها معاً - أن العالم الإسلامي مُقْبِلٌ - بحول الله - على « بِقْئَةِ تَجْدِيدٍ لِلدِّينِ » جديدة كما سنوضحه مفصلاً بحول الله بهذه الورقات. بعثة تجديد تستوعب التراث الحركي والدعوي الإسلامي المعاصر، ثم تتجاوزه إلى استيعاب آفاق المستقبل بحول الله، على ما تقتضيه التغيرات العالمية الجديدة، مسترشدة بهدي القرآن، وبياناته النبوية في الشأن الدعوي. « بعثة تجديد » نرى أن معالمها بدأت تظهر بالفعل على أرض الواقع، في عدة أماكن من العالم الإسلامي، لكنها لم تكتمل صورتها بعد. وهذا الكتاب إنما هو إسهام من جانبنا - على ما يشره الله - في البناء النظري والتطبيقي لبعض معالمها. والله الموفق للخير والهادي إليه.

المقدمة السابعة

في أقسام مشروع الفطرية

ومن هنا فإن مشروعنا هذا قائم على ثلاث مجموعات من التصنيف، جعلنا أغلبها ضمن سلسلتنا الدعوية: (من القرآن إلى العمران).

المجموعة الأولى: في منهج تجديد العلم ومفهوم العالم، وقد أصدرنا في ذلك كتاب (أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي) ؛ ورسالة (مفهوم العالَمِيَّة من الكتاب إلى الربانية) ؛ وذلك لأن المشروع الدعوي رهين بوجود العلماء المجددين أولاً؛ إذ هم مناط بعثة التجديد، كما تنص عليه نصوص القرآن والأحاديث النبوية المستفيضة. مما يبينه في هذا الكتاب وغيره. ثم هو رهين بتأسيس مدرسة علمية شرعية، تجمع ما بين (التأصيل والتأهيل) . التأصيل الذي يعيد إنتاج « الفقه في الدين » بمعناه الشمولي الأصيل، ويمجدد مناهج البحث في التراث الإسلامي؛ بما يجدد حركة الاجتهاد، ويمجدد حركة تداول النص الشرعي بمنهج فقهي راشد، لا حرفانية فيه ولا تسبب، والتأهيل الذي يُخرِّج الطاقات العلمية الواعدة، ويكوِّن الملكات الاستنباطية الراشدة، ويدفع بها إلى آفاق الاجتهاد والتجديد؛ لبناء صرح الأمة العلمي في منهج فقه الدين وتنزيله.

المجموعة الثانية: في التأصيل النظري للعمل الدعوي، وهي راجعة إلى بيان طبيعة المنهاج الفطري، القائم أساساً على منهج التلقي التربوي للقرآن الكريم، وعلى التداول الاجتماعي لآياته ومفاهيمه. ومثلها هذا الكتاب الذي بين يديك أساساً. أعني كتاب (الفطرية)، إضافة لما سبق أن أصدرناه في نفس الاتجاه من الكتب الممهدة له، مثل كتاب (التوحيد والوساطة في التربية الدعوية)، و (بلاغ الرسالة القرآنية) .

المجموعة الثالثة: في مجالس القرآن وتلقي رسالته، وهو العمود الفقري لمشروعنا الدعوي على المستوى التطبيقي خاصة. وقد أصدرنا فيه رسالة (مجالس القرآن)، التي ترمي إلى محاولة بيان المنهج العملي لتدريس القرآن الكريم وتدبره، وطريقة بناء مجالسه، ومنهج تداوله على المستوى الاجتماعي. والعزم بحول الله معقود على جعل ذلك الكتيب مقدمة لدراسات تطبيقية في كتاب الله، ذات طابع تربوي، تقوم على مدارسة السور والآيات على « وحدات » أو حلقات، كل وحدة أو حلقة تشكل « مجلساً قرآنياً » متكاملًا، وذلك على حسب ما يستوعبه المجلس الواحد من قضايا، في ظرف زمني قريب، لا إفراط فيه ولا تفريط، مما نطيقه طبائع النفوس، مع تيسير طريقة التدبر للآيات، بصورة تربوية تعليمية، واستخراج ما تيسر استخراجه مما تتضمنه من هُدى قرآني، ثم بيان مسلك التزكية والتخلق بالحقائق الإيمانية المشلقة من الآيات المدروسة عند نهاية كل « مجلس ».

ونحسب أن هذا المشروع بهذه الصورة المدرسية التعليمية، هو مما لم تتناوله كتب التفسير، وما تزال المكتبة القرآنية تعاني من فراغ في هذا الشأن خاصة. أما العمل فهو من الناحية المنهجية عين مجالس القرآن النبوية، وهو عين ما تواتر الخبر به عن مجالس أصحاب رسول الله مع أتباعهم، بعد تفرقهم في الأمصار للدعوة والجهاد. كما يناه في محله. ^(١) وإنما نحن في هذا مقتدون متبعون. ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَفْئِدَةٌ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولا شك أن كثيرًا من كتب التفسير تتضمن من بيانات الهدى القرآني الشيء الكثير، لكنها تحتاج إلى أهل العلم والاختصاص الشرعي لاستخراجها والكشف عن وجهها. نريد أن الغاية من هذا المشروع إنما هو عرض ذلك واضحا مفصلاً، بصورة مدرسية تربوية بنائية، ومرتبًا عبر رسائل بينة، سهلة التلقي للمتلقين، من غير المختصين بالشرعية أساسًا؛ قصد تعميم الاستفادة من كتاب الله جلّ علاه، على مستوى إصلاح النفس والمجتمع؛ تحقيقًا لمناط آية وظائف النبوة: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ وَأَنْبَأَهُمْ وَأَنْبَأَهُمْ وَرَبُّكَ بِهِمْ أَلِكُتِّبَ وَالْعِصْفَةَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(١) ن. ذلك مفصلاً في كتيب مجالس القرآن: (٢٩)، وفي بلاغ الرسالة القرآنية: (١٦٦)،

والفكرات الرئيسية من كل ذلك هي قضية (الظلي) لرسالات القرآن، من حيث
تخصها لهدى الله حل حلالاً لأننا نحسب أن أكبر طاعة وتوجهت للملك الإسلامي
في هذا العصر، هي نجاح العدو في خيل الأمة عن كتاب ربها: القرآن العظيم
فقد أتت أجيال بعد ذلك من المسلمين - مع الأسف الشديد - لا تعرف القرآن
إلا ترغماً وتغرضاً بل شأ منها من مقلده ومباريه!

والحقيقة أنه لا تكون بمجرد تحميم حفظه واستظهاره فحسب؛ وهو عمل عظيم
وحليل بلا شك، وحسب قسماً من فيه ومحمداً، ولكن - قبل ذلك وبعد - تكون
بتجسيد شيء أساسي في الأمة هو ما عرفناه به « الظلي »، بهذا، بمعنى الظلي
خطه الإلهية، ومناهجه الشرعية، ورسائله الخلقية، وأحكامه الشرعية، وذلك
استفادة من هذه آيات قرآنية، ولما تمت سورة مسبوحة من مثل قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ
لَكَ الْكُلُّ مِثْلَ نَجْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (سورة النجم: ١٦)، ولونه سبحانه: ﴿ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ
فَرَلَا نَجْةَ ﴾ (سورة النجم: ١٧)، ثم استمره منج نبي ﷺ في تعامل مع القرآن هو
وصيه الحكام، كما يراه مقلداً وموالياً بأدلة من قبله وكما سنبه هذه
الورقات بحول الله ^[١].

وهذا لا يكون إلا بالرجوع إلى منهج القرآن نفسه في عرض قضايا القرآن،
ومنهج الرسول ﷺ في تلقيه من الله ومنهج أمته - وصولاً إلى الله عنهم - في
تلقاها من رسول الله، وهو منهج واحد ثابت، لكن له تحليات على حسب مقام
المتلقي وهو أمر مسطور في الكتاب، لا يحتاج إلا إلى استنباط، وهو ما يعاونه هذا
التسريح بحول الله.

والأولى لأيات التي ملوحتها نبي ﷺ إنما كانت بمجمع الشقي، ولذلك كانت
أهم وظائف الشجرة الكبرى عامة بوسيلة، فوجدت مقصودة لأنها ونصيرها في سياق بيان
« مسائل الإصلاح » دعوي ومقدمة في الإسلام، كما هو واضح نبش في أية الموطأ
« وبما المذكورة من قول: ﴿ لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ جَاءَتْ بِجَهَنَّمَ وَمَثَلًا لِّبَنِي
آدَمَ خَلَقَهُمْ مِنْ طِينٍ كَذَلِكَ... ﴾ (سورة النجم: ١٧) : « ثم ذكرت التلاوة في المجال الدعوي
مقدمة منه على أنه أساس الدعوة في الإسلام، وهو أنه الوظيفة الأم للإصلاح

(١) هو في الرسالة الخلقية، وبيان رسالة تربية، وبيان رسالة تربية، وبيان رسالة تربية.

النبوي، وهو ما ورد في كتاب الله في أكثر من موطن، ويكفيك منه خاتمة سورة النمل، من قوله تعالى على لسان رسوله ﷺ مقررًا منهجه الدعوي بأسلوب الحصر المانع: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَـذِهِ الدِّينُ الْحَقُّ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿وَقُلْ لِّمَنذُوقٍ مِنْ رَبِّكَ مَا يَنْزِلُ فَعَرِفْتُمْهَا وَإِنَّمَا يَنْزِلُ عَلَيْهَا بِإِذْنِ رَبِّكَ فَتَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٩١ - ٩٣). ولكنها تلاوة ليست كأني تلاوة إنها تلاوة الملقين للقرآن العظيم، الذين هم وحدهم لهم القدرة على إلقاء حقائقه الإيمانية في قلوب المسلمين وفي قلوب من شاء الله من غير المسلمين وتلك هي فكرة مجالس القرآن الكريم. والآيات لمن تدبرها جامعة مانعة لما نحن فيه.

ونحن نؤمن بيقين أن هذا المنهاج القرآني الفطري في التعامل مع القرآن المجيد، إذا تم تعميمه (تلاوة وتزكية وتقليبنا) على مقتضى الوظائف الثلاث للنبوة، وما يتفرع عنها من وسائل وبرامج، كان كافيًا لإعادة تجديد دين الأمة بصورة شاملة، سواء في ذلك ما يصلحها في ذاتها لذاتها، وما يجعلها تسترجع دورها الحضاري العالمي، وموقعها الريادي القيادي، شهادة على الناس أجمعين؛ دينًا وشوكة، واجتماعًا وسياسة، واقتصادًا وعمرانًا! ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[يوسف: ٢١].

ذلك، وما التوفيق إلا بالله.

الْفِطْرَةُ
بعثة التجديد المقبلة
من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

الفصل الأول

الفطرية مدخل إلى تأسيس القضية

■ وفيه مبحثان:

المبحث الأول : « بعثة التجديد » دراسة في المفهوم.

المبحث الثاني : الفطرية نقلة نوعية ، من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام.

الْمَبْعَثُ الْأَوَّلُ

« بعثة التجديد » دراسة في المفهوم

يرد مفهوم (البعث) في القرآن والسنة بمعنىين اثنين:

الأول: هو بمعنى إحياء الموات، كما في قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا تِلْكَ الْمَائَةُ عَامٍ ثُمَّ يَسْأَلُكُم بِهَا نَارُكُمْ ۚ وَتُؤْتُونَ بِهَا فُجُورًا ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَهُمْ آيَاتُ الْكَتَابِ ۚ وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْآيَاتُ لَعَلَّاهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ۚ بَلْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَصْغَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٣٨]. وقوله أيضاً: ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنْتَ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧]... إلخ، فالبعث هنا فعل قدرى تكويني يرجع إلى إرادة الله - جل وعلا - بإحياء الميت، وتجهيز الحياة فيه؛ ليخرج من عالم الفناء إلى عالم البقاء، أو من دائرة العدم إلى دائرة الوجود.

ولا يكون البعث - بهذا المعنى - إلا بعد حياة سابقة يعقبها موت؛ لما للمعنى (البعث) من دلالة على إعادة الحياة إلى من فقدوها، وليس بمعنى نفي الحياة ابتداءً، فهذا إنما هو (خلق) .

وأما البعث فهو: (إعادة خلق) ، كما هو مفهوم من النصوص السابقة، وفي قول الله أيضاً، في حق يحيى عليه السلام: ﴿ وَرَسُولٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ يُدْعَى ذِكْرُ اللَّهِ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥] .

وأما المعنى الثاني لمفهوم (البعث) فيرجع إلى معنى (الإرسال) . وهو: تكليف الرسل بوظيفة البلاغ. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُولَاهَا رَسُولًا يُثْلُوا عَلَيْهِمْ ۚ أَلَيْسَ تِلْكَ الْآيَةُ لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ آيَاتٌ ۚ وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْآيَاتُ لَعَلَّاهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾

حَقَّ بَعَثَ رَسُولًا ﴿ [الاسراء: ١٥] . وقوله جل وعلا: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٣] . ونحو هذا وذلك في القرآن كثير.

فالبعث: هنا يرجع إلى معنى تكليفي، وأمر تشريعي تعديدي، بينما هو في الأول راجع إلى أمر قَدَرِي تكويني، إلا أن هذا المعنى الثاني يستصحب المعنى الأول من الناحية السيميائية، فلا يمكن تجريد اللفظ من إحياءاته الإحيائية، فكأنما ورود المبعوث على الأمة الضالة نوع من الغيث يحيي منها الموات، ويبعث فيها الحياة! ومن هنا كان قول النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»^(١)؛ تعبيرًا جامعا لكل تلك المعاني، فهو دالٌّ بالأصالة على تجديد البعثة بالمعنى الإرسالي، أعني إرسال العلماء لا الأنبياء، وليس هو ابتداء وحى، وإنما هو تعليم وحى إعادة وتجديدًا، وهو دال بالتبع على معنى الإحياء، فيبثُّ المجددين إنما هو إحياء للأمة، ونفخُ لروح القرآن فيها من جديد، حتى تعود إليها الحياة، وتنحرف من جديد في صناعة التاريخ. ومن هنا كان «**العلماء ورثة الأنبياء**»^(٢) كما صح في الحديث. هذا المعنى العظيم تؤكدُه بصائر القرآن العظيم، وبشائر السنة النبوية، وحركة التاريخ.

ولا تكون البعثة - بناءً على ذلك - إلا عملية جذرية شاملة وعامة، سواء رجعت في البدء إلى شخص واحد، أو إلى عدة أشخاص، على الخلاف في تأويل معنى لفظ (من) الوارد في الحديث: (من يجدد لها دينها)، أهو دال على المفرد أم على الجمع؟ قلت: هو في جميع الأحوال آتِل إلى الجمع، حتى ولو حملناه على المفرد. أعني حتى ولو كان المنطلق التجديدي فردًا. ألا ترى أن أصل البعثة النبوية في هذه الأمة إنما هو رسول الله ﷺ نبي واحد خاتم، ولكن مظاهر بعثته ﷺ تجذرت في جيل كامل من الصحابة رضِيَ الله عنهم، تلك هي الموجة الأولى من البعثة الأولى، حملت دفعة الوحي قوية، تحيي الموات في الأرض.

ثم كانت بعد ذلك موجات متفرعة عنها، هي منها وإليها، وهي بعثات التجديد

(١) رواه أبو دارد، والحاكم، والبيهقي في المعرفة، عن أبي هريرة مرفوعًا. وصححه الألباني، رقم: (١٨٧٤) في صحيح الجامع.

(٢) جزء حديث أخرجه أحمد، والأربعة، وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٢٩٧).

التي حصلت في التاريخ؛ إذ شهد جيل التابعين الكبار والصغار، ومن عاصرهم من أتباعهم أول عملية للتجديد، في أواخر المائة الأولى وبداية الثانية، من أمثال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ)، وعامر الشعبي (ت: ١٠٧هـ)، والحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧هـ)... إلخ. وغيرهم كثير، ممن كانوا جيل التجديد الأول بعد جيل الصحابة؛ حيث نشروا العلم، وربوا الأمة، وبنوا أصول مدارس العلم واتجاهاته، قبل تبلورها على أيدي جيل فقهاء الأمصار الكبار، الذين مثلوا بعثة التجديد للمرحلة الثانية، ولدورة جديدة من دورات التاريخ، من أمثال أبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠هـ)، وعبد الرحمن الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ)، والليث بن سعد (ت: ١٧٥هـ)، ومالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ) ومحمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وغيرهم.

وهكذا عرف جيل القرن، عند النصف الثاني من كل قرن حتى نهايته، أو عند النصف الأول من القرن حتى أواسطه، بعثة تجديد الدعوة، من جوانب متعددة؛ منها ما يتعلق بالدين أصالة، ومنها ما يتعلق به تبعًا. فقد شهدت بداية القرن الثامن مثلاً؛ دعوة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، ومدرسته التجديدية، من تلامذته المشهورين كابن القيم وغيره، كما شهدت نهاية القرن بعثة أبي إسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) بالأندلس من الغرب الإسلامي، ومعه جيل من المجددين المعاصرين له، في ميادين شتى؛ كعبد الرحمن بن خلدون الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ) في تجديد علم التاريخ وفقه العمران البشري مثلاً... إلخ.

إن القول بفردية المجدد، وحصر بعثة التجديد فيه؛ إنما هو نوع من التحكم، أو التعصب المذهبي ليس إلا! وكذلك التفسير الحرفي لـ (رأس المائة) من كل قرن بسنة محددة عينا هو أيضا سوء فهم؛ لأن حركة التاريخ لا تكون وليدة سنة أو سنتين، بل هي نتاج عمر كامل، وإنما قد تبرز ثمارها بشكل واضح مع مطلع هذه السنة بالتحديد، أو تلك. ذلك أن نضج الإنسان ونشاطه التجديدي إنما يكون على امتداد جيل، أي على نحو ثلاثين أو أربعين سنة، وليس مختزلاً في سنة واحدة، وإنما يفهم حديث رسول الله ﷺ على هذا الوزن، فبعثة التجديد من قوله ﷺ: «على

رأس كل مائة سنة؛ قد تنطلق قبل تمام القرن بسنة، أو سنتين، أو ثلاث، وقد تتأخر عن ذلك بنفس المقدار، مع مراعاة سائر الاحتمالات الممكنة في تحديد بداية العد، مما سنذكره بعد قليل، ما دام المقصود أن الجيل المجدد للقرن - الذي قد يولد في أواخر القرن الماضي أو نهايته، أو في بداية القرن الجديد - هو حامل رسالة التجديد، وهو موضوع البعثة الحامل لرسالتها.

ثم بعد هذا وذاك، كيف بدء العد لتمام المائة سنة عددًا؟ ما هو رأس القرن الذي عليه مدار ظهور بعثة التجديد؟ هل هو بدء انطلاق دعوة المجدد السابق؟ أم هو نهايته ووفاته؟ أم هو مضي مائة سنة على لحظة الانتكاس والانهيال الذي يتطلب التجديد؟ تلك أسئلة كلها واردة ومحتملة، وأغلب العلماء إنما عدوا قديمًا (مائة التجديد) بالعد الهجري، وليس من تاريخ بدء البعثة النبوية، أي من يوم نزول (اقرأ)، وهو إمكان محتمل أيضًا، ولا من سنة وفاة النبي ﷺ وهو أيضًا ممكن محتمل أيضًا؛ حيث يبدأ النسيج الاجتماعي الديني في البلى شيئًا فشيئًا، حتى يبعث جيل التجديد عند نهاية القرن من ذلك التاريخ، وإنما كان العد - كما ذكرت - من عام هجرة النبي ﷺ وهو راجح أيضًا؛ لأنه صُلِبَ عهد البعثة النبوية، ومنعطف التاريخ لبدء التمكن للدعوة الإسلامية الأولى؛ دينًا ودولة في الأرض.

والعبرة في ذلك كله إنما هو بما يقربنا من تحقيق مناهج الحديث - في زماننا هذا - على أقرب مفاذ؛ يمكن الاستناد إليه في تبيين ملامح بعثة التجديد المقبلة. فنقول بحول الله:

إذا نظرنا إلى بعثة التجديد السابقة في جيل القرن الماضي، أي القرن الرابع عشر الهجري وجدنا أنه قد شهدت بدايته إلى أواسطه حركة شاملة، ونهضة عامة، مع ظهور جيل الشيخ رشيد رضا، والإمام حسن البنا، وسيد قطب في مصر، والشيخ محمد إلياس في الهند، والأستاذ أبي الأعلى المودودي في باكستان، وبديع الزمان النورسي في تركيا، والشيخ الطاهر ابن عاشور في تونس، والإمام عبد الحميد بن باديس في الجزائر، والشيخ أبي شعيب الدكالي في المغرب... إلخ، مع تلامذتهم جميعًا، كلهم شكّل بعثة التجديد لجيل كامل من العلماء المنتصبين للدعوة.

وبالعد الميلادي كان ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهي فترة

شهدت أحداثاً مهمة جداً بالنسبة للعالم الإسلامي، فقد كان عهد اكتساح الاستعمار الأوروبي، وإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية، وتوزيع تركة الرجل المريض، ثم إنشاء الكيان الصهيوني بفلسطين كل ذلك كان مرحلة من سنة الله في التاريخ؛ لإنضاج بعثة التجديد، التي قاومت ظلمات الاحتلال الأوروبي، ثم امتدت بعده لتصفية آثاره، على المستويات الفكرية والعقدية والاقتصادية والسياسية... إلخ .

ولحد الآن لم يتكرر جيل من حجم جيل حسن البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عودة، وسعيد النورسي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد إلياس، ومحمد إقبال، وابن عاشور، وأمثالهم بهذا الاجتماع، وبهذا التابع والتكامل! ظهر أفراد هنا وهناك ولكن لم يصنعوا بعثة من جيلهم، بقدر ما كانوا امتداداً فكرياً أو تنظيمياً - وفي بعض الأحيان حرفياً - لجيل البعثة السابق، ليس إلا!

وأحسب أن الزمان قد دار دورة أخرى، وأن بعثة جيل الاستعمار الأول قد استنفدت أغراضها، من حيث تأثيرها التجديدي، كما أن التحديات قد اختلفت وتغيرت، وتعددت، كما أن طبيعة المعركة صارت لها أبعاد أخرى!

ويمكن أن نعتبر تاريخ إسقاط الخلافة الإسلامية: (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) وانطلاق دعوة الإمام حسن البنا رحمته الله بعد أربع سنوات فقط من ذلك التاريخ أي حوالي سنة: (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، وكتابة النورسي لأول رسائله التجديدية في السنة نفسها، دون معرفة أحدهما بالآخر! وما صاحب ذلك من حركات واجتهادات مشابهة في العالم الإسلامي، عجمية وعربية، مما ظهر في نفس الفترة تقريباً من السوابق والملاحق، كل ذلك كان مؤشراً على أن البعثة التجديدية، كانت في عتقوان موجتها القوية آتخذ، من مصر إلى المغرب ومن تركيا إلى الهند، وكل ذلك أيضاً كان عبارة عن دورة تجديدية واحدة، ذات طابع واحد في أسبابها وأغلب مظاهرها.

ومن هنا؛ فإنه يستقيم إلى حد بعيد أن نبني عليه في عتد المائة التجديدية؛ لما نحن مقبلون عليه بحول الله - كأمة - خلال القرن الخامس عشر الهجري.

والقراءة لظروف العالم الإسلامي اليوم، كما هي بادية من أحداث مرحلتنا التاريخية هذه، بآلامها وآمالها - ونحن نمضي نحو أواسط القرن الخامس عشر الهجري، في اتجاه إتمام المائة سنة على بدء دورة التجديد السابقة - تثبت أننا على

أبواب تحولات جديدة، هي في تاريخ العالم قد بدأت بالفعل؛ إذ يمكن اعتبار سقوط الاتحاد السوفياتي، وتفرد الهيمنة الأمريكية الصهيونية على العالم أحد مؤشراتهما، كما لا يمكن - في هذا الصدد - إغفال الاتجاه الوجودي الأوربي، والتقارب الوثنية الصهيونية، وكذا الانهيار العربي الفظيع ومقولاته السياسية والقومية، والإبادات الجماعية لشعوب العالم الإسلامي في كل مكان! ثم عجز الحركات الإسلامية في العالم - غالبًا - عن مواكبة التحولات العالمية الجديدة، وإصرارها على المنهج السياسي التقليدي في النقد والاحتجاج، هذا المنهج الذي ورثت أغلب تقنياته التنظيمية والحركية؛ عن الأحزاب السياسية العلمانية البائدة، التي نشأت في ظل الاستعمار وبقيته، ولم يبق لها اليوم في واقع الناس إلا ظلال باهتة، هي أشبه ما تكون بأطلال الماضي لم تستطع الحركات الإسلامية في الغالب أن تخرج من جبهة الحزب السياسي، وغودجه التضاللي الدخيل! وإن ادعت أنها تفارقه وترفضه، فإنما هي صورة تقليدية له، إما بصورة اجتماعية، أو - في بعض الأحيان - بصورة حرفية! تعلقت الحركات الإسلامية التقليدية بعقدة الأنظمة الحاكمة، ومشكلة الديمقراطية في العالم الإسلامي، وضخمتها إلى درجة التقديس التقديري فانهصرت آفاقها في دائرة الفعل السياسي الجزئي، وتاهت في جزئيات الحدث اليومي الذي لا يعرف قراء ولا استقرارًا.

وأحسب أن التاريخ الجديد بمعطياته الحاضرة، وبملاحمه المستقبلية؛ قد تجاوز هذه المشكلات جميعًا، فلم تعد الأنظمة الحاكمة تملك شيئًا على الحقيقة، وباشر الاستعمار العالمي اليوم، في الصورة الأمريكية الصهيونية قمع الشعوب بنفسه، وبدون أي وكالة من هذا النظام أو ذاك!

ثم امتدت الآلة الإعلامية والثقافية والاقتصادية؛ لتستعمر الإنسان المسلم، في أخص خصائصه الوجدانية والمقدية والاستهلاكية؛ ليعيش على النمط الأمريكي، أو يسمى إلى ذلك، حتى صار على استعداد - في بعض الأحيان وفي بعض الأوطان - للتضحية بكل مقدساته من أجل ذلك! والآلة الاستعمارية الشمولية الجديدة، متمثلة في الكتلة الأمريكية/الصهيونية منهكة في حرب شاملة؛ لتذيب الباقي والشارد من الشعوب الإسلامية؛ في هالوك (العولة)، أو (حركة تهويد العالم) ! هذه أشياء

نشاهدنا على مرأى ومسمع من العالم، وهي اليوم أظهر من أن تحتاج إلى دليل! (١)
لقد تمكن الاستعمار القديم من الأوطان، فقامت عليه بعثة تجديد مجاهدة، مناسبة
لفجوره وبجوره! فحاربت وجوده العسكري والأيدولوجي بعد ذلك بشتى
الوسائل. بيد أن الاستعمار الجديد تمكن من الإنسان قبل أن يتمكن من الأوطان!
فاقتحم جسور البلاد بالشهوات قبل أن يقتحمها بالمدركات والدبابات! ففقدت
الشعوب الإسلامية قوتها على الصمود أمام الإغراء العلمي، وفقدت نمط عيشها
وطرائق استهلاكها، واحتوتها الفلسفة الأمريكية الشهوانية احتواءً كلياً إلا قليلاً!

نعم، إنهم معارضون لأمريكا، لكن بمعنى أنهم يكرهون ظلمها فقط، لا بمعنى
الكفر بوثنياتها وتآلفها اللبيري، ورفض منهج حياتها، وطبيعة عيشها، ومن هنا كان
نقدهم لها عملية تقويمية جزئية، من داخل بنيتها، ومن خلال نمطها، لا من خلال
منظومة القرآن العظيم، ولا من خلال مقومات الشخصية الإسلامية المستقلة الأصيلة!
ومن هنا فإن بعثة التجديد المقبلة مدعوة إلى تحرير الإنسان قبل تحرير السلطان، وإلى
تحرير الوجدان قبل تحرير الأوطان! ولقد رأينا كيف أن أحزاب المقاومة للاستعمار القديم
في كثير من البلاد العربية والإسلامية، لما تخلصت من هيمنته العسكرية والإدارية
المباشرة؛ خلفته في شعوبها بكل ألوان الفسوق والعصيان، وإعلان التمرد على شريعة
الرحمن! وليس معنى هذا أنه يجب علينا أن نهادن الاستعمار الجديد، كلا بل نجيب
مقاومته، ولكن على أن يؤسس ذلك كله على البناء العقدي والجهاد التربوي. إننا في
حاجة إلى تنزيل جديد للقرآن؛ لكن هذه المرة ليس وحياً من السماء، فمحمد بن
عبد الله - عليه الصلاة والسلام - قد ختم بعثة الرسل. وإنما التنزيل الجديد: هو قدح
لحركة التداول الاجتماعي للقرآن، وذلك بأن ينطلق أهل البعثة التجديدية بآياته وحقائقه
في المجتمع؛ تبصراً وتبصيراً، وتديراً وتديراً، في دعوة تربوية بنائية شاملة (٢).

لقد كان الرسول الخاتم ﷺ في اللحظات الأولى من نزول القرآن عليه؛ في حاجة
إلى الإيمان بنفسه أولاً، وهذه قضية مهمة سنحتاج إليها قريباً، ألم تر أنه خاطب -

(١) وذلك ما حدثنا منه في كينيا (الفجر السياسي)؛ فرد علينا بعضهم بوجع من السخريّة، ورد
آخرون بتقليل أهمية الخطر. وقلة من الدعاة هم الذين رأوا ما رأينا.

(٢) سأتي بيان ذلك مفصلاً في الفصول اللاحقة بحول الله.

كما في الحديث المتفق عليه - بقوله تعالى : « اقرأ » فكان جوابه مكرراً بتكرار الأمر : « ما أنا بقارئ ! » حتى قال - في سياق قصة هذا الحديث نفسه - لزوجته أم المؤمنين خديجة عليها السلام : « أي خديجة ! ما لي ؟ لقد خشيت على نفسي ! » فجعلت نواصيه وتعلمته حتى ذهب عنه الروع ، ثم ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وكان عليهما بالإنجيل ، يستفسرانه عن حاله عليه السلام وطبيعة ما يراه عليه الصلاة والسلام ^(١) وقد ورد في الصحيحين أيضاً أنه عليه السلام قال : « يَا أَنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَرُفِعَتْ مِنِّي » [وفي رواية أخرى للشيوخين أيضاً : فُجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ] فرجعت فقلت : زُمَلُونِي زُمَلُونِي ! فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ رَبِّكَ كَذِبٌ ﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَطَفِّرْ ﴿٤﴾ وَالْزُّرُّورُ فَطَفِّرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدر: ١ - ٥] ، فحمي الوحي وتتابع ^(٢).

(١) عن عائشة أم المؤمنين عليها السلام قالت : « كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يلحق بغار حراء ، فيتحفث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيزود عنها ، حتى نجاه الحن وهو في غار حراء ، فجاهد الملك فقال : اقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أنا بقارئ » . قال : « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ » [العلق: ١ - ٥] . فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال : « زملوني زملوني » . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . قال خديجة : « أي خديجة ، ما لي ؟ لقد خشيت على نفسي ! » فأخبرها الخبر ، قالت خديجة : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخرئك الله أبداً ! فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأة تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، ويكتب من الإنجيل بالعبرية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ! قال ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، لينبي فيها جذعاً ، لينبي أكون حجلاً ! إذ يخرجك فومك ! قال رسول الله ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْرَجَنِي مِنْ دُونِ هَذِهِ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا أَوْذَى ، وَإِنْ يَخْرِجْنِي يُؤْمِنُ بِكُمْ حِجْلًا أُنصِرُكُمْ نَصْرًا مُؤَزَّزًا . ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تَوَفَّى ، وَفُتِرَ الْوَحْيُ فَنُفِرَ ، حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . » متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

مشروع لا يعدو أن يكون مجرد تبين لمجموع مفاهيمه من خلال شواهد قرآنية ونصوص حديثة، مبتورة من سياقها، مجردة عن مقاصدها الشرعية، مفرغة من آثارها التربوية في النفس وفي المجتمع! إن (بعثة التجديد) هي دعوة كلية تعيد صياغة الإنسان من خلال استعادة إنتاج التنزيل القرآني بمنهجيته التربوية الربانية الشاملة، بوعي علمي راشد، قوامه (الفقه في الدين) بمعناه الكلي، يؤمه جيل من العلماء الحكماء، ينطلقون مرة أخرى بالمعلوم من الدين بالضرورة، فيجددون الأصول العقدية والعملية، بمعنى تجديد الغرس والتربة والتكوين.

إنها إذن؛ تجديد المشاهدة للحقائق الإيمانية، وتجديد التأسيس الاجتماعي بالكتاب وإقام الصلاة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ زَكَاةً وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّآ لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

الحاجة إذن تدعو - كما ذكرنا - إلى تجديد «الدعوة الإسلامية» ؛ بدل «الحركات الإسلامية»! إن «الدعوة الإسلامية» هي مصدر بعثة التجديد، بما تحدثنا عنه من اصطلاح، وهي المتحركة أساساً في حركة تحول المجتمع، وتوجيه التيار، وبناء النسيج الديني.

إن دعوة الإسلام هي عمل في صلب الدين، واندماج في فضاءه الإيمانية، وأحكامه الشرعية، واشتغال بنصوصه تربية ودعوة؛ سبباً نحو مفهوم تجديد الدين في الأمة، بما هو دين، أنزل أساساً ليُقْبَدَ به الله في الأرض. بينما آل أمر «الحركة الإسلامية» - كما سبق بيانه - إلى «حركة سياسية» ذات توجه إسلامي! فهي عمل باسم الدين، ورفع لشعاره، تدور حوله لا داخله، ولو أن الأصل فيها أنها تشتغل من أجله.

وبيان ذلك هو كما يلي:

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

الفطرية نقلة نوعية من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

أول سؤال نضعه في هذا السياق إذن هو: هل استندت « الحركة الإسلامية » أغراضها؟

لا خلاف في أن « الحركة الإسلامية » تعمل من أجل الدين على الإجمال، ولذلك قلنا قبل: إنها (بيان دعوي)^(١). لكن هذا إنما هو من حيث الطبيعة العامة المتصفة بها، والرغبة الوجدانية الكامنة فيها، والمسببة لنشأتها. وأما من حيث الصيغة المنهجية فهي مظهر (حزبي)، بالمعنى السياسي الغربي الحديث للمصطلح، يمكن أن يتجلى - على مستوى الشكل - في عدة صور اصطلاحية، من مثل مصطلح « جماعة »، أو « حركة »، أو « تنظيم »، أو « منظمة »، لكنه يرجع في النهاية إلى جوهر واحد؛ هو مفهوم « الحزب » بمعناه السياسي. وذلك بغض النظر عن مشاركته الفعلية في الانتخابات أو ما يسمى « باللعبة السياسية » على الإجمال، أو عدم مشاركته، فتلك قصة أخرى لا تغير من واقع الأمر شيئاً! وإنما العبرة بالبنية المنهجية والتصورية التي تحكم في مسار الحركة؛ حيث إن الحزب السياسي قد يكون له وجود حركي « مشارك »، وقد يكون له وجود حركي « رافض »، وتكون مشاركته متحققة بالفعل من خلال الدعوة إلى « الرفض السياسي »؛ فيستوي بذلك مع الأول من حيث المآل المنهجي؛ ولذلك قلنا غير ما مرة: إنهما وجهان لعملة واحدة!

ومن هنا يمكن أن نميز في الحركة الإسلامية بين شيئين: المظهر والمنهج.

(١) البيان الدعوي: (٢٤ - ٤٦).

فالمنهج الإسلامي، هذا على الإجمال، وقد فصلناه بأدلته في كتابنا «البيان الدعوي». وأما **المنهج** فمن الصعوبة أن ننفي عنه التأثير بالطروحة السياسية بمعناها العلماني الحديث، وبرود الأفعال المنهجية في مواجهة الأحزاب السياسية المعاصرة! هذا على الإجمال أيضًا، مع عدم نفي الخصوص الديني للحركة الإسلامية، فالتأثير العلماني راجع في جوهره إلى تبني النموذج الغربي في «التغيير»، وتبني الأطروحة التاريخية الأوربية للثورات الدموية، أو للتحويلات الديمقراطية، وفي كلتا الصورتين تَبَنُّ واعٍ، أو غير واعٍ، لمنهج التغيير العلماني، وهو في نهاية المطاف لا ينتج مجتمعًا مجددًا؛ بقدر ما ينتج صورة ظليلة لذلك المجتمع نفسه! مهما حدث من تحولات ديمقراطية وسياسية، فلا تحول في الجوهر؛ إذ الجوهر إنما هو وجدان الإنسان.

الوجدان - أو «القلب» بمفهومه القرآني لا العاطفي - هو مناط الإصلاح الديني في الإسلام. وهو الذي منه تنبع - على الحقيقة - المواقف والتصورات والتصرفات، والذي عنه تنشأ العلاقات الأفقية والعمودية، التي هي أساس بناء السيج الاجتماعي، في صلة الإنسان بربه، وفي صلته بأخيه الإنسان، على سائر المستويات العقدية، والتعبدية، والاقتصادية، والسياسية، والعمرانية عمومًا. وهذا أمر لا تصل إليه الحركات الإسلامية بمناهجها الشكلانية هذه، فالوجدان لا يُصَنِّعُ إلا في مختبرات الدين، بما هو «دعوة إسلامية» بالدرجة الأولى.

ومن هنا تكون «الحركة الإسلامية» عملًا محدودًا بحدود اجتهادية، وتنظيمية، وبشرية. إنها تصور بشري وضحي ذو أصول علمانية، لمنهج العمل في ترجمة قيم الدين ومقاصده، وهما أمران لا يجتمعان، ومن هنا لا يست الإسلام وفارقه في آني واحد؛ فقد لا يسته في (الانتساب) على مستوى القصد العام وتجلياته، وعلى مستوى الشعارات والبرامج العامة، وفارقه في (النسبة) على مستوى المنهاج، في أساليب العمل والإصلاح.

وربما كان لهذه الظاهرة مبرر وجود في مرحلة سابقة، مرحلة الدعاية الإسلامية وإغلاء الشعار، مما أنتجته بعثة التجديد السابقة، بيد أن المعركة الحضارية الجديدة قد تجاوزته بتحدياتها العميقة وأسلحتها الفتاكة الجديدة، التي تمس مفهوم الإنسان

وفطرته، وتدمر نسيجه الاجتماعي وخصائصه الحضارية، مما تفرضه اليوم العولة في صورتها الشمولية الجديدة.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن الحركة الإسلامية - بصورتها التقليدية هذه - محكومة بسنن الاجتماع البشري، تمامًا كالحضارات والدول بالمعنى الخلدوني، أي أن لها مرحلة نشأة، ومرحلة نضج واكتمال، ثم مرحلة هزم وانحيار.

ولا يعني ذلك طبعًا أن الإسلام يتأثر ضرورة بما يصيبها، فقد ينشئ الله ﷻ لديه موجة تاريخية أخرى، تحمله وتوصل دعوته. قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتًا لَّكُمْ﴾ (محمد: ٣٨). وقال سبحانه: ﴿أَوَلَيْكُمُ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْفِكْرَ وَالنَّبِيَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فهذه قضية أخرى، والإسلام قائم حتى قيام الساعة.

ولما حديثنا عن الحركة الإسلامية هنا إنما هو باعتبارها تجربة بشرية، أي بما هي حركة متولدة في التاريخ، محكومة بالسنن الربانية، التي تحكم سائر التجارب والمكاسب البشرية في المجتمع، فهي سنن ثابتة، لا تتحاي أحدًا، ولا تتحامل على أحد. قال تعالى: ﴿وَلَنْ نَّجْعِدَ لِّشَيْئٍ آلَاءَهُ نَدِيرًا﴾ (الأحزاب: ٦٢). وعليه فإننا نحسب أن الحركة الإسلامية في صيغتها التقليدية هذه، قد استنفدت أغراضها، أو - بالتعبير الأدق - هي على وشك ذلك. ونقصد بالصيغة التقليدية: الصورة الحزبية التي اكتسبتها الحركة الإسلامية الحديثة في نشأتها؛ تأثرًا بالنظام الحزبي الغربي، وقد بينا أن معظم الحركات الإسلامية اليوم في العالم الإسلامي؛ هي على تلك الشاكلة، سواء منها التي تسمت باسم (الحزب)، أو التي تسمت باسم (الجماعة)، أو (الحركة)، فجوهرها جميعًا واحد، ومعنى هذا أن الإسلام بما هو دين الله القدري، سينطلق ببعثة تجديدية أخرى، تتجاوز الحركة الإسلامية الحزبية في صورتها الحالية.

نعم، إن التحولات العالمية الحديثة، في صورتها (العولمية) (التهويدية، سائرة في اتجاه تغيير بنية المجتمعات الإسلامية؛ وذلك بمخاطبة إرادة الشعوب مباشرة، وتجاوز الوسيط السياسي الرسمي، الذي لم تعد لديه أي مقومات لإقناع الشعوب، خاصة والقوى العالمية الاستعمارية، تدرك جيدًا أنه اليوم - أكثر من أي وقت مضى - لا يملك إرادة الشعوب، وإن كان يملك السلطان السياسي بصورة نسبية.

إن العولمة الجديدة - في صيغتها الأمريكية الاستهلاكية - لا تسعى إلى إخضاع العالم الإسلامي، عسكريًا واقتصاديًا فحسب؛ على طريقة استعمار القرن التاسع عشر والعشرين؛ ولكنها تسعى إلى إخضاع الإرادات، أو ببساطة أدق: احتلال الإنسان من حيث هو انتماء وولاء ووجدانًا تمامًا كما وقع للشعوب الأمريكية الأصلية، أو ما بقي منها، وما يقع للشعوب الآسيوية القصوى؛ مثل اليابان خاصة. هذا البلد الذي كان مضرب مثل لكثير من الدارسين العرب - ومنهم حتى بعض الإسلاميين - الذين ينظرون إلى سير الحضارة، وإلى حركة التاريخ؛ بعين واحدة فقط، فرأوا في التجربة اليابانية نموذجًا للنهوض لكنهم نسوا حقيقة أخرى خطيرة، وهي أن نهوض الشعب الياباني ماديًا كان على حساب فقدان الإنسان الياباني، لقد حل الوجدان الأمريكي في إرادة المجتمع الياباني، ولم يبق له من خصوصيته الثقافية والأنثروبولوجية غير مظاهر محدودة من الفلكلور السياحي ليس إلا، ولا يغرنك منهم هذا الاحتجاج، أو تلك المظاهرة ضد السياسة الأمريكية في العالم، فقد انخرط ذلك كله في نقد أمريكا بوجدان أمريكا! وانتهى وجود اليابان الإنسان.

ثم إن مقارنة إنسان اليابان - بخلفيته الحضارية والدينية المناقضة للإسلام تمام المناقضة - مع إنسان الإسلام، هي في الأصل أغلوطة فاسدة؛ إذ لا قياس - في خصوص هذا الشأن - مع وجود الفارق، كيف وهذا الفارق عميق جدًا؟!!

نعم لقد استعصى العالم الإسلامي وحده حقًا على الابتلاع، وأبى أن يدور في ماكينته التغريب رغم كل ما حدث، ورغم ما تعرض له من تشوهات في طبقته (الثقافة) والأرستقراطية، وسائر شرائحه الاجتماعية، بقدر من التفاوت في التأثير والتشوه؛ بين هذه الشريحة أو تلك، حسب ما تعرض له من مناهج تعليمية وإعلامية. لكن جوهر الإنسان فيه بقي قريبًا من فطرته على الإجمال، مصيرًا على تجديد ذاكرته، ولم يفقد الرغبة ولا الأمل قط في توظيفها من حين لآخر، وليس وجود الحركات الإسلامية نفسها - رغم نقدنا لها - إلا نوعًا من التعبير عن هذه الرغبة، ومقدمة من مقدمات توظيف تلك الإرادة.

إن الاستعمار قد أدرك ذلك جيدًا؛ ولذلك فقد أنتج (العولمة)، باعتبارها أحدث

نخطة لاحتواء الوجود الإسلامي الراسخ في وجدان الأمة، فإلى أي حد تستطيع (الحركات الإسلامية) في صيغتها الحزبية التقليدية - وهي التي نشأت في ظل رد الفعل الاستعماري القديم - أن تستجيب لتحديات العولمة في صورتها الجديدة؟ التي تحمل مشروع تهويد العالم! لتحقيق ما يسمى في المنظومة الصهيونية بـ (إسرائيل الكبرى)، وواضح جداً أن دون ذلك قتل الوجدان الإسلامي في الأمة، بشتى ألوان المسخ والتشويه.

العولمة إذن؛ ما تزال في طور نشأتها، بل لم يكتمل تشكيلها بعد، ولم تلغص صورتها الكلية على تمامها، ولم يزل لها في المستقبل القريب نتاج جديد قصد تكميل الصورة.

أين الحركة الإسلامية إذن - بصورتها الموصوفة - من هذا كله؛ وعيًا وإرادةً، ومنهج عمل وجهاد؟ هذا هو السؤال الجوهرى الذي يمثل صلب هذا البحث وجدواه. إننا نعتقد أن الحركات الإسلامية ستتطور إلى مآلات، هي نتيجة للمقدمات التي انطلقت منها ابتداءً، وهي (الحزبية التقليدية) نفسها، أو بعبارة أخرى (حركات) الحاضر هي (أحزاب) المستقبل.

فالقوى الاستعمارية الحديثة تسعى - عن طريق نظمها الديمقراطية، واكتساحها العولمى - إلى إخضاع الحركات الإسلامية للعبة، وإدراجها ضمن مقولة (النظام العالمى الجديد) . إن لغة التهديد والتجويع والحصار، واللائحة السوداء للأنظمة، وللمنظمات والأشخاص، وما اكتنف ذلك كله من لغة إعلامية مدمرة، على المستوى النفسى والاجتماعى والسياسى، كمصطلح (الإرهاب) مثلاً، ومصطلح (التطرف)، و (الأصولية)، وما شابهها من خدع لغوية، تستصنع في المعامل الصهيونية (للسانيات الحديثة)، هذه المعامل المخبرية، الحبيرة في تحريف الكلم عن مواضعه. قال تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَآتَمَمَّ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَعَيْنَا لَيًّا بِلَايَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْبَانِهِمْ ﴾ [النساء: ٤٦] . وتدبر بعد ذلك - في ضوء زماننا هذا - قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ مَّوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنِ أُوْتِينَا هَٰذَا فَخَدُّهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْدَرُواْ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن يَمُوتَ ﴾ [النساء: ٤٦] .

تَحَلَّكَ لَمْ يَكْ أَللهُ شَيْئاً أَوْلَيْكَ أَلَيْقَ لَمْ يَرِدْ أَللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
 الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ [المائدة: ٤١] - اقرأ وتدبر ثم أبصر
 ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة: ٤١] ! أليس
 كذلك؟ بلى والله! إنه اليوم أظهر مما كان من قبل! كل ذلك إنما هو صور من
 (طُغْم) للصيد؛ من أجل الدخول في قصص (العولمة) أو (الديمقراطية الأمريكية)،
 فبالنسبة لي لا فرق بين هذه وتلك في نهاية المطاف، إنها في الجوهر فلسفة واحدة.

واستجابت فعلاً كثير من الحركات الإسلامية لذلك فهي الآن تتخلى عن كثير
 من منطلقاتها ومصطلحاتها، وتنتج (فقهاً) جديداً، يناسب حداثة العولمة، ويدور في
 ماكينتها، شيئاً فشيئاً! إنها صارت تنتج جزءاً من خطاب المقولات العولمية الجديدة،
 التي تشكل نوعاً من الترويض، أو التدجين للإسلاميين، على مستوى المفاهيم وإنتاج
 الخطاب، وكلاهما أمر جوهري خطير في عملية فقه الدين. إنها حركة تحريف
 مفهومي شامل! إنها - بلغة (الآخر) - عملية (أنسنة) الإسلام، أي إفراغه من
 مضمونه الرباني التعبدي؛ حيث يحل الإنسان - عندهم - محل الرب، في مركزية
 التفسير الوجودي والتشريع الاجتماعي.

إن استجابة الحركة الإسلامية اليوم هي نوع من الاعتذار اللاشعوري للغرب،
 ونوع من البرهنة على صلاحيتها للدخول في النظام العولمي، والتحدي الديمقراطي،
 وإظهار نوع من (حسن السيرة)، و (صلاح المواطنة) على موازين المقياس
 الأمريكي.

من يجرؤ اليوم على اتهام الديمقراطية الليبرالية؟ هذا الصنم العولمي الجديد!
 بالأمس كانت الأصنام الشيوعية تمارس نوعاً من (ديكتاتورية البروليتاريا) على
 المستوى الثقافي والسياسي، فلا تسمح لأحد بانتقاد الصنم الماركسي أو اللينيني،
 واليوم أصبح تمثال الحرية في أمريكا - الذي ليس له من مدلول الحرية غير التمرد على
 حقوق الله - صنماً يعبد من دون الله الواحد القهار! صنماً منتصباً لحماية مفاهيم
 (الليبرالية) بأبعادها الفلسفية والسياسية، وفرضها على العالم الإسلامي، ليس بما
 يضمن حقوقه السياسية، كلا! فمن يصدق هذه الأكذوبة إلا ساذج أو بليد، ولكن
 بما يذيب مفهوم (الإنسان) فيه، ويصهره في آلة الاستهلاك المدمرة، حتى يكون

عبدًا غسيتًا للوحشية العولمية الجديدة، ولحركة تدمير القيم والأخلاق، بما لم يعرفه العالم الإسلامي له مثيلًا في التاريخ.

إن الحركة الإسلامية باستجابتها لشيء من ذلك؛ يعني أنها قد أخذت بـ (مقدمة أولى) - بالمعنى المنطقي للكلمة - من شأنها أن تنتج على سبيل اللزوم (نتيجة) حتمية: هي الدوران في فلك العولمة. نعم ربما دارت فيه على سبيل النقد والمعارضة، ولكن تمامًا كما هي أحزاب أوروبا المعارضة للعولمة، والتلوث البيئي، وحماية الحيوان البري، بمعنى أن ذلك لا يخرج من دائرة (الأنا) العولمية نفسها، ومركزية الإنسان الغربي، وما عسانا أن نكون في هذا الاتجاه إلا تبعًا.

إن الصيغة التنظيمية للحركات الإسلامية، وآليات اشتغالها اليوم، وكذا جوهر خطابها الحركي، مما تنتجه في أديانها وتجمعاتها، وخصوص خلاياها؛ كل ذلك كفيل بإدخالها نادي (النظام العالمي الجديد) على حد تعبير الأمريكان.

إن دخولها (النظام العالمي) ليس يعني أنها تصير له بوقًا، بالمعنى التقليدي للكلمة، كلا، فليس هذا مقصودنا، وهو تصور تبسّطي لطبيعة العولمة، وإنما المقصود بدخولها هو الخروج من عالم (اللامفهوم) أو (اللامدرك) - بالنسبة للحسابات الأمريكية ودراساتها الإستراتيجية - إلى عالم (المفهوم) أو (المدرك) ! وانتقالها من عالم (الحوارق والمفاجآت) إلى عالم (العوائد والطبيعيات) القابلة للحسابات، وذلك هو عين المقصود، حيث تصبح الحركة الإسلامية بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية رقمًا قابلًا للإدراك، وعددًا قابلًا للحساب. وإذن، توضع في موضعها من خريطة التخطيط الأمريكي الصهيوني بسهولة، وتصبح في سياق معارضتها ونقدها؛ قابلة للإعمال والاستعمال، وللتحييد والإهمال، أو على الأقل قابلة للمعالجة الميكانيكية! ونتائجها قابلة للتوقع، وللإدراج في معادلة الإمكانيات والاحتمالات الرياضية المدروسة بعناية. وليس لذلك من معنى عندي إلا أن الحركة الإسلامية قد فقدت كثيرًا من خصائصها الربانية، ومقوماتها الإيمانية، فأشبهت آلة ميكانيكية ليس إلا.

أما أحزاب الماضي الرسمية، القومية منها والوطنية، والماركسية، والعلمانية، والعنصرية، وكذا الكروتونية؛ فمآلها - بناءً على تحولات الحاضر الجارية - إلى

التحول أيضًا أو إلى الانقراض. فتلك أحزاب ما بقي من حقيقتها اليوم غير أشكال باهتة، سواء في ذلك ما تجلّى في قياداتها الشائخة الهرمة، ليس من حيث هي أجساد بشرية، ولكن من حيث هي أجساد تنظيمية وأيدولوجية، أما رصيدها على المستوى الوجداني الشعبي فعلى دركات تحت الصفر؛ ولذلك فإما أن تتحول إلى (الإسلامية)، ولو بصورة انتهازية؛ وإما أن تنقرض إلى الأبد، وتصبح جزءًا من التاريخ الذي كان.

ولم (الإسلامية)؟ ببساطة لأنها المرجعية المستقبلية لأحزاب العصر العولمي الجديد؛ حيث بدأ الإسلام يصنف عالميًا - عند العدو والصديق - بأنه هو المحرك الأساس للشعوب في العالم الإسلامي، وهو المرشح في الإدارة الأمريكية الصهيونية للمخاصمة الجديدة، ولتسوية التسليح العالمي المجنون في حرب باردة أو حارة، وقد بدأ ذلك يتضح، وتتجلى ملامحه منذ انهيار المنظومة الماركسية، بسقوط صرح الاتحاد السوفياتي البائد.

الدور الحزبي المقبل إذن؛ هو دور (الحركات الإسلامية)، فهي المؤهلة لذلك، وهي المقصودة للعب هذا الدور، وقد بدأت بالفعل في ممارسته بإعلان رسمي أو غير إعلان، في أغلب دول العالم الإسلامي، فالهيئات التنظيمية الإسلامية، المشاركة صراحة في اللعبة السياسية، قد دشنت هذا الاتجاه بإرادتها، وأما الهيئات التنظيمية الإسلامية الرافضة، أو المعارضة؛ فقد دشنته أيضًا بمعارضتها، وبهذا فهي تمارس نوعًا آخر من المشاركة السياسية بطريقة أخرى، وإن أعلنت في خطابها (رفضها) لكل أشكال المشاركة، ولكن رفضها يصدر بالمنهج نفسه الذي تعتمده حركات المشاركة، أي منطق الحزبية، إنه مجرد رفض موقفي، إنه محكوم بالموقف من عقلية الحاكم، أو من طريقة تنصبيه، لا من فقه الدين وميزان أولوياته، ولا من مفهوم المجتمع الإسلامي وطبيعة مؤسساته. ومن هنا وقع تأصيلها لفعالها السياسي في لؤة التضخم! فهي إذن تتكلم من داخل الجبة العلمانية من حيث لا تدري؛ ولذلك فهي أقرب إلى التحول الكامل إلى الصورة الحزبية العتيقة، لكن في صورة إسلامية.

و «الرفض» و «المشاركة» بمعناهما السياسي - في خصوص العمل الإسلامي التنظيمي - خطان متجاوران إلى ما يقارب الترادف، وهما ممتدان على طول العالم

الإسلامي تقريباً، وكلاهما يؤول أمره - بصورة أو بأخرى - إلى وضع لعب دور الأحزاب السياسية الشائخة، مُشَارَكَةً ورفضاً، لا سيما وأنهما يمتلكان كل مقومات الحزبية: « التنظيم الميكانيكي »، و « التعبئة الاستعراضية »، و « الخطاب السياسي المُثَقَّل ». ووصفنا خطاب الحركات الإسلامية بأنه (مُثَقَّل) مقابل لما هو موجود عند الأحزاب التقليدية العتيقة، من خطاب سياسي (مُؤَدَّلَج) ؛ حيث تتخذ تلك الحركات (رؤية) معينة للعمل السياسي، ترجع إليها تفكيراً وتأطيراً. فلا تكاد تجد من بين أفرادها من يفكر خارج تلك الدائرة، ولو بشيء بسيط من الاختلاف، مع أن المجال اجتهادي صرف! ومع أن رؤيتها المرجعية تلك ليست هي « الإسلام » كما تدعي بعض فصائلها، وإنما هي (فهم معين) للسياسة في الإسلام، إنها اجتهاد قابل للخطأ كما هو قابل للصواب، لكن أخطر مشكلة تعاني منها في هذا الصدد هي أنها تقوم بنوع من (الاستصلاح) للفكر السياسي الغربي، فلا تتجو - لذلك - كثير من مقولاتها السياسية من التلوث بأصولها العلمانية، نعم لا نشك أدنى شك في أن هدفها الكلي، ومقصدها الغائي فعلاً هو الإسلام، ولكن فرق بين (القصد) أو (الهدف) وبين (خطاب القصد) أو (خطاب الهدف) إذ ليس بالضرورة كل خطاب مؤد إلى قصده لزوماً، فربما زاغ عن هدفه؛ لعله في منهج الخطاب والعمل، وهذا فرق ما بين نقدنا ونقد (الآخر) الذي تمارسه الاتجاهات العلمانية للحركات الإسلامية.

إننا لا نقول بأنها (تستغل) الدين بالمعنى (البراجماتي) ؛ لتبرير خطابها السياسي كما يقول بعض سفهاء العلمانيين كلا! فهذا مجرد نقد (أيديولوجي) ليس إلا! إننا على يقين بأن الحركات الإسلامية إنما تتعبد - على الإجمال - بفعلها الحركي السياسي، سواء أصابت في ذلك أم أخطأت. لكننا على يقين أيضاً في أنها تتعبد من خلال فهمها الخاص للدين، ولا يمكنها إلا أن تكون كذلك؛ إذ المجال السياسي تفوق نسبة الرأي والاجتهاد فيه - من مجمل التشريع الإسلامي - درجة التسعين بالمائة، كما فصلناه بأدلته في كتاب (البيان الدعوي) . وهذا معنى قولنا: إنها تملك الخطاب السياسي المُثَقَّل، بما هو عنصر أساس من مكونات الحزبية.

ويتوفر العناصر الثلاثة المذكورة (التنظيم الميكانيكي، والتعبئة الاستعراضية، والخطاب السياسي المُثَقَّل) تكون الحركة الإسلامية مؤهلة فعلاً - كما ذكرنا -

لأنها التاريخي: التحول والاندماج الحزبي الهيكلي. ذلك أن ما وصفنا من طبيعتها مؤشر قوي لقابليتها لذلك، على حد تعبير مالك بن نبي ^{بمكة} في نظرية (القابلية للاستعمار). وجزء مهم من هذا المتوقع غذا هو - على كل حال - واقع اليوم! فما بقي من الصورة في الحقيقة إلا التكميل والتتصيم، إذ لا يكاد يخلو قطر من أقطار العالم الإسلامي اليوم من شيء من ذلك؛ صراحة أو ضمناً.

وقد يقول قائل: إن الحركات الإسلامية هي غير الأحزاب التقليدية، من حيث القدرة على احتوائها، وتوجيهها من لدن الغرب ومؤسساته العالمية؛ فنقول: نعم، هي غير ذلك من وجه، ولكن لها نوع من القابلية لذلك من وجه آخر: وهو الاستجابة لمقولات الخصم الحضاري الثقافية والسياسية والاقتصادية، كما أشرنا إليه من قبل؛ ولذلك وجدت العولمة والنظام العالمي الجديد، ومن هنا كان التوجه الاستعماري الجديد ليس إلى محاصرة الحركات الإسلامية فحسب؛ ولكن أيضًا إلى (منافستها)، وهذا ما لم تنتبه إليه بعض الحركات الإسلامية بصورة جيدة لحد الآن، وهذا هو الاتجاه الراجح الآن في الصراع الحضاري العالمي: المنافسة على الإنسان في العالم الإسلامي. إن العولمة عملت جهدها على فتح الحدود الاقتصادية والثقافية والإعلامية؛ من أجل التمكن من الاشتغال المباشر؛ لاحتلال الشعور الفردي ثم الاجتماعي.

العولمة إذن تقوم بوظيفتين: الأولى: فتح الحدود الأنطروبولوجية، والثانية: المنافسة على الإنسان في العالم، أو بعبارة أخرى احتلال الإنسان المسلم، ومن هنا فإن الحركة الإسلامية لن تواجه أمريكا، أو الصهيونية، أو الغرب فقط؛ بل ستواجه (الصوت الآخر) في مجتمعها أيضًا، بل ربما في صفوفها وقضاياها أيضًا، وهذا أسوأ ما يتوقع من هزيمتها! وقد شاهدنا بعض تجلياته - مع الأسف - على مستوى الفكر وعلى مستوى الممارسة، حتى لكأنك أمام (علمانية إسلامية) لكن ليس بالمعنى التقليدي.

إن المواجهة لن تكون كما كانت من قبل ضد طابور العملاء السياسيين، أو الموالين ثقافيًا للغرب، من اللاتكيين واليساريين، كلا؛ فتلك حرب - في منطق الرؤية المستقبلية - انتهت ووضعت أوزارها، إن المواجهة الجديدة ستكون ضد (نمط

الحياة (الأمريكية، الذي لن يقصر على النخبة المغتربة فكريًا، أو على الطبقة الأرستقراطية، بل هو يصبح الآن بالتدريج نمط الشعوب الإسلامية؛ بمن في ذلك المسلمون أنفسهم، من باب مقولات (الأسلمة)، و (الثقافت)، والانفتاح على (المجتمع المدني)، إن معنى ذلك أن الحركة الإسلامية ستواجه خصمها في ذاتها، ومعنى ذلك أيضًا خطر خسائر المعركة حضاريًا؛ لأن الجسم لم يخلق ليحارب نفسه بل ليحميه، ومن هنا ستحتاج الأمة إلى (مضادات حيوية) جديدة وإلى (بعثة) أخرى، كما سيأتي بيانه بحول الله.

إن قدرات الحركات الإسلامية ذات الطبيعة الحزبية، لن تعدو حدود مقاومة الظلم السياسي، والاختلال الاجتماعي، والإسهام إلى حد ما في التوجيه الاقتصادي والإعلامي... إلخ. وكل ذلك شيء مهم جدًا، ولكن الأهم منه هو العمل الاستراتيجي المتعلق ببناء الرصيد الروحي المنتج للأجيال، وتوسعة (الاحتياطي) في مجال بناء الإنسان القرآني، وتأثيرها في هذا الآن محدود جدًا ضمن دوائر ضيقة، ولن تزداد - مع تبلورها الحزبي - إلا ضيقًا؛ لما للمنهجية الحزبية من ارتباطات ميكانيكية، تفرقها في الجزئي واليومي.

وقدرة الحركة الإسلامية وإمكاناتها - بما وصفنا - هو عينه دور الأحزاب التقليدية في الماضي، وهو ما سيناط، بل قد أنيط فعليًا ببعض الحركات الإسلامية، التي هي في طور التهيئة للقيام بذلك، وهو بالنسبة إلى التحديات الشمولية للعملة عمل محدود جدًا، لن يبلغ حد التغيير الكلي للإنسان، ما دامت آلة الاشتغال الحزبي هي الوسيلة الوحيدة المتوفرة لديها للعمل، وهذه الوسيلة هي نتاج أوروبي، ومنهج غربي، لا يعدو في طبيعة تأطيره مجرد صناعة (الرأي العام) المؤقت والمتقلب؛ والديمقراطية الليبرالية التي هي فضاء وجود الحزبية لن تؤدي أبدًا إلى نقض أصولها، ما دامت فلسفتها قائمة في منهجها، ولا يمكن للمنهج أن ينقض مذهبته، أو ينقلب على فلسفته، وما وجوده إلا بها، وقد تقرر عند أرباب « المنهجيات » أن المناهج وفيه لمذاهبها، ومن ظن إمكان تجريد المنهج عن مذهبته فهو واهم! ^(١) نعم سيؤدي تضاليًا إلى توجيهها من الداخل،

(١) أبحاث في العلوم الشرعية للمؤلف: (٩) .

بمعنى أن الحزبية الإسلامية ستعطي للديموقراطية مسحة إسلامية؛ لكن دائماً في حدود الإمكانيات المحسوبة، والقابلة للنقض في كل وقت وحين؛ إذ (الرأي العام) الذي يحسمه (العوام) هو الممثل الشرعي والوحيد لمصادقية اللعبة، وما الرأي العام الذي يصنع في أسابيع إلا ريح الأهواء، وأصوات الفوغاء.

ثم قد يقول قائل: إذن، إذا وعت الحركة الإسلامية ذلك ؛ فإنها تحسب كل تلك الإمكانيات فتخرج عن حد أهداف العولة. فنقول: لا يمكنها ذلك إلا إذا خرجت عن طبيعتها (الحزبية) التي نشأت عليها، بما وصفنا؛ إلى شيء جديد، وهو ما نرجو أن تلده الأيام بحول الله. أو تبقى على طبيعتها تلك فتكون إذن محكومة بإمكانات (اللعبة الحزبية)، وهي جميعها آتلة بطبيعتها إلى محيط العولة، ولا منزلة بين المنزلتين، فتوجه العولة يشتغل الآن وليس غداً، وتوقع نتائجها مبني على مشاهدة مقدماتها، فإنما نتطلق إلى المجهول من المعلوم، بناءً على المنطق الرياضي.

أليس معظم الحركات الإسلامية حزبي التنظيم؟ أليست ترجع في بنائها التسلسلي إلى نموذج الحزب السياسي؟ ثم أليست ذات أطروحات مختلفة، واجتهادات متباينة؟ ثم أليست تتفرق بشكل تناسلي إلى جماعات وجمعيات، كما تتناسل الأحزاب القومية والعلمانية، وينشئ بعضها عن بعض؛ لأسباب سياسية وشخصانية؟ فإنها بهذا وبما ذكر قبله تنساق تحت تأثير تجش الصياد الأمريكي شيئاً فشيئاً إلى قفص (اللعبة الديمقراطية) ؛ لتقف أمام المشاهد الغربي، كما تقف الحيوانات الأبدية في أقفاص حديقة الحيوان.

إن الابتلاء العملي المشتغل الآن، هو أعظم وأشمل من أن تواجهه حركات إسلامية محدودة الغايات والوسائل، حركات بقيت حبسية آليات تنظيمية، ووسائل تنفيذية، هي من تراث مرحلة الاستعمار القديم، وظروف سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، ونتاج ردود فعل؛ لصيحات الماركسية والقومية، التي تلاشى صداها في الماضي.

إن بصائر القرآن، وسنن التاريخ، وطبيعة التحولات الكبرى في العالم الإسلامي، وخروج الدجال العملي؛ كل ذلك يحدثنا عن ميلاد شيء جديد في أفق العمل الإسلامي.

الفطرية
بعثة التجديد المقبلة
ومن أن تحرك الإسلام إلى وغرة الإسلام

الفصل الثاني

في الفطرية
(القضية والمفهوم)

● وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الفطرية وقضية الدين.

المبحث الثاني : الفطرية دراسة في الأركان والمسالك.

المبحث الأول

الفطرية وقضية الدين

عندما تضطرب المفاهيم وتختلف التصورات بين المشتغلين في المجال الواحد، أو ربما تتناقض، نكون مضطرين إلى العودة إلى المنطلقات الأولى للمجال الذي نشغل فيه؛ لإعادة تجديد السؤال حول ما نعتبره عادة من البديهيات. ولذلك وجب أن نبدأ التفكير والترتيب من الخطوة الأولى لبناء مفاهيم الإسلام في نفوسنا.

فلا خلاف أولاً في أن الإسلام - قبل أن يكون أي شيء - إنما هو: «دين». ذلك هو معناه الجوهرى الأساس، وهو معنى كلي قطعي، ثابت بالنصوص المتواترة كتاباً وسنة، وبالإجماع الكامل. وبكيفية من ذلك قوله تعالى الوارد على سبيل التعريف والتقرير: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ومنه بيان غاية إنزال الكتاب على رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاخْبُرْ أَفَلَا تُخْلَصُ لَهُ الدِّينُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ثم خطابه العام للأمة جمعاء في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. تلك حقيقة الإسلام كله، وتلك قصة الدين كله! ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رُسُلًا اللَّهُ يُخَوِّصُ لَهُ الدِّينَ خُفَاءً وَيُخَوِّصُهَا لِلْعُلُوَّةِ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥٠].

هذه، وإنما أوردنا هذه النصوص هاهنا - على سبيل التذكير - لأننا نعلم أن هذه

الحقيقة - رغم بدهيتها - بدأت تهتز وتضطرب، بصورة واعية أو غير واعية، لدى كثير من العاملين في الصف الإسلامي من الحركة الإسلامية الحديثة، ونحن الآن بإزاء إعادة تفسير بدهيات، وجدنا أنها في حاجة إلى مراجعة وإعادة تقرير، لبناء منهج الاستدلال، حول ما يحتدم حوله الآن كثير من الخلاف والاختلاف، في مناهج العمل الإصلاحية المعاصرة ومفاهيمه.

وأقول - كشاهد على المرحلة: لقد أتى علينا حين من الدهر في الحركة الإسلامية نسينا فيه، أو كدنا ننسى، أن الإسلام دين!

هذه خطوة أولى، أو « مقدمة أولى » على حد تعبير المناطق.

فوجب الآن أن نتساءل: ما معنى كلمة « دين »؟ وما دلالتها المفهومية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية؟ ولتكن هذه خطوة ثانية، أو « مقدمة ثانية ».

الدين في اللغة راجع إلى معنى: الانقياد والذلة والخضوع، وهو معنى مجمع عليه بين أهل اللغة، قال ابن فارس في مادة « دين » : (« الدال، والياء، والنون » : أصل واحد، إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة، يقال ذان لله يدين ديناً، إذا أصحبت وطاقذ وطاع. وقوم دين، أي: مطيعون منقادون، قال الشاعر:

« وَكَانَ النَّاسُ إِلَّا نَحْنُ دِينَا » ^(١).

ومنه قيل للدين - بمعنى السلف - ديناً لما فيه من ذلة المدين وخضوعه للدين. ولنا أن نورد - بعد ذلك - كلام الراغب الأصفهاني صاحب مفردات القرآن، في بيان علاقة اللغوي بالاصطلاحي، فهو من أجملها وأبينها، قال رحمه الله: « الدين: يقال للطاعة والجزاء، واستمير للشرعية، والدين كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشرعية، قال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]. أي: طاعة. ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١١٦] (...) وقوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. قيل: يعني الطاعة، فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه » ^(٢).

(٢) المفردات: مادة « دين ».

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة « دين ».

ومن هنا كانت حقيقة الإسلام - بما هو دينٌ - راجعة إلى معنى خضوع القلب والجوارح لله رب العالمين، وهو معنى العبادة. ومآلها إلى المعنى القلبي الخالص؛ إذ لا خضوع للجوارح على الحقيقة إلا بالخضوع التام للقلب، وهو معنى: الإخلاص. وعلى ذلك قام عنوان الإسلام، ومدخله الذي لا مدخل له سواه، أعني: «شهادة أن لا إله إلا الله». ولا وجود لشيء في الدين خارج هذا المعنى، مذ أسسه - بأمر الله - أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، على ما بينه القرآن: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ آلِهَتِهِمْ إِلَّا مَنْ سِوَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمُنَافِعِينَ﴾ [إذ قال لكم ربُّه: اسْلِمُوا قَالَ اسْلِمْتُ رَبِّي أَتَمَلِكُونِ] [البقرة: ١٣٠، ١٣١]. أي: خضعت وأطاعت. وسياق الآية - بسوابقه ولواحقه - دال على هذا المعنى القلبي الخالص، وعلى أنه أساس التسمية القَلْبِيَّة لهذا الدين بمصطلح «الإسلام»؛ كما أنه دال على أن ذلك هو أساس الدين الذي كان عليه الأنبياء عبر التاريخ، ولك أن تستعيد قراءتها بلواحقها - متدبراً - قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَكُمْ رَبُّهُ اسْلِمُوا قَالَ اسْلِمْتُ رَبِّي أَتَمَلِكُونِ﴾ [وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِذْ أَلَّهِ أَصْطَفَى لَكُمْ آلِهَةً فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] [أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ] [البقرة: ١٣١ - ١٣٣].

فكان معنى «الدين» - المصطلقى للمؤمنين بالله - هو توحيد الله بإخلاص العبادة له، والخضوع له في ذلك وحده خوفاً وطمئناً، وهو معنى «الإسلام». فلا تشتغل القلوب والجوارح في شيء من مُستغنى الدين إلا لله؛ سيرة إليه تعالى حتى يوم لقاءه، ذلك اليوم الذي هو غاية الدين ونهاية حكمته، ومناط تنزيله وتشريعه. ومن هنا قال تعالى: ﴿قُلْ أَسْرَرْتُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

فكل أركان الإسلام، وأركان الإيمان، لا تخرج عن هذا المعنى البتة، وودونك نصوصها في الكتاب والسنة، قدُبّر!

وقد أوردنا لذلك من نصوص القرآن ما يكفي، وأما نصوص السنة النبوية

الصحيحة فأكثر من أن تحصى، ويكتفينا فيها الحديث المشهور في البيات، الذي صار قاعدة كلية في بيان صحة الأعمال أو بطلانها في الإسلام، من قوله عليه الصلاة والسلام: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصَيِّفُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَكَيِّفُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (١).

وأما حديث جبريل المشهور، الذي يؤيد فيه النبي ﷺ كل مسمى (الدين) ؛ وذلك ببيان أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وحقيقة الإحسان، ثم منهجية السؤال والجواب تعلمنا وتعلينا، في سياق بناء منهج « فقه الدين » ؛ فقد ختمه النبي ﷺ بكلمة جامعة مانعة، وهي قوله لعمر بن الخطاب ؓ: « يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قُلْتُ: « اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ ». قَالَ: « فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ، أَتَأْكُم بِعِلْمِكُمْ دِينَكُمْ » (٢)، هكذا: « دينكم »، بما لهذا التركيب اللفظي من عموم واستفراق لكل معاني الدين، فرجع ذلك إلى أن ما ذكر فيه من كليات، هي أصول الدين، وأن ما سواها فروع، ولا صحة لهذه إلا بالبناء على تلك. وواضح جدًا في أن ما ذكر في الحديث من أركان وحقائق إنما هي معانٍ تعبدية محضة، راجعة إلى معنى خضوع القلب والجوارح لله رب العالمين.

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال مبيّنًا الجوهر الروحي للدين: « إِنَّ الدِّينَ بُشْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدُّوْا وَلَافِئُوْا، وَأَبْشِرُوْا... وَاسْتَعِينُوا بِالْقُدْرَةِ وَالزُّوْجَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلَاجَةِ » (٣) قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: قوله: (١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم. ونصه: (عن عمر بن الخطاب ؓ، قَالَ: نَبِئْنَا نَحْنُ لِمَجْلُوسٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ قَرَمٍ، إِذْ حَلَّ عَلَيْنَا وَجَلَّ شَدِيدُ بَيَاضِ الثَّيَابِ، شَدِيدُ مِزَاجِ الشُّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الشُّفْرِ، وَلَا يَرُفُّهُ مِثْلُ أَحَدٍ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَشَدَّ رُكْبَتِي إِلَى رُكْبَتِي، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فُجَذَيَّ، وَقَالَ: يَا نَعْمَتُ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ تُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ، وَتُعِيبَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحِبَّ الصَّيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ». قَالَ: ضَدَقْتُ، فَفَجِئْنَا لَهُ بِسَأَلٍ وَبُصْدَقٍ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤَيِّرَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ: ضَدَقْتُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا كُنْتَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: « مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: « أَنْ يَأْتِيَ الْأُمَةُ رَجُلٌ، وَأَنْ تَرَى الْحَقْلَةَ الثَّرَاءَةَ الْعَالَةَ رِغَاءَ الشَّيْءِ يَحْمَلُهَا لَوْثٌ فِي الْبَيْتَانِ ». ثُمَّ اسْتَلْقَى ثَلَاثَ مِثْيَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قُلْتُ: « اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ ». قَالَ: « فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَأْكُم بِعِلْمِكُمْ دِينَكُمْ » (٣). رواه البخاري.

« واستمعينوا بالغَدْوَةِ »، أي: استمعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغَدْوَةُ بالفتح: سَيْرٌ أَوَّلُ النهار، وقال الجوهري: ما بين صلاة الغَدَاة وطلوع الشمس. والروُوحَةُ بالفتح: السَيْرُ بَعْدَ الزوال. والدَّلَجَةُ - بضم أُوْلِهِ وفتح هـ، وإسكان اللام - سَيْرٌ آخِرُ الليل، وقيل: سَيْرُ الليل كُلِّهِ، ولهذا عبّر فيه بالتبويض، ولأنَّ عملَ الليل أشقُّ من عملِ النهار. وهذه الأوقات أَطْيَبُ أوقاتِ المسافرين. وكأنَّه ﷺ خاطب مسافراً إلى مَقْصِدٍ، فَتَبَّهَهُ على أوقاتِ نشاطه؛ لأنَّ المسافرَ إذا سافرَ الليلَ والنهارَ جميعاً عَجَزَ وانقطع، وإذا تحرَّى السَيْرَ في هذه الأوقاتِ المُنشِطَةِ أمْكَتَهُ المَدَاوَةُ مِنْ غَيْرِ مُشَقَّةٍ، وحسُنَ هذه الاستعارة أنَّ الدُّنْيَا في الحَقِيقَةِ ذَاكِرٌ نَقْلَةً إلى الآخِرَةِ، وأنَّ هذه الأوقاتِ بِمُحْصِيهَا أَرْوَحُ ما يَكُونُ فِيهَا اليَتَذُّرُ لِلْعِبَادَةِ! ^(١).

فهذه معانيٌ قلبيةٌ، وحقائقُ أخرويةٌ، وعَقَائِدُ إيمانيةٌ، وأعمالٌ تعبديةٌ، كلها تتصافر - في سياقات شتى - لتحديد المعنى الجوهري « للدين »، ولذلك صبح في الحديث أَنَّ « خَيْرَ دِينِكُمُ الْقَوْلُ »! ^(٢). وهو معنى قلبي صرف!

فمدار « الدين » - كل الدين - إذن، إنما هو على قضية الإنسان مع ربه الذي خلقه، لتحديد مصيره الأخروي الذي هو خاتمة المطاف في قصة الوجود البشري كله! وكل التشريع الإسلامي إنما هو دائر حول هذا المدار، سواء في ذلك ما تعلق بالمصالح الدنيوية أو المصالح الأخروية، وهو ما قرره - منذ القديم - شيخ المقاصد العالم الرباني الحكيم أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ، في قاعدته المقاصدية المشهورة، قال: « المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفة، إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية، والدليل على ذلك (...) أَنَّ الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عباداً لله » ^(٣).

ولديَّ هاهنا نص ثمين، يتضمن حكمة بالغة - في سياق منهج تجديد الدين وبيان مراتب أولوياته - لأحد المجددين المعاصرين، هو الأستاذ بديع الزمان سعيد

(١) فتح الباري: (١/٩٥).

(٢) رواه الزوار، والطبراني في الأوسط، والحاكم، عن حذيفة، كما رواه الحاكم عن سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) المواقفات: ١/ ٣٧، ٣٨.

النورسي رحمه الله، يقول: « إن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمائة، بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحد بالمائة »^(١). ومن ثم قال في بيان تربيوي حكيم: « إن أسعد إنسان في هذه الحياة الدنيا هو ذلك الذي يتلقى الدنيا مضيقاً مجتهداً، ويدعز إلى أنها هكذا، ويعمل وفق ذلك، فهو بهذا التلقي يتمكن من أن ينال أعظم مرتبة، ويحظى بها بسرعة، تلك هي مرتبة رضا الله سبحانه، إذ لا يجعل قيمة الألباس الثمينة الباقية لقطع زجاجية نافذة (...) نعم إن الأمور التي تعود إلى الدنيا هي بمثابة قطع زجاجية قابلة للكسر، بينما الأمور الباقية التي تخص الآخرة هي بقيمة الألباس الثمين »^(٢) ذلك مثل الحقائق الإيمانية الأخروية، وما تعلق بها من قول أو عمل.

ومن هنا كان جوهر الرسالة القرآنية إنما هو إنذار البشرية بحق الله العظيم عليها، وما ينبغي على ذلك من معاني العبودية، في طريق السير إليه تعالى؛ رغباً ورهباً، ثم ما يترتب عن الإخلال به أو الوفاء من مصير وجزاء، وفي ذلك جاءت الآيات والسور تترى لبيان حقيقة الحياة الدنيا، وقرأ القرآن من أوله إلى آخره - من خلال هذه الحقيقة - تجد إنما هو « كتاب أخروي » بامتياز، وما « الحياة الدنيا » في هذا السياق إلا وسيلة تابعة، وآلة خادمة للآخرى، وأي حقيقة في القرآن أشد وأهول من مثل ما نصح به هذه الآيات الصارخات: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُخِّعَ عَنْ الْكُفْرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٦٤].

وأي خبر أوقع على النفس وأشد، من هذا البيان الرباني الرهيب؟! ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأُمُورِ وَالْآزَلُ كَذَلِكِ عِشَ أَحْسَبُ الْكَفَّارِ بَالَهُمْ ثُمَّ يَبِيعُ فَعَرْهُ مُمْسِكاً ثُمَّ يَكُونُ حُطْحُطاً فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ ﴿١٠٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

(١) كلمات ومائل النور: صيف الإسلام: (٤٤٦).

(٢) للنبأ: (٢٣).

اللَّهُ يُؤَيِّنُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠، ٢١﴾ [الحديد: ٢٠، ٢١].

ماذا بقي إذن؟... فأني شيء في القرآن لا يدور بهذا المدار؟ وأي شيء منه لا يتجده نحو هذا المسار؟ أو لم تكن الكلمات الأولى لرسول الإسلام، يوم أمره الله بالصدع بدعوته - إعلاناً للعالمين - أن خطب الناس - أول ما خطبهم - بقوله ﷺ: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»؟^(١)

فما بالنا اليوم - في مجال العمل الإسلامي - نبشر الناس بجنة أرضية؟ وننسى قضية الإنسان الكبرى: الآخرة!

لقد انحرفت تصورات كثير منا فعلاً! وانخدعنا بمقولات دهبناها بأنفسنا فكنا نحن أول ضحاياها! لقد أتى علينا حين من الدهر وجدنا أنفسنا في مواجهة التيارات الماركسية والفلسفات الإلحادية، والنظريات المادية التي تبني مشروعها كله على عرض جنة وهمية على الأرض، فسقطنا في الفخ إلا قليلاً، ثم صرنا نحن أيضاً نبشر الناس - على سبيل المنافسة - بوعود مادية محضنة، ونقدمها على أنها مرتكزات مشروعة، أصالة لا تبغى، متوسلين إلى ذلك بكثير من المصطلحات البراقة في عالم السياسة والإعلام.

لقد خدعت الحركة الإسلامية نفسها بنفسها، عندما وظفت مفاهيم «الشمولية» الإسلامية، كرد فعل على حركة تجزيء الإسلام التاريخية، التي قصرته على الأذكار والعبادات في التكايا والزوايا، فراهنت - في سياق رد الفعل - على الشمول، لكنها - مع الأسف - لم تريح الرهان! فغلّبت العادات على العبادات، إلا قليلاً. والإسلام شامل لكل معاني الحياة، نعم؛ تلك حقيقة راسخة من حقائق الكلية، لا مراء فيها ولا إشكال. ولكن أين من يضبط الميزان؟ وأين من يرتب أولويات الدين كما عرضها الدين؟ لا كما تشتهيها رغائب الصحافة والإعلام، ثم أين من يني الفروع على الأصول ولا يقلب الميزان؟

لقد جعل كثير من أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة حقائق القرآن الأخروية - التي هي مناط الدين، كل الدين - تابعة «لجنة الدنيا»! وذلك بسبب التوظيف السيئ

لمفهوم « شمولية الإسلام » في كثير من مقولاتهم وخطاباتهم! ولقد آل هذا المنهج المقلوب ببعض التيارات إلى نسيان الآخرة إلا قليلاً مما أدى إلى طردها من القاموس النضالي للحركة « الإسلامية » .

وهكذا صرنا إلى نتيجة عجيبة: وهي التأليه اللاشعوري للإنسان! فكان أن احتلت « حقوق الإنسان » مرتبة « حقوق الله » رب الإنسان، دائماً في إطار مفهوم « شمولية الإسلام »، كذا.

فأين الخلل إذن؟

إن علينا أولاً أن نعيد قراءة القرآن، بما هو خطاب رب العالمين للإنسان، يضمن تحقيق كل مفاهيم الدين، ويوثقها توثيقاً لا يدع مجالاً لباطل أو بهتان، وذلك ما نحاول صناعته بحول الله الآن.

خلل في الفطرة:

فإذا جمعت ذلك إلى ما أسلفنا من مقدمات منهجية، وجدت أن الخلل اليوم قد أصاب فِطْرَةَ الإنسان، إصابات تتفاوت على حسب موقع ذلك الإنسان - قريباً وبعداً، وقبولاً ورفضاً - من مشرب القرآن، إلا أن الإصابات في هذا العصر - رغم تفاوتها - عامة شاملة، قد مست أغلب تصورات الإنسان، وعمران الإنسان، بمن في ذلك إنسان هذا الصف الإسلامي الراكض في سياق الحركات والتنظيمات الإسلامية المعاصرة؛ فاختلال المفاهيم الفطرية واضطرابها، أنتج فتنة عامة أشبه ما تكون - في عمومها وشمولها - بالفتن التي ذكرها النبي ﷺ في بيانه الرهيب لما يقع بين يدي الساعة، فسئى من بين ما سئى: « فِتْنَةُ الدَّهْنِ يَاءُ لَا تَدْرُغُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ » ^(١) . وهي أشبه أيضاً ما تكون - في عمومها وشمولها - بـ (فِتْنَةِ الْفُطْرِ) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أَطْعَمٍ مِنْ أَطْعَامِ الْمَدِينَةِ ^(٢) . ثُمَّ قَالَ: « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنْ

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٢) الأُطْعَمُ: بضمطو، هو: كل حصن مبني بحجارة على هيئة مربعة. جمعه: أطعام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ، أطعام بضواحي المدينة لحراستها.

لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ جَلالَ يُبَيِّنُكُمْ، كَمَوَاقِعَ الْفُطْرَا » (١). ألا وإن حال الفطرة الإنسانية اليوم لكذلك! نعم، وإليك البيان:

ولكن، لنشرع أولاً في مقارنة هذا المفهوم: (الفِطْرَة)، بعد مفهوم « الإسلام » ومفهوم « الدين ». فهي سلسلة متعاضدة، بعضها من بعض.

ولنبداً الدعوى بالقول على سبيل التعريف: إذا تقرر أن الإسلام دين، فلك أن تقول: إن الدين فِطْرَة بل لك أن تقول: إن الدين هو الفِطْرَة.

وهنا نحسب أننا نقرب أكثر وأكثر من تشخيص الخلل، عسى أن تتمكن - بإذن الله - من وصف منهاج العمل.

ونعقد سؤال البُذَيَّة الثالثة: ما الفِطْرَة؟

الفِطْرَة - كما ستبين بأدلتها - هي: ذلك السر الكامن في قلب الروح، إنها الجوهر المكنون للخلق الإنساني، والسر المصون للوجود البشري، فهي أم اللطائف، ومرجع الأسرار في المعنى الوجودي لحقيقة « الإنسان »، بكمالها يكمل مفهوم الإنسان، وينقصها ينقص محتاه، وبانخراطها الكلبي يخرج عن طبعه وحده إلى دَرْكِ المعنى البهيمى لجنس الحيوان.

فأي مس لها وأي خدش يؤدي حتماً إلى اضطراب - على قدر ذلك المس وذلك الخدش - في المعنى الوجودي للإنسان، وإلى تحبط نفسياني واجتماعي؛ بما يفيض منها على وجوده الروحاني والجسماني من معاني الحياة؛ ذلك أنَّ لجُروح الفِطْرَة درجات، تماماً كما لجروح الجسد، فخدش الجلد ليس كشق اللحم، ولا هذا ككسر العظم، ولا هو كيقر البطن أو طعن الصدر، فعلى قدر التغيير لطبيعتها يكون حجم الفساد في الأرض؛ إذ هي من أخص خصائص الصنع الإلهي، والتكوين الرباني للخلق البشري.

ولذلك كانت الفِطْرَة - بما هي « اسم هيئة » كما يقول النحاة - هي الصورة النفسانية الأولى التي خلق الله عليها الإنسان، بما سواها عليه من توازن وكمال، أي قبل تدخل اليد البشرية العابثة فيها بالخرم والخدش.

ومن هنا كان تدخل الإنسان فيها بالتغيير والتبديل مغامرة خاسرة قطعاً؛ لأنه تدخل فيما لا علم له به من أمر خلقه وماهية وجوده؛ ولذلك كان ممنوعاً من مديحه الطائشة إلى صندوقها قصد محاولة العبث بسرّها؛ إذ فساد شيء من حقيقتها لا يمكن تلافيه بأي إصلاح جهول من عنده، أو أي استدراك بليد من علمه، بل لا بد فيه من تدخل ثانٍ لخالقها العظيم، الذي لا تعجزه الإعادة كما لم يعجزه البدء. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩). فهو وحده - سبحانه - العليم بأسرارها، الخبير بطبيعة تركيبها. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١١).

ذلك هو مقتضى البيان النبوي العميق من قوله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَنْزَاهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مَجَسَّانِيًّا، كَمَا تَتَّبِعُ الْبَيْهَمَةُ بَيْهَمَتُهَا جَفَاءً هَلْ تُجْشُونَ فِيهَا مِنْ جَذَعَاء؟»^(١). وفي رواية مسلم زيادة مهمة، نصها: «كَمَا تَتَّبِعُونَ الْإِبِلَ فَلَهَلْ تَجِدُونَ فِيهَا جَذَعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجِدُونَهَا». فتدبر، ما أعجب هذا الكلام النبوي العميق!

فلا يكون التدخل في هذا المعنى اللطيف الممنوع إذن، إلا هوى وضلالاً؛ ولذلك جعل الله الدين أساس الصيانة لهذا السر العجيب في معنى الوجود الإنساني، وهو مقتضى هذا النص القرآني العظيم: ﴿بَلِ انْشَأَ الْإِنْسَانَ طَلَمًا أَهْوَاهُ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَمَتَ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ لُصْمِينَ ﴿١﴾ فَأَيُّكُمْ وَجَّهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَاطِلُ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَسْمَعْ أَكْثَرَ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِ وَانْفُورُهُ وَأَقْبَمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ جَزَاءً بِمَا لَدَيْهِمْ فَيَرْحَمُونَ﴾ (الروم: ٢٩ - ٣٢).

ففطرة الله التي فطر الناس عليها، هي صورة الروح المؤمنة، المجبولة على صفاء الإخلاص لله، بما هو رب العالمين، الخالق وحده لكل شيء، المستحق وحده للعبادة من دون كل شيء. من هنا يبدأ تصور معنى الفطرة فيتفرع بعد ذلك إلى كل أعمال

(١) متفق عليه، من رواية أبي هريرة مرفوعاً.

الدين، سواء في ذلك ما كان من الروحانيات أو من الجسمانيات؛ لأن الدين هو المؤهل وحده على تحديد معنى الفطرة، وهو المؤهل وحده على صيانتها ورعايتها. خاصة وأن الله - جلّ علاه - جعل الروح بحكمته الابتلائية مغمورة بالجسد، أو الجسد مغمورًا بها، على سبيل التداخل والامتزاج الدنيوي، لتحقيق حكمة الابتلاء، فكانت فطرة النفس إذن بذلك مهددة بالضياح في غمرة نوازع الجسد الحيوانية، وفي وحل رغائبه الطينية؛ إن هي لم تُضبط بالتهذيب والتشذيب، لتبقى على أصل خلقتها، بما هي فطرة نفسانية أولى، وهيئة روحانية سابقة، مجبولة على تسوية تامة وتوازن حكيم.

وهذا يحيل على ذلك المفهوم القرآني العجيب، المؤسس لأصل الإيمان في الخلق البشري ابتداءً، بما هو سر من أسرار الخُلُق والمَكُون، لكنه مهدد بالضياح في متاهات الغفلة عن صيانة العهد الأول، وميثاقه المؤسس على الفطرة الأولى. وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَسْتُ رَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٤﴾ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَتَرَكْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْهَمْنَا كُنَّا بِمَا قَعَلْنَا غَافِلُونَ ﴿١٧٥﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْحِمُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤ - ١٧٦].

فالصيانة لهذا المعنى، تهذيبًا وتشذيبًا، هو بالضبط ما تقوم به أحكام التكليف التي جاءت بها الشريعة، ولا شيء من الدين يخرج عن هذا المعنى؛ ولذلك فإنك ترى كيف يمتد معنى الفطرة في الإسلام، من المنطلق الأول للدين، في بيان هيئة المؤمن النفسانية الباطنة، ابتداءً من حقيقة التوحيد بما هو إخلاص العبادة لله وحده، وانتهاءً ببيان هيئة المؤمن الجسمانية، مما يتعلق بخصال الفطرة الظاهرة في تجلياتها الجمالية. فالمعنى الأول - الهيئة الإيمانية - هو الأصل، وهو مرتبط بعالم الغيب؛ ولذلك فهو صندوق السر، حيث يكمن المعنى الوجودي للإنسان. والمعنى الثاني - الهيئة الجسمانية - إنما هو الفروع المتجلية منه على عالم الشهادة.

فالنصوص الشرعية المؤسسة للمعنى الأول والمبينة له، يتقدمها هذا النص القرآني المذكور، بعبارة الصريحة الواضحة في بناء المعنى الإيماني للفطرة، بما هي إخلاص

لله الواحد القهار، ونفي لكل ضلالات الأهواء والأغيار، وعليه تجري كثير من البيانات النبوية الصحيحة، من مثل حديث الفطرة المذكور في شمول كليتها على كل مولود بشري. وقد صح عن النبي ﷺ غير ذلك من النصوص، التي توصل لهذا المعنى التوحيدي وتفصله، منها قوله للمؤذن وقد سمعه يرفع الأذان بالتكبير في الصحراء: « على الفطرة » ^(١) ومنها قوله - عليه الصلاة والسلام - للبراء بن عازب رضي الله عنه: « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ احْطَبِجْ عَلَى بَيْتِكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: «اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مُنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ». فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ أَجْرًا مَا تَشْكُلُنَّ بِهِ » ^(٢). وغير ذلك من النصوص كثير... فكل هذه المعاني للفطرة ترجع إلى أصل واحد هو مدار التوحيد والإخلاص، الذي هو الصورة الجلية الأولى للنفس الإنسانية، وهيتها الروحانية التي كانت عليها يوم سَوَّاهَا بَارِئُهَا جَلَّ علاه.

وأما المعنى الثاني، وهو امتداد تجليات الفطرة إلى المظاهر الجمالية الجسمانية، فمن أشهر النصوص الواردة في ذلك قوله ﷺ: « الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْحِفْظُ، وَالِاسْتِحْذَاؤُ، وَتَنْفُ الْإِزْبِلِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَخْفَارِ » ^(٣).

وهناك ارتباط وثيق بين المعنيين؛ لكون الثاني امتداداً للأول - من جهة - وتجلياته من تجلياته؛ ولأنه - من جهة ثانية - علامة سيمائية على سلامة الباطن، بما هو تهذيب وتشذيب، فهو دائر على معاني القص والتنف والتقليم، وما شابهها من معاني الصيانة التشريعية للفطرة الإنسانية، وتلك كلها تجليات لما يجب أن يقع في عالم النفس أولاً، من قص وتنف وتقليم للنوازع الطينية، والرغائب الشهوانية، التي تزيغ بالموهن عن هيئة الصورة النفسانية الأولى: الفطرة الإيمانية، بما يجعلها تنحرف عن حقيقة التوحيد والإخلاص، إلى ضلالات الأهواء المعبودة من دون الله.

(١) رواه مسلم. ونصه: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبْرِئُ إِذَا مَلَحَ النَّجَسُ، وَكَانَ يَسْتَعِجُّ الْأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَسْلَمْتُ وَإِلَّا أَغَارَ، فَيَسْبِغُ وَجْهًا يَهْرُؤُ: « اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « عَلَى الْفِطْرَةِ » ثُمَّ قَالَ: « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ » فَتَنَظَّرُوا فَإِذَا هُوَ رَاجِعٍ مَعْرَى .

(٢) متفق عليه. (٣) متفق عليه، من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

فالفطرة في الإسلام إذن معنى واحد منسجم، راجع إلى الإيمان الخالص، والدين الخالص، ثم إلى ما انبنى على ذلك من حقيقة الخلق الإنساني، تسويةً وتقديرًا بدءًا بالحقائق الإيمانية وسائر التصورات المفهومية لمعاني الخير والشر، والحق والباطل، وانتهاءً بالمواقف السلوكية الاجتماعية، بما تتضمنه من سلامة الأذواق، وصلاح العادات، وسائر ضروب التصرفات البشرية في العمران والحياة.

لكن ذلك جميعًا قائم على المعنى الأول، أعني الصورة النفسانية والهيئة الروحانية للإنسان، بما وصفنا وأصلنا، فلا يسلم شيء من الفروع في مجال التجليات العمرانية والاجتماعية والجسمانية إلا به.

والناظر في مأساة الإنسان المعاصر اليوم يدرك أن الفساد الحاصل في الاجتماع البشري فساد عميق جدًّا، بمعنى أنه من توازن الفطرة، وخرم صورتها الأولى، وخذش أخص خصائصها الباطنة؛ فنتج عنه اضطراب كبير، وفوضى عارمة في كل مناحي العمران البشري فشاهت الفهم والتصورات، وشاهت الأذواق والتصرفات وشاهت الحياة البشرية أجمعها إلا ما شاء الله.

فكل ضروب الانحراف البشري المعاصر، وكل صور التمرد على الله، سواء في مجال الإيمان والتوحيد، أو في مجال العبادات والمعاملات والأخلاق، وسائر ضروب التشريع وأنواع النظم الإسلامية، وما شابهها من خرق سافر عريض، وتمرد على شؤون الربوبية، وانتهاك لحقوق الله، بما هو رب البشرية ورب العالمين، كل ذلك راجع على الإجمال إلى انحراف في المعنى الباطن للفطرة؛ بسبب ما حصل لها من تشوهات في المفاهيم الإيمانية، وانحرافات في فروعها السلوكية والأخلاقية.

وخذ لذلك إن شئت مثال العربي السافر الرهيب، الذي آل إليه حال المرأة المسلمة اليوم، وما يقع من الارتكاس المصنوع للشباب - ذكرًا وإناثًا - في الشهوات، وترديهم في مستنقعات الموبقات، وما يحدث - في سياق ذلك - من الانتهاك الفاجر المحموم لحرمت الله، كل ذلك وما في معناه راجع إلى ما حدث لدى الجيل، من انحرافات وتشوهات في صندوق الأسرار الجبلي: الفطرة، لقد تم تطبيع التصورات والأذواق على تمجيد صور الباطل، وتزيين مفاهيم الضلال، فحصل استقذار معاني الجمال والحياء، واستحلاء معاني الفحش والبيذاء؛ وطفى التمرد على كل معاني القيم

مَائِدَانَا وَأَلَّفَهُ أَسْرَانَا بِهَا ﴿ [الأعراف: ٢٨] . كذا؛ فأني خراب للفطرة بعد هذا؟

لقد استطاع الشيطان في صراعه المرير مع الإنسان أن يغيره بمد يده الطائشة المستهتر إلى مركز الأسرار من حياته، ويقنعه بتغيير ما هو منهى عن الاقتراب منه، بَلَّة مَسِهَ وَالْعَبَثَ بِهِ. ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٩﴾ وَلَا يُلْقِيَهُمْ وَلَاحِقَتُهُمْ وَلَا مَرْتَبُ لَهُمْ فَلَْيُنصَرْنَ أَذَانُكَ الْآخِزِ وَلَا مَرْتَبُ لَهُمْ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ الْفُلُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿ [النساء: ١١٨، ١١٩] . فالتغيير لخلق الله هاهنا هو بمعنى إفساد الفطرة، في هيئتها المعنوية أصالة ثم الجسمانية تبعاً؛ فَنَبِّئُكَ أَذَانَ الْأَنْعَامِ هو بمعنى تشقيفها؛ لجعلها علامة على ما وهبوه لآلهمتهم من قرابين لا تُرْكَب ولا تُحْلَب! وهذا تغيير للفطرة ولكن بما هو إفساد للدين أساساً وتغيير له؛ لأن التشقيق إنما يقع بقصد الشرك بالله. وأما قوله تعالى بعد: ﴿ وَلَا مَرْتَبُ لَهُمْ فَلَْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ . فهو في إفساد الفطرة المعنوية مطلقاً؛ الفطرة بما هي دين الله الحق.

وعلى ذلك أورد ابن كثير مذهب عدد من السلف في تفسير هذه الآية، قال رحمه الله: (وقال ابن عباس في رواية عنه، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والحسن، وقتادة، والحكم، والسدي، والضحاك، وعطاء الخراساني، في قوله: ﴿ وَلَا مَرْتَبُ لَهُمْ فَلَْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ ، يعني: دين الله ﷻ . هذا كقوله: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] على قول من جعل ذلك « أمراً » أي: لا تبدلوا فطرة الله، ودعوا الناس على فطرتهم، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تجدون بها من جدعاء؟ » . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار، قال: قال رسول الله ﷺ: « قال الله ﷻ: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وخرمت عليهم ما خلقت لهم » (١).

إن حجم الشهوات الحاصلة في إنسان هذا العصر البئيس، وما عليه من

انحرافات تمتد من العقائد والتصورات والمفاهيم، إلى الممارسات والتصرفات والأخلاق، وسائر ضروب الأذواق؛ لتنبئ عن عمق التشوه الذي أصابه في فطرته التي فطره الله عليها، بما هو إنسان.

إن خطيئة التشوهات المعاصرة أنها قد عمّت بها البلوى؛ بصورة توهم الأجيال أنها هي الوضع الطبيعي للإنسان! وأن الشذوذ والانحراف إنما هو في عكسها.

لقد تدفق سيل الفساد على خلایا الروح المشكّلة للفطرة الباطنة؛ حتى صار من الصعوبة جدًّا أن نجد من نجّا من آثار هذا الخراب الروحي الرهيب؛ إذ امتدت التشوهات الروحية، والاختلالات التصورية، والانحرافات السلوكية، حتى إلى كثير من الشرائع العاملة في إطار الحركة الإسلامية نفسها إلا قليلاً، وكانت المأساة أن بعض من يعرض نفسه على أنه حامل الدواء - للنفس والمجتمع - هو ذاته يعاني من الداء! الداء الذي يزعم أنه يملك علاجه، لقد تسرب المرض إلى كثير من البدهيات الدينية في تصورات (الحركة الإصلاحية) المعاصرة، بصورة خفية، قد لا تخطر على بال؛ بما جعل محاولة إقناعها بمراجعة ذلك في أديانها ضرباً من العبث! وجعلها تعتقد جهلاً بأن ما هي عليه من فهم ومقولات، هو عين الحق القاطع لكل جدل عقيم.

إن صدمة الطبيب عندما يكتشف أنه هو نفسه مريض، تكون أشد عليه من أي صدمة أخرى بما يجعله - في بعض الأحيان - يرفض عرض نفسه على زميل له، ولو على سبيل الاستشارة فيتمادى في طمس حقيقة مرضه، والدخول في علاجات فردية غير مجدية؛ إيهامًا لنفسه وخداعاً لها، مصراً على عدم الاعتراف بالواقع حتى يكون من الهالكين.

إن طبيعة المرض اليوم في الحياة الإسلامية العامة والخاصة، أعمق من أن تعالجه يد بشرية قاصرة، لا خبرة لها ولا اختصاص، إن اختلال سر الفطرة في الإنسان اليوم في حاجة ماسة إلى تدخل الرحمة الإلهية، بما تملك من معاني الربوبية وشؤونها العظمى، المحيطة بأسرار الملك والملكوت، فلا يستطيع إصلاح الفطرة البشرية اليوم، وإعادة تسويتها على أصل خلقها، إلا الذي فطرها أول مرة؛ الرب العليم بطبيعة تكوينها، وخصائص تركيبها؛ بما خلق فيها من لطائف وأسرار، فهو وحده الخالق، وهو وحده

من يملك حق الصيانة والرعاية. ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

ومن هنا كان خطاب الوحي - بما هو خطاب الفطرة حقاً - هو وحده المؤهل لإصلاح العطب الحاصل في محركات العمل الإسلامي المعاصر، والقادر على ترشيد السير وتصويب الاتجاه، وضبط بوصلة المقاصد والغايات، وإعادة ترتيب سلم الأولويات، كما أنه هو وحده المؤهل لإعادة تسوية ملامح الصورة الفطرية في النفس الإنسانية على المعموم.

إن اشتغال العمل الإصلاحى بإعادة بناء العمران الروحي للفطرة الإنسانية، مؤد بالضرورة إلى إعادة تجديد العمران الاجتماعي والمادي للحياة الإنسانية برمتها، سياسةً واقتصاداً واجتماعاً؛ إذ ذلك هو المنهاج القرآني الذي سلكه رسول الله ﷺ طيلة مدة بعثته الشاملة، بما استقرت عليه من كل وظائف النبوة، تلاوةً وتزكيةً وتعليمًا.

فإذا صح للعمل الإسلامي هذا، وجب أن يضبط الوسيلة الأساس، ألا وهي اعتماد خطاب الوحي لا غير، القرآن الكريم وبياناته النبوية. فالقرآن بما هو كلام رب العالمين، المنزل لهذه الوظيفة أساساً، هو المؤهل وحده لإعادة بناء هذا النوع من الهدم والردم، الحاصل في الحياة البشرية اليوم، كما وصفنا وشخصنا. ولك أن تدبر قوله تعالى في بيان طبيعة القرآن: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَقْلَمُ أَمْرًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا ذَكِيًّا﴾ [الفرقان: ٦]. وقال في خصوص وظيفته: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ وَلَا يَأْتُونَكَ بِسُلْكِ إِلَّا جَسَدًا مَلْعُونًا أَلْتَمِسُ أَلْفًا مَلْعُونًا﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

فإذا صح الأمران معاً - الهدف والوسيلة تشخيصاً وعلاجاً - ثم شرع أبناء العمل الإسلامي فعلاً في تطبيق « المنهاج القرآني الفطري »، كانوا هم أول من يخضع لعملياته الجراحية، من حيث يشعرون أولاً بشعرون؛ لأن الوحي لا يصل إلى الناس إلا بعد أن تشتعل بحرارته قلوب الدعاة إليه، وتلتهب هي ذاتها بحقائقه، وتوهج بخطابه، فلا نور ولا اشتغال إلا باحتراف، ولك أن تدبر معاناة محمد بن عبد الله، ومكابدته للقرآن العظيم كيف كانت، وليس صعباً أن يُرسل ﷺ هذا

الشعور العميق نفسنا لاهبًا بين يدي أصحابه الكرام، قائلاً لهم: « شَيْئِي هُوَ وَأَعْوَانُهَا! » (١).

فشعور الداعية بأنه هو عينه قد صار موضوعاً للإصلاح، لا آلة له فحسب، وبأن نفسه ذاتها قد صارت حديقة لمقص القرآن، يشتغل فيها بالتهذيب والتشذيب، وترية لماله الصافي الرقاق لتلقاه بشغف وشوق، ومصباحاً لربته الوهاج تحرق به مواجدها توهجاً واشتعالاً، كل ذلك علامة على أنه قد دخل في أول خطوات العمل الإسلامي السليم، وانخرط في مسلك السير الفعلي إلى الله، عبداً لله أولاً، ثم داعياً إليه بصدق، جلّ علاه. ذلك هو الحق إن شاء الله، وإلّا ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الْكُفْلُ﴾ [برس: ٣٢].

فقضية الفطرة إذن، هي قضية الدين في هذا العصر، وهي قضية الإنسان، ومن هنا كانت الفِطْرَةُ مشروعاً دعوتياً قائماً على هذا المعنى، يحمل رسالته التربوية هدفاً ووسيلة.

هذا، وبعد استقراء مواردها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ثم تشخيص أدوائها وتشوهاتِها في عصرنا هذا، جعلنا لها - لتيسير الاشتغال بها - أدوات منهجية، نعرضها في مجموعة من المفاهيم القرآنية، تشكل جهازاً تربوياً متكاملًا، هو مسمى « الفطرية » أو « المنهاج الفطري » في القرآن.

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

الفطرية دراسة في الأركان والمسالك

الفطرية: مصدر صناعي أخذناه من الفطرة. وهو دالٌّ - بمصدريته تلك - على معنى دعوي؛ أي على « فِعْلٍ » واقع في الفطرة ومن أجلها، سواء في النفس أو في المجتمع، ومن هنا سَكَنَناه مصطلحاً نعبر به عن مشروع دعوي عام، وعن تصور كلي للعمل الإسلامي، نرجو أن يوفقنا الله إليه، وهو ما ننوِّسِل إلى محاولة ضبطه - في هذه الورقات - بمسمى الفطرية.

ولذلك جعلنا لها حَدًّا، وستة أركان، وثلاثة مسالك.

فَأَمَّا حَدُّهَا فهو:

إِقَامَةُ الْوَجْهِ لِلدِّينِ خَيْفًا، خَالِصًا لِلَّهِ؛ وذلك بِمُكَابَدَةِ الْقُرْآنِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ بِهِ تَقْلِيمًا وَبِلَاغًا، فَضَدَّ إِخْرَاجَهَا مِنْ تَشَوُّهَاتِ الْهَوَى إِلَى هُدَى الدِّينِ الْقَيِّمِ؛ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ.

فبناءً على هذا التعريف، تكون « الفطرية » بمثابة عملية إصلاحية وجدانية، تقوم أساساً على تصحيح ما فسد من فطرة الإنسان، المحبوس أصلاً على إخلاص التوحيد، وإصلاح ما أصابها من تشوهات تصورية وسلوكية، في شتى امتداداتها العمرانية.

ذلك مقتضى الآيات - عبارة وإشارة وسباقاً - من قوله تعالى، الجامع المانع في هذا المعنى العظيم، وهو النص القرآني الفريد الذي أوردناه من قبل، من قوله تعالى:

﴿ بَلَى أَتَسَعَّ الْأَبْرَصَ ظَلَمُوا أَهْلَهُمْ بِمِمَّا جَاءَهُمْ قَدْ يَسْخَرُونَ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ فَاوْرَثُوهَا لِلَّذِينَ خَلَفُوا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

فأي دعوة تكون أم أي داعية، إذا كان فؤاده فارغاً من هذه الحقائق والمعاني؟ شارداً عنها في تيه شغشقات الكلام، ومهارات الجدال والحصام؟ ولا هو كان ممن اتخذ لنفسه مسلكاً إلى الله عبر ربانية القرآن؟ وكيف لا؟ وما الرحمن - جل علاه - بين الطريق للمباد - بما لا يدع مجالاً للشك ولا للتردد - بقوله الواضح الصريح: ﴿كَانَ لِلنَّاسِ أُنْفُسُهُمْ أَنْ يَخْلُقَهُمْ اللَّهُ وَنَسْفَهُمْ أَنْ يُرْسِلَهُمْ وَنَحْيَهُمْ أَنْ يُرْسِلَهُمْ إِنَّهُ كَانَ عَلَى شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [آل عمران: ٧٩]. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّي إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. وختم سورة النمل ببيان هذا المنهج الرباني الفريد، فقال على لسان رسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُ أَنْ أُعْبِدَ رَبِّي هَكَذَا هَلْ دُعِيَ إِلَهِهُ حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَإِنْ أَتَاكَ الْقُرْآنُ فَتِلْكَ الْأَنفُسُ الَّتِي أُهِنَّتْ بِحَتَّىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَعَلَّ إِلَّا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ وَقُلِ لِّلْعَالَمِينَ إِلَٰهٌ سَرِيبٌ مَّا يُدْعَوْنَ فَعُتِفَتْهَا وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَلِّفٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٣].

والمصطلح المفتاح لمنهج التعامل مع القرآن، في مدرسة «القطرية» هو مصطلح: «التلقي»؛ لأن التربية القرآنية في مجالس القرآن لا تكون إلا بتلقي الرسالات الكامنة في الآيات، تلك الرسالات هي التي تتضمن حقائق الإيمان المقصودة بالخلق والتحقق، في طريق الدعوة والسير إلى الله صلاحاً وإصلاحاً.

فمن قرأ سورة الإخلاص ولم يتخلق بالإخلاص، ولا هو تحقق به، فمعناه أنه لم يتلقَ سورة الإخلاص، ولا هو ممن تلاها حقاً، ولو ظل يرددها آلاف المرات! ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِّن دُونِ الْإِيمَانِ لَبِسُوا فِي آيَاتِنَا حُرْمَةً وَالْكَافُونَ﴾ [البقرة: ١٦٦]. وكذلك من قرأ المعوذتين ولم يتحقق بما فيهما من أمان، ولا نزلت عليه مسكنتهما، فإنه لم يتلق شيئاً من السورتين، ومن قرأ سورة الفاتحة ولم يجد نفسه قد تخلق بالحمد، ثم اندرج بمدارج «إياك نعبد وإياك نستعين»؛ طلباً لهداية الرضى والتثبيت، فإنه لم يتلق الفاتحة بعد!

ولما يكون «التلقي للقرآن» - بما يبناه في كتيب «مجالس القرآن» - من حيث استقبال القلب للوحي على سبيل الذكر. وبيانه هو كما يلي:

(كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة، ولكن قليل منهم من (يَتْلَى) القرآن! وإنما يؤتي القرآن ثمارَ الذكر حقيفة لمن تلقاه، وإنما كان رسول الله ﷺ يَتْلَى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿ وَبِذَلِكَ نُلَقِّنُ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل: ١٦). ولا يزال القرآن معروضاً لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه ظاهراً فقط.

وأما تلقي القرآن فهو استقبال القلب للوحي؛ إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ، على نحو ما سبق في قول الله تعالى: ﴿ وَبِذَلِكَ نُلَقِّنُ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل: ١٦). ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلَقَّ إِلَيْكَ الْقِطْعُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾ (القصص: ٨٦). حيث ألغى الله عليه القرآن بهذا المعنى، كما فسر الراعب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَلَاثًا ﴾ (الزمل: ٥). قال رحمه الله: « إشارة إلى ما حُمِّلَ من النبوة والوحي » (١).

وأما أن يكون (تلقي القرآن) بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذِّكْرِ. وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي؛ فذلك المنهج هو الذي به تنبع حياة القلوب؛ لأنها تتلقى آتخذ القرآن (روحاً) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتُبُ وَلَا أَلْيَمِنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ لَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَفِي ظُلُمَاتٍ ثَخِيضٍ ﴾ (الشورى: ٥٢). و (تلقي القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذِّكْرِ؛ إنما يكون بحيث يتعامل معه العبد بصورة شهودية؛ أي كأنما هو يشهد تنزله الآن غصّاً طرياً، فيتدبره آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حياً في عصره وزمانه، ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلْقِي) له السمع بشهود القلب. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]. ذلك هو الذاكر بالقرآن حقاً، الذي يُخَصِّلُ ثمرة الذكرى ولا يكون من الغافلين.

(١) المفردات، مادة: (لقي).

فأن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك، فتبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحاً، وبهذا تقع البقطة والتذكر، ثم يقع التخلق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خلقه - عليه الصلاة والسلام - فقالت: «كان خلقه القرآن» (١).

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضاً أن تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك، كما ينزل الدواء على موطن الداء، فأدم الله لما أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت عليهما أمارة الغواية؛ يسقط لباس الجنة عن جسديهما، فظل آدم عليه السلام كميماً حزينا. قال تعالى: ﴿فَأَحْكَلًا مِنْهَا فَأَبَدَتْ لَهَا سَوءَ نَجْوَاهَا وَغِطَاءًا يَخْفِي عَنْ عَيْنَيْهَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]. ولم يزل كذلك حتى (تلقى) كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له بذلك شفاء، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَقَدْ أَذْهَبْنَا عَنْ آدَمَ مِنْ رَيْبِهِ كَلِمَتَ مَقَابِلَةٍ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. فهو الله كان في حاجة شديدة إلى شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا يدري كيف؟ فأنزل الله عليه - يرحمته تعالى - كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله تعالى. وهي - كما يقول المفسرون - قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا طَعْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فبمجرد ما أن تنزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛ حتى نطقت بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له التوبة خلُقاً إلى يوم القيامة، وكان آدم عليه السلام بهذا أول التوابين، وذلك بأخذه كلمات التوبة من ربه على سبيل (التلقي): ﴿فَلَقَدْ أَذْهَبْنَا عَنْ آدَمَ مِنْ رَيْبِهِ كَلِمَتَ مَقَابِلَةٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

فعندما تقرأ القرآن إذن؛ استمع وأنصت! فإن الله ﷻ يخاطبك أنت! وادخل بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن، هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر! (٢). وبذلك نخرج إلى الناس في هذا العصر العصيب - بكل تعقيداته وظلماته - تحمل رسالة القرآن، كما حمل موسى عليه السلام من قبل عصاه، فتلقي آياتها كلمة كلمة على سبيل الشهوات

(١) رواه مسلم.

(٢) مجالس القرآن: (٢٧ - ٤٠)، بتصرف يسير.

والشبهات، وعلى سائر الأهواء والأدواء. ﴿لَئِذَا مَنِ تَلَقَّفَ مَا يَأْتِيكَونَ﴾ ﴿وَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَتَلَبَّثُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ﴾ ﴿وَأَنَّى السَّعْرَةُ سَجْدِينَ﴾ ﴿قَالُوا أَمَنتَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧ - ١٢١].

نعم، ذلك هو فعل القرآن في هذا الزمان، على النفس وعلى المجتمع، كما كان في كل زمان، لكن لمن تلاه حق تلاوته.

بهذا المنهج إذن تتلقى عزمك رسالة الكلمات، فتشعر بمعانيها، ويتلقى قلبك هداية الآيات، فيشعر بمكابداتها، وتجد نفسك أنك تترقى حقيقة بمدارج الإيمان، تشاهد ذلك وتبصره، فلا يمتضي عليها إلا وقت وجيز حتى تراها - بإذن الله - قد تحولت إلى منزلة أعلى من منازل الصلاح والإصلاح؛ فتتحول المعاناة إلى لذة، وتصير المكابدة إلى حلالة، وبصير الحوف إلى أمان، وإنما الموفق من وفقه الله. تلك هي الفطرية، وذلك هو منهاجها لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً.

وأما أركانها فستة:

هي مصطلحاتها المفتاحية - وهي:

١ - الإخلاص مجاهدة.

٢ - الآخرة غاية.

٣ - القرآن مدرسة.

٤ - الربانية برنامجا.

٥ - العلم طريقة.

٦ - الحكمة صيغة.

فأما الركن الأول، وهو: الإخلاص مجاهدة:

فهو قصُ الفطرية، ومُحَمَّلُ الذي تنطوي عليه، بما هي محاولة لإعادة بناء النفس على ما بنيت عليه أول ما خلقت، وقد كان أول بنائها على الفطرة، وقد سبق أن أصل الفطرة الإنسانية إنما هو إخلاص التوحيد لله رب العالمين، فكان مدارُ الفطرية - دعوة وتربية - إنما هو على أفراد الله ﷻ بالعبودية، وحده دون سواه، ونيز سائر

ضروب الشرك والشركاء، ظاهرًا وباطنًا. فسائر الأعمال والعبادات في الإسلام إنما هي خادمة لهذا الركن الركين، وفروع لهذا الأصل العظيم، هو غايتها، وهو مقياس صحتها وفسادها؛ ولذلك وجب أن يجعل الإخلاص - كما جعله الله في كتابه، ويكثّر الرسول في منهاجه - مدار الدين والدعوة جميعًا، وإلا صار العمل الإسلامي كله إلى انحراف وضلال! إلا أن إخلاص التوحيد ليس مجرد معلومات تُلقن، ولا منظومات تُستظهر، بل هو حقيقة إيمانية عظمى، وخلق قرآني عميق، لا يُنال إلا بمجاهدة ومكابدة؛ ولذلك قيّدنا ركنيته ببيان طريقة التحقق به؛ بقولنا: «الإخلاص مجاهدة»؛ إذ مقتضاه راجع إلى معنى السير إلى الله على طريق الفناء في طاعته؛ لتحقيق خالص العبدية له وحده جل علاه، حتى لا يبقى منك شيء لسواه، فتجعل كل رغائبك وكل أهوائك وكل ذراتك، الظاهرة والباطنة، فانية في قصده هو ﷻ، حتى يتحقق لك دوام الشهود لعبيدتك الكاملة له، فلا تكون في شيء من عبادتك وعاداتك إلا بالله وله. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

هذا هو المقصد الأساس من المدرسة القرآنية، والغاية الكبرى لبرنامج الربانية، والجامع المانع لمفهوم الفطرية. فمن أراد الإخلاص حقيقة، وجب أن يتحقق بطريقة التخلق بمقامه، ومعراج الرقي إلى منزله، وإلا كان ممن يتمنى على الله الأمانى، وليس لذلك دون مكابدة القرآن ومجاهدة النفس به من سبيل، وإنما الموفق من وفقه الله. وأما الركن الثاني، وهو: الآخرة غاية:

فهو ميزان الداعية المؤمن لتقويم صفاء دينه، وبوصلته لضبط مسار دعوته، وما ارتبط شيء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كما ارتبط ركن الإيمان بالله بركن الإيمان باليوم الآخر على نحو ما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. وهو في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصى؛ إذ الإيمان بالآخرة هو حادي العبد إلى تحقيق منزلة الإخلاص في إيمانه بالله جل علاه؛ ولذلك كان هذا البيان النبوي العجيب في رسم طريق الآخرة للمؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هُمَّةً جَعَلَ اللَّهُ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ

شمَلَهُ، وأتته الدنيا وهي زائغة! وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَرْقَهُ بَيْنَ عَيْنِهِ وَفَرْقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ! وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» (١).

فالخضور الأخروي الدائم في وجدان المؤمن يجعله آمناً من فتن الشهوات، ومن بريق الإغراءات، التي تقسد الدعوات وتدمر الحركات، وعدم العض على هذا المعنى العظيم في الإسلام بالنواجذ مُثْقِي بالمرء - أنى كان موقعه الحركي في العلم والعمل - إلى متاهات الضلال؛ ذلك أن قضية الحياة الآخرة هي جوهر العقيدة الإسلامية، ومآل العالم الوجودي كله. ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْلٌ وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةُ لَهِمُ الْحَيَاةِ نَوْءٌ كَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٦٤].

وأحسب أن هذه الحقيقة العظمى ليما ينبغي لكثير من الحركات الإسلامية، أن تراجع تصوراتها، وبرامجها، وأولوياتها، على ميزانها؛ وذلك لما شاهدناه لدى بعضها من انحراف عن وعد جنة الآخرة إلى وعد جنة الأرض في سياق التنافس المحموم مع الحركات اليسارية والأحزاب العلمانية، وإنما المؤمن الصادق بهذا الدين - بله الداعية إليه - رجلٌ أخروي بالقصد الأول. ﴿أَرَضَيْتُمْ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [نور: ٢٨].

وتتميز الفطرة بأنها تجعل لكل حقيقة من حقائق الدين ما جملة الله لها من الحجم والقدر، في الصورة الكلية للإسلام ديناً ودعوة؛ لأن ذلك من خصائص الفطرة، ومن صفاتها الذاتية، بما هي الهبة الأولى للدين، قبل أن يصيبها التغير والتحريف، ومن هنا كان الركن الثاني من أركان الدعوة الفطرية: «الآخرة غاية»، وقديماً بالغاية؛ حتى لا يبقى هذا المعنى حبيس التصورات النظرية في الجدل الكلامي، بل ليصبح هدفاً محدداً واضحاً، لكل عمل إسلامي يُؤجى به نيل رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم في جنات الخلد، والنجاة من عذاب الجحيم، ألا جعلني الله وإياك يا صاح من الفائزين بنعمته، الداخلين في رحمته. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢﴾﴾ [الشراء: ٨٨، ٨٩].

(١) أخرجه الترمذي عن أنس مرفوعاً. وصححه الألباني، حديث رقم: (٦٥١٠) في صحيح الجامع.

وأما الركن الثالث، وهو: القرآن مدرسة:

فهو الصيغة العامة للفطرية، بما هي قائمة أساساً على تلقي رسالات القرآن، سواء عبر برامج الربانية أو عبر مجالس القرآن، وقد تبين ألا إمكان لإصلاح الفطرة الإنسانية إلا بالقرآن؛ لأنه إنما أُتِرِلَ أساساً لهذا القصد الرباني العظيم، فالقرآن - بما هو كلام خالق الإنسان، العليم بأسرار تكوينه - هو كتاب إصلاح الفطرة الإنسانية وحياتها، ومن هنا كانت الفطرة مدرسة قرآنية بالدرجة الأولى^(١).

وأما الركن الرابع، وهو: الربانية برنامجاً:

فهو أحد مسالكها التربوية الرئيسة، الهادفة إلى تخريج طبقة الدعاة المربين، وهم طائفة الربانيين الحاملين لرسالة القرآن، المشتغلين بدعوته في الناس أجمعين، بما يقتضيه مفهوم الربانية من مقام إيماني عظيم، وفقه دعوي متين؛ ولذلك جعلنا لها برنامجاً قرآنياً خاصاً، استقريناه من مجموع الآيات الدالة على أخلاق الربانيين، وخصوص منازلهم الإيمانية، وما تقتضيه من العلم والحكمة، معززاً بالبيانات النبوية، الرامية إلى تخريج أئمة الهدى في الدين.

وأما الركن الخامس، وهو: العلم طريقة:

فهو راجع إلى كون العلوم الشرعية أساساً، ومناهجها الاستدلالية والاجتهادية، وقواعدها النقدية والتأصيلية، هي المسلك الأساس لبناء علم الناس بالله وبيدته، عقيدةً، وشرعةً، وتربيةً وسلوكاً، فلا مكان في الفطرة للخرافة، ولا للأهوائية الشخصية، ومن هنا وجب أن تحمل رسالات الفطرية، لكل المسلمين، الحد الأدنى من العلم الشرعي، الذي لا يُعبد الله إلا به، وعقيدةً وشرعةً، وذلك هو المسمى عند العلماء بـ «المعلوم من الدين بالضرورة»، أو «ما لا يتنحى المسلم جهله»، ثم تحرض - في الوقت نفسه - نغاة الشباب على تحقيق واجب الوقت، من التفريغ لطلب العلم الشرعي، بشروطه التخصصية؛ وذلك لمد الأمة بأجيال العلماء الربانيين، على ما بيناه في كتابنا «مفهوم الغايية». فذلك هدف إستراتيجي، وجب أن يكون عموداً فقرئاً، في كل مشروع دعوي، انتصب لتجديد الدين بصدق وبجدية. وما التوفيق إلا بالله.

(١) قد فصلنا ذلك بما يكفي، فيما سبق من بيان، وكذا في مواطن تقديم برنامج الربانية ومفهوم مجالس القرآن، فلا داعي للإطالة.

وأما الركن السادس، وهو: الحكمة صفة:

فهو صمام الأمان لسير العمل الدعوي، وقد كان غياب الحكمة سبباً رئيساً في هلاك كثير من الدعوات واندثارها، أو انحرافها، والحكمة في العمل الدعوي هي: « اتخاذ الإجراء المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب ». فهي إذن راجعة - في النهاية - إلى كلمة واحدة جامعة هي: حُسنُ التقدير والتدبير.

ويُتحققُ منها بأمرين، أحدهما كسبي والآخر وهبي. فأما الكسبي فهو: الفقه في الدين بمعناه المنهجي، وخاصة منه ما يسمى عند الأصوليين بفقه « تحقيق المناط » غامِهُ وخاصُهُ^(١)، ويدخل فيه فقه الأولويات وفقه الموازنات، وما يندرج فيهما من قواعد التدرج والتلطّف والتتّرس.

وأما الوهبي فهو: راجع إلى التخلّق بمقامات التقوى والورع، إذ هي سبب وضع المؤمن في منزلة التعرّض لفتحات الله، التي تفتح البصائر وتبهر السرائر، وهو معنى الفرقان في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الذِّكْرُ آمَنُوا أَنْ تَنْفَعُوا اللَّهَ يُجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنعام: ٢٩]. وكذا قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَكُلُوا مِنْهُ وَاللَّهُ يَكْفِي سَوْءَ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وفي هذا السياق أسند الله تعالى فعل إثبات الحكمة لنفسه تعالى؛ لنفي مطلق كسبيتها عن الإنسان، وهو قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد كان شيخ المقاصد أبو إسحاق الشاطبي رحمته - بما فتح الله له من العلم والحكمة - من أمهر العلماء الربانيين فقها لهذه الحقائق وتعبيراً عنها، بشقيها الكسبي والوهبي، وقد وردت عنه في ذلك إشراقات عجيبة، في نصوص شتى من كتابه الرائد للموافقات، ولنا أن نختار منها هذا النص الفريد، قال رحمته في وصف العالم الرباني الحكيم أنه: « لا يَذْكُرُ للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربي بصغار العلم قبل كباره، وقد فرض العلماء مسائل، مما لا يجوز الفتيا بها، وإن كانت

(١) انظر تفصيل ذلك - إذا تشاء - في كتاب الموافقات للشاطبي: (٩٧/٤).

صحيحة في نظر الفقه، (...) وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها؛ فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة؛ فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت بما قبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية (١).

وهذه منزلة من العلم الرباني، وجب على الداخل في مدرسة الفطرية أن يحرص على التحقق بأسبابها، والتخلق بشروطها؛ عسى أن يكون من أهلها، ولو على مستوى الشهيج في المجال الدعوي، إن لم يكن من أهل الاختصاص الشرعي والاجتهاد الفقهي، ومدرسة القرآن بما هي مشرب رباني صافي، كفيلة بتحقيق ذلك للصادقين من طلابها، بما يجعل الحكمة - بإذن الله - صفة جوهرية في التصرفات الدعوية لأبنائها؛ ولذلك جعلنا الركن الأخير من أركانها: (الحكمة صبغة). كذلك، والله الموفق للخير والمعين عليه.

تلك إذن هي أركان الفطرية الستة. ونحسب أن الدخول في برامجها القرآنية، من خلال مسالكها التربوية، كفيل بالتحقق التلقائي بها، ركنًا وركنًا، وإنما ذكرناها هاهنا معزولة من باب ذكر المقاصد قبل الوسائل؛ حتى تكون تلك عونًا على حسن تطبيق هذه. والله المستعان.

وأما المسالك التربوية للفطرية فتلاثة، وهي:

١ - مجالس القرآن لتلقي حقائق الإيمان، والتخلق بمقتضاها.

٢ - بلاغ رسالات الله بدعوة الناس إليه.

٣ - رباطات الفطرية، بما تتضمنه من صلوات وأوراد معنوية؛ للتغذية الفردية (٢).

(١) الموافقات: (١٩٠/٤، ١٩١).

(٢) جعلنا ذلك فيما كتبنا من قبل - بكتابنا بلاغ الرسالة القرآنية - في ثلاث خطوات، بصيغة: (اغتنام المجالسات، والتزام الرباطات، وتبليغ الرسالات). وكان الكلام عن « الرباطات » مفصلاً على التزام المساجد، لكنها توسعنا هاهنا بجعلها متبوعة بأعمال أخرى من أوراد الفطرة الضرورية للمؤمن فعلاً وتركاً، على ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَذِيرُ الْكَافِرِينَ إِنَّكَ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا فَلْيُحْسِنِ الْعِبَادَةَ وَلْيُذَكِّرْ أَنَّهُ أَصْغَرُ وَأَنَّهُ يَلْعَلُ مَا يُفْسِدُونَ ﴾ [هكبر: ٤٥]، وبالله تعالى التوفيق.

وبيان ذلك هو كما يلي:

المسالك التربوية للفطرية:

المَسَالِكُ التربوية لتجديد بناءِ الفِطْرَةِ، هي: مجموعة من المسالك التعبدية التي تقود العبد إلى الله، فَنَقُومُ مَا شَاءَ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَطِبَاعِهِ، وَنُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ مَزَاجِهِ وَأَفْكَارِهِ؛ لِيَسْتَقِيمَ عَلَى خَالِصِ فِطْرَتِهِ، وَصَفَاءِ سِرِيرَتِهِ، عَبْدًا خَالِصًا لِلَّهِ، ثُمَّ تَرْتَقِي بِهِ عِبْرَ مَدَارِجِ الرِّبَاقَةِ؛ إِلَى أَنْ يَتَخَلَّقَ بِمَقَامِ الصُّدُوقِيَّةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَيَتَحَقَّقَ بِهِ.

وهي ثلاثة مسالك، نوردّها كما يلي:

المسلك الأول: الدخول في مجالس القرآن:

وهي مجالس تربوية لِيَتَلَقَّى آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَالتَّخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهَا وَبِحَقَائِقِهَا الْإِيمَانِيَّةِ، وَالتَّحَقَّقَ بِهَا، تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَتَدْرِيسًا وَمُدَاسَةً، وَهِيَ تَقُومُ عَلَى وَظَائِفِ النُّجُودِ الثَّلَاثِ، الَّتِي هِيَ:

١ - التلاوة بمنهج التلقي.

٢ - التزكية بمنهج التدبير.

٣ - تعليم الكتاب والحكمة بمنهج المدارس^(١).

ويستعان على إعداد القلب وتهيبته للتلقي بقيام الليل، ولك أن تختار لنفسك ليلة - على حسب ظروف عملك - تقوم فيها بنحو مائة آية من القرآن^(٢)، مرة كل أسبوع على الأقل، عسى أن يصير ذلك لك عادةً يومية، تنتقل خلالها عبر منازل القرآن، وإذا أمكن أن نتحدث - في بداية الطريق - عن «تحقيق المناط التربوي»؛ فإنه يحسن الإكثار من القيام بسورة الفرقان في الركعة الأولى؛ وبسورة الحديد في الركعة الثانية، أو بسورة الملك؛ وذلك لما لهذه السور وأمثالها من تزيان عظيم لأعراض هذا العصر العصيب.

كما يحسن أن تكون سورة الفرقان خاصة، مما يبدأ بتعليمه من القرآن الكريم، حفظًا

(١) قد بينا ذلك مفصلاً في كتاب «مجالس القرآن»: (٣٥ - ٤٤).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «من قام بمشر آيات لم يُكُتَبْ مِنَ الْعَافِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْتَدِرِينَ» رواه أبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

ومداوسةً وتديراً؛ لأنها باب عظيم من أبواب القرآن، ومدخل فسيح من مداخله الكبرى، من تَخَلَّقَ بحقائقها الإيمانية، وتحقق بمنازلها الربانية؛ نال من كنوزه الوفيرة فضلاً عظيماً؛ إذ فيها من الأسرار العجيب العجيب، عيوناً تندفق بالأنوار واللطائف والبركات، من بدانتها إلى نهايتها؛ بما يكفي السالك ويكفيه - بعد تخلقه بأخلاقها وتحققه بمنازلها - أن يلج إلى مسالك القرآن جميعها ويكون من (عباد الرحمن) حقيقة^(١).

ويلحق بهذا المسلك فرع أصيل، وهو مجالس قرآنية لتخريج الدعاة القائمين على مجالس القرآن في الناس، والمؤطرين لها، يعتمدون فيه برنامجاً تربوياً خاصاً، منتقى من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو:

برنامج الربانية لتخريج الدعاة:

إذ الربانية: هي مرتبة الإمامة في مجاهدة النفس بالقرآن، على الالتزام بحقائقه الإيمانية، والتخلق بحكمته الرحمانية؛ إخلاصاً لله أولاً؛ حتى تفسى في دعوتها عن كل حظوظها، فلا يقوم شيء منها إلا لله وبه، ثم شهادة بذلك على الناس، تربية ودعوة، ثم صبراً واحتساباً.

والربانيون هم الأئمة على هذا المنهاج الدعوي، والقائمون به في المجتمع، والحاملون رسالته، تربية ودعوة، على ما قرره القرآن الكريم في غير ما آية، من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [ال عمران: ٧٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيِّنُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ

(١) يكفيك من ذلك إشارة أن اسمها هو أحد أهم أسماء القرآن ولا سورة سميت بمثل اسمها، مع أن أسماء القرآن الواردة بنصه كثير، ثم إن موقعها منفتح على أواسط القرآن؛ ولذلك فهي تدخل بصاحبها إلى ساحاته وباحتاته وتفضي به إلى معارجه ومفاسده، ومن هنا كانت آياتها كلها تدور على محاور القرآن الكبرى، بدءاً بأصول الإيمان وحقيقة التوحيد والإخلاص، فدلالات النبوة، وحقائق البعث ومشاهد القيامة، والوعد والوعيد، وموازن العدل، وعبر القصص، ثم حكم التشريع وجماله؛ ولذلك كانت عائلتها تحمل من ثمار الإيمان ومدارجه ما يرتقي بالبعيد إلى منازل الأولياء والصديقين. وما التوفيق إلا بالله.

اللَّهُ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْنَ يَدَيْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿ [المائدة: ٤٤] .

وكذا قوله سبحانه: ﴿ لَوْلَا يَهْتَمُّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْأَبْرَارُ عَنْ قَوْلِهِ الْأِيمَةُ وَالْأَيْمَةُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣] .

وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه قولاً تفسيرياً لابن عباس رضي الله عنهما قال: (« كُونُوا زَوَّائِينَ » : حُلَمَاءُ فُقَهَاءَ) . وقال الإمام البخاري بعد ذلك شارحاً: « وَيُقَالُ: الزَّوَّائِي: الَّذِي يُرْمَى النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ » (١) .

ومن هنا فالأمة في حاجة ماسة إلى تخريج طائفة عريضة من هذه النماذج الدعوية، وبشهم في كل منطقة وقطاع؛ للقيام بدور تجديد الدين، على موازين العلم والحكمة (٢) .

المسلك الثاني: بلاغ الرسالات:

وهو راجع إلى واجب الالتزام الدعوي للإنسان المسلم، وذلك لما تعلق به من أهم صفات ما انتسب إليه من الإسلام: « الرسالية » . قال صلى الله عليه وسلم في أمر مطلق لكل الأمة: « تَلْعَلُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » (٣) . ومن هنا كان المجتمع الإسلامي كله جماعة دعوية بطبيعته، وحياة إصلاحية بوظيفته، إنه مذ أعلن أن محمداً رسول الله، تقلد - بمقتضى عقيدة الاتباع - مهمة الدعوة إلى الله، فليس عبثاً أن يحض النبي صلى الله عليه وسلم بكل وسائل التحريض والتشجيع - على الدعوة إلى الخير والهدى، كما في قوله: « قَوْلَ اللَّهِ لِأَن يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » (٤) .

ومن هنا شهادة الله بالحرية لهذه الأمة، في قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْسِرُونَ وَالْمَعْرُوفِي وَنَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] . إنها صفة عامة في كل من أسلم لله الواحد القهار، كل ينال منها على قدر طاقته ومسؤوليته. لكن لا بد من بيان أن البلاغ اليوم في المسلمين ليس بلاغ (خير) هذا الدين.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

(٢) قد أوردنا بعض المعالم المنهجية لتكوين شخصية الداعية الرباني، في تمهيد «برنامج الريانة» .

(٣) أخرجه البخاري. (٤) متفق عليه.

فذلك أمر قام به الأولون، وما بقي اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة الإسلامية، على الجملة، وإنما المسلمون اليوم في حاجة إلى «إبصار». إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله سبحانه في قوله: ﴿وَكَرِهْتُمْ نَظْرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَكَايْنِ مِنْ مَالِكٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يسف: ١٠٥]. فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ التبصير، لا بلاغ التعبير.

وأما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة القرآنية، وبلاغات القرآن^(١) : من اكتشاف القرآن العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف الحياة الآخرة، واكتشاف روح الصلوات وحفظ الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع السنة؛ تركية وتعلما وتحلما، ومفاتيح ذلك كله في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وتلك هي وظيفة مجالس القرآن.

ومعلوم أن من أهم الوسائل الدعوية ذات الأثر العميق، خاصة في هذا العصر، إنما هي تأسيس «مجالس القرآن» كما وصفنا وبيننا، وتكثير جليلها وسوادها في الأمة؛ حتى تصبح جزءاً أساسياً من حركة النسيج الاجتماعي العام، وتلون كل شرائحه الاجتماعية، على اختلاف طبقاتها وقطاعاتها، فالدعوة المسلم يدعو إلى الله كل الناس، وفي كل مناسبة، ومن على كل منبر، لكن «مجلس القرآن» في النهاية، هو أساس التزكية والتعليم، ومحض التربية والتكوين، وضمان السير إلى الله، ومن هنا كان مسلك «بلاغ الرسالات» إنما يتم بالرجوع إلى مسلك «مجالس القرآن» تأسيساً وتوسيعاً.

المسلك الثالث: رِبَاطُ الْفِطْرِيَّةِ:

(بما يتضمنه من صلوات وأوراد معنوية؛ للتغذية الفردية، وما يلزم عن ذلك كله من فعل الصالحات وترك الملوقات).

فرباط الفطرية: هو أعمال واجبات، وتروك لازمات، وأذكار مندوبات، مما صح أن الرسول ﷺ التزمه وداوم عليه، فالرباط الفطري هو معراج المؤمن الدائم إلى الله،

وحصنه المنيع من كل فتنة أو آفة؛ ولذلك فهو يتضمن بالأساس، أفعالا واجبة وأخرى محرمة - من المعلوم من الدين بالضرورة - يلتزمها المؤمن فعلا وتركاً أبداً، على أنها أذكار معنوية تُذَكِّرُهُ أبداً بالله؛ إذ لا يصح سيره إلى الله إلا بها، كما سترى بمحله إن شاء الله، والغاية منه إنما هي إصلاح صورة النفس بتهديبها وتشذيبها، وكذا تركبتها بتغذية لطائفها؛ حتى تعود إلى أصل فطرتها.

وقد سمي رسول الله ﷺ الاشتغال بالصلوات الخمس، وبكل ما تعلق بها من وضوء، ومشى إلى المساجد، وما اتبني عن ذلك كله من سوابق ولواحق من الاستعدادات والعبادات: «رباطاً». ففي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطِيئَاتِ وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَتَحَنُّنُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَالِإِيطَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ!» (١).

فكون الصلاة والاشتغال بمقدماتها وتوابعها «رباطاً»، بهذا الشمول التربوي الجامع، إنما هو باعتبارها صلة للعبد بربه، وعاصماً له من الزلات والغفلات فهي لذلك فعل وترك، وهي ذكر دائم لله، فذلك هو «الرباط»، وتلك هي غاية كل فعل تربوي في الإسلام؛ ولذلك كانت الصلاة أعظم شعيرة عملية في الدين، فهي أم الالتزامات والأوراد، وأساس كل الأذكار اللفظية والمعنوية جميعاً، فالصلاة إذا تحققت بها العبد صدقاً، وتخلق بمقاصدها الشرعية حقاً - كانت عبادة جامعة مانعة، وقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَنزَلْنَا الصَّلَاةَ لِمَنْ أَلْصَقُوا تَتَنَحَّى صَبْرَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (التكوير: ٤٥). وصدق رسول الله ﷺ: «فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ!».

ومن هنا فإننا لم نعتمد في هذا المسلك سوى منهاج السنة النبوية الصحيحة، التي اشتغلت - في مجال إصلاح النفس - بالمعاني أساساً؛ حيث إن الذكر على نوعين؛ هما: **الذِّكْرُ الْعَدَدِيُّ** و**الذِّكْرُ الْمُغْتَوِي**.

(١) رواه مالك في موطئه ومسلم في صحيحه، كما رواه أحمد والترمذي والنسائي.

فالعديدي: هو الذي يرهن فيه المسلم نفسه بأعداد هائلة من الأذكار، تسيبها وتهيلًا واستغفارًا... إلخ، بلوغًا إلى الآلاف! وعلى هذا كان أغلب طرق الصوفية من المتأخرين خاصة، وتلك طريق طويلة محقوفة بالخطاطر، وقلما تصل بصاحبها إلى بر الأمان.

وأما النوع الثاني فهو: الذِّكْرُ الْمُغْنَوِي:

وهو قائم أساسًا على قصد ربط المؤمن بربه أبدًا، بالأقوال والأفعال والتروك؛ حيث يجتهد العبد ليحقق في كل حركة، وفي كل كلمة، وفي كل هيئة، من سائر الأفعال والتروك التعبدية التي يدخل فيها، معناها الذي شرعت له؛ فيكون بذلك في أعلى مقامات الذِّكْرِ، ولذلك كانت الصلاة مثلًا بهذا المعنى ذِكرًا، كما في قوله تعالى: ﴿قَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وكان القرآن أيضًا بهذا المعنى ذِكرًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، كما كان ترك الكبائر والموبقات - كلما عرضت للمؤمن - ذِكرًا أيضًا؛ لأن الوقوع فيها آتخذ لا يكون إلا غفلة منه عن إيمانه، وهو ضد معنى الذكر، ومثاله الواضح ما ورد في الحديث النبوي المتفق عليه، من قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين يتهبها وهو مؤمن»^(١). وذلك لما لهذه الأفعال والتروك وأضرابها جميعًا من تغذية قوية للقلب، وإمداد له بحقائق الإيمان، وهو معنى الذكر وغايته.

فإذا أُجِذَّ الذِّكْرُ العددي بموازنه الثابتة في السنة الصحيحة، وطُبِّقَ على هذا الميزان، كان ذِكرًا معنويًا أيضًا، وكانت عديده تابعة لهذا القصد؛ لأن الأذكار النبوية التي بنيت على أعداد معينة إنما جعلتها وسيلة لتعميق المعاني أساسًا، ولضمان تغذية القلب بها، فالأعداد فيها تابعة للمعاني والعكس غير صحيح.

وذلك هو الذكر الشُّعْنِي النبوي؛ ولذلك ما ثبت في السنة منه إلا ما يدور على المرة الواحدة والثلاث ثم العشرة حتى المائة، على أقصى تقدير. ولم يرد ما يجاوز

ذلك ليبلغ الخات بله الآلاف؛ إذ القصد الشرعي من الذكر إنما هو ربط القلوب بالله، والترقي بها عبر مدارج الإيمان، وهذا إنما يتم بالتحقق والتخلق بالحقائق الإيمانية والصفات الربانية، ولا يكون ذلك إلا بالإبحار في سفائن المعنى، تركيزاً على قليل الألفاظ، المكتنزة بالحقائق الروحية، والمتدرجة بالعبد تربيةً وتزكيةً في طريق السير إلى الله، بما تتيحه له من التدبر والتذكر، والتغذية الإيمانية المنقطعة النظير، التي تقوم بإعادة بناء عمران الروحي، وترميم حصنه النفسي، عسى أن ينجح في ابتلاءاتها في مجال التدافع الاجتماعي، والافتتان الدنيوي من أمور المال والأعمال، وسائر معارض الشهوات ومواطنها.

وعلى ذلك المنهاج كان النبي ﷺ يدرّب أصحابه ويعلمهم، وشواهد في السنة كثير، بل ذلك هو فعله - عليه الصلاة والسلام - في نفسه بنفسه، ويكفي أن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، من حديث أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بِكَرَّةٍ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا - يَعْنِي وَهِيَ تُسَبِّحُ - ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ عَلَى حَالِهَا، فَقَالَ: « مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُ عَلَيْهَا؟ » قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عُدَّةَ حُلُقِهِ، وَرِضًا نَفْسِهِ، وَزِينَةً عَرَبِيَّةً، وَبِعْدَادَ كَلِمَاتِهِ » (١).

ومعلوم أن الكثرة من ذلك تُفْقِدُ اللَّفْظَ حَقِيقَتَهُ فِي النَّفْسِ، وتخرجه عن منهاج السنة النبوية؛ فتحجب أسرارَه وتغيب أنوارَه؛ إذ إن تضخيم جانب من جوانب الدين - بما يخرجه عن أصله المسنون - يؤدي قطعاً إلى ضمور جانب آخر، ربما كان أوجب في الدين وأهم، والحكمة إنما هي إعطاء كل شيء قَدْرَهُ الذي أعطاه الشرع له. وعلى هذا المنهج نبينا ما جمعناه من « أرواد الفطرة » للعمل اليومي، في « رباط الفطرة » الدائم. وهو أربعة التزامات:

الالتزام الأول: شهود الصلوات الخمس والتزام رباطاتها:

وذلك بمجاهدة النفس في كل صلاة من الصلوات الخمس؛ نلتحق من مقام

العبودية خشوعاً فيها؛ حتى تجدد فعلاً أنك بين يدي الله ﷻ. تناجيه، ثم تركع له وتسجد، بما هو ربك ورب العالمين، وبما أنت عبده المتبتل بين يديه، فهذا جوهر هذا المسلك وحقيقته، فكل صلاة ضاع منها شهود المناجاة لله رب العالمين، فقدت معنى كونها مسلماً تعبدياً، وورداً تربوياً، بل فقدت معنى كونها صلاة على الحقيقة! فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ أَخَذَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُتَاجَى رُتْهُ» (١) وفي رواية أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُتَاجَى رُتْهُ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُتَاجَى» (٢). وفي صيغة أبي هريرة خاصة: «فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُتَاجَى».

وإنما ذلك يكون بثلاثة أمور:

أولها: تحقيق تكبيرة الإحرام ابتداءً؛ حيث يكون شهود العبد لحقيقتها تخلصاً من مؤثرات كل الأغيار، وإشهاداً للقلب بمقام الوقوف بين يدي الواحد القهار.

وأما الثاني: فهو شهود مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عند قراءة الفاتحة - بما هو تحقيق عميق لإخلاص العبادة لله رب العالمين، وحده دون سواه، وبما هو تجميع للقلب على توحيد المعبودية في ذات الله جل علاه.

وأما الثالث: فهو تحقيق الخضوع في هيئتي السجود والركوع؛ لتذوق مواجيد القبيضية لله، وذلك مفيض إلى مشاهدة معاني كل حركات الصلاة وتسيحاتها، فإن لكل هيئة مقاماً ولكل عبارة حالاً.

ذلك أنه إذا استقامت هذه الثلاثة للعبد في صلاته استقام له كل أفعالها وأقوالها؛ لأن تلك من تأثير كبير على صلاح باقيها قولاً وعملاً؛ وبذلك تكون الصلاة ورّداً تربوياً حقيقياً، ينهي صاحبه عن الفحشاء والمنكر فعلاً، ويعرج به عبر منازل الإيمان، ولا معراج أسرع في الوصول إلى الله من الصلاة.

ومما يعطي للصلاة عمقها الروحي عُشْرَانُ سَجْدَةٍ - بعد التسييح - بخالص الدعاء؛ وإنه لا يذوق معنى السجود حقاً، ولا يستفيد من أنواره الفياضة على القلب، إِلَّا مَنْ وَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ خَاضِعاً لِلَّهِ، وَمَتَذِللاً بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى بِأَخْرَجِ الدَّعَوَاتِ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الحاكم والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، وقد روي نحو ذلك بطرق شتى في الصحيحين وغيرهما.

وَأَخْلَصَهَا، وَخَرَّيَ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَذْكُرَ هَذَا النَّبِيَّ ﷺ فِي ذَلِكَ: وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» (١). وكذلك قوله ﷺ: «فَإِذَا الرُّكُوعُ فَعَظُمُوا فِيهِ الرَّبُّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَدْ أُنْجِشْتَجَابَ لَكُمْ» (٢).

وأما التزام رباط الصلاة فإنما القصد به المساجد حيثما كانت، وذلك يبدل غاية الوسع لأداء الصلاة المفروضة بها، قال الله جلَّ علاه: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿يَجَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَرِّجُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَارِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ﴿يَجْزِيهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزَيَّادُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ بِرُؤُوسِهِمْ يَنْظُرُ يَغْفِرُ حَسَابًا﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨]. ذلك ما سماه رسول الله ﷺ (بالرباط)، في حديثه المذكور قبل.

الالتزام الثاني: في اختيار من الذكر العذوي:

صيح الأذكار اللسانية الواردة في السنة الصحيحة كثير، وللمؤمن أن يختار منها ما يشاء، على حسب حاجته وعلته؛ إذ لكل داء دواء، وهذا نوع من تحقيق المناط الخاص، كما عبر عنه الإمام الشاطبي رحمه الله، إلا أنه ثبت باستقراء تلك الصيغ والأذكار، أن منها ما يمكن اعتباره أصولاً للذكر في الإسلام، مما اطرده العمل به، أو تواتر الأمر به في نصوص القرآن الكريم وبيانات السنة النبوية الصحيحة، وما اشتهر محكيًا في كتاب الله على ألسنة الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وما مُدِّحُوا بالتزامه والمداومة عليه بالغدو والآصال، وصيغه جميعها - باختلاف عباراتها - تدور على الإجمال حول أربعة أصول:

أولها: الاستغفار، وثانيها: التهليل، وثالثها: التسبيح، ورابعها: الصلاة على النبي ﷺ (٣).

ولا شك أن غيرها من الأذكار النبوية كثير، لكننا نحسب أن هذه المحاور الأربعة

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم. وقوله: «قَمَّنْ»، معناه: تجديز، وخرَّيَ.

(٣) ن. ذلك مفصلاً بأدلة في رسالة ميثاق العهد: (١٤٥).

المذكورة - لأصليتها، ولتواتر الأمر والعمل بها - هي مما لا يجمل بالمؤمن أن تخلو أوراده منه، ومن هنا كان لك - أخي المحب في الله - أن تتوسع ما شئت في الذكر، على حسب حاجتك وطبيعة علمك؛ بشرط الالتزام بالمنهج المسنون قولاً وعملاً، عسى أن تكون على الفطرة.

وعليه؛ فلنك أن تختار من صيغ الأصول الأربعة الصيغ النبوية التالية، تتركب منها لنفسك ورداً يومياً، وذلك على نحو ما يلي:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِلَ يُخْلَقُ اللَّهُ ذَلِكَ الْبَرُّ الْقَيُّمُ وَلَنُكْرِمَنَّ أَكْثَرَ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِ رَاقِعُهُ وَاقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ جُزْئٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِجُونُ ﴾ [الزمر: ٣٠-٣٢] ^(١).
- اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. (١ مرة) ^(٢).

(١) يجوز للمؤمن أن يختار آية من كتاب الله، أو سورة، يلتزم قراءتها يوماً أو كثيراً؛ إذا وجد فيها مناسبة لحاله أو علاجاً لدائه، أو لعصره. كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: « كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح بسورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ١)، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها. وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذا السورة، ثم لا ترى أنك تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فلما أن قرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بباركها! إن أحببت أن أؤمكم بذلك فلتن، وإن كرهتم ترككم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: « يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، ويحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ » فقال: « إني أحبها » فقال ﷺ: « حبك إياها أدعلك الجنة »، رواه البخاري.

ونحن نرى أن في آيات الفطرة المذكورة أعلاه علاجاً مهماً، وتربطاً عظيمًا لداء الانحراف المتهاجي من الفطرة الإيمانية في هذا العصر؛ فيحسن لذلك الإكثار من تلاوتها والاعتصام بهداها تركيةً وتدريباً.

(٢) عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ... إلخ، (كما هو مذكور أعلاه) فقال ﷺ بهداها: « قُلْ قَالَهَا بِالنَّهَارِ مُوَدَّعًا بِهَا فُتَاتٌ مِنْ نَوْمِهِ نَبِيلٌ أَوْ يَجِيئُ مَوَدَّعًا مِنْ أَمَلٍ أَوْ يَجِيئُ مَوَدَّعًا مِنْ أَمَلٍ أَوْ يَجِيئُ مَوَدَّعًا مِنْ أَمَلٍ أَوْ يَجِيئُ مَوَدَّعًا مِنْ أَمَلٍ »، رواه البخاري.

- استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه. (١ مرة) ^(١).
- استغفر الله وأتوب إليه. (١٠٠ مرة) ^(٢).
- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يهيي ويحيي، وهو على كل شيء قدير. (١٠ مرات) ^(٣).
- لا حول ولا قوة إلا بالله. (٣ مرات) ^(٤).

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف » - رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني أيضاً في صحيح الترمذي: (١٧٢ / ٣).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه أبو الشيخ. وقال الترمذي: « استغفروا ربكم إنني استغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة ». رواه البغوي، وصححه الألباني. انظر حديث (رقم: ٩٤٤) في صحيح الجامع. وقال الترمذي: « إنه يقفأت على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » رواه مسلم.

(٣) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: « خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير ». رواه الترمذي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٣٢٧٤). وعن عمارة بن شيب السبي أن النبي ﷺ قال: « من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يهيي ويحيي، وهو على كل شيء قدير؛ غشز مرات، على إثر المغرب؛ بثت الله مشلحة تحفظونه من الشيطان حتى يضيح، ركبتم الله له بها عشر حسنات مروجبات، ومخا عنه عشر سيئات مؤيقبات، وكانت له يجذب عشر رقاب مؤيقبات » رواه الترمذي وحسنه. ثم حسنه الألباني في صحيح الترمذي وفي صحيح الترمذي والترهيب. وفي رواية أبي أيوب الأنصاري: أن من قالهن حين يصبح « كن له مشلحة من أول النهار إلى آخره، ولم يقتل مؤيقتي عملاً يفتقره، فإن قال جبري يسي؛ قبض ذلك » رواه أحمد والطبراني. وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، بينما صححه الشيخ الألباني. وقد روي معناه بطرق مجتمعة ومفصلة، صحيحة على شرط البخاري ومسلم، كليهما أو أحدهما، فقد صح عند أحمد من حديث أبي هريرة وغيره من الصحابة مرفوعاً، وهو وارد بصيغ متقاربة - كلها صحيحة - عند الترمذي والنسائي وابن حبان والطبراني. وقد فصلنا في تخرجه طرقه بكتابتنا « ميثاق العهد ».

(٤) وقد ورد في فضله العظيم أحاديث كثيرة بلغت مجموعها حد التواتر، منها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « لما غزا رسول الله ﷺ غير، أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: « أرفعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غافلاً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو محكم ». وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعتي وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله » فقال لي: « يا عبد الله بن قيس »، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: « ألا أدلك على كلمة هي كنز من =

- الله أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَبِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. (٣ مرات) (١).
- سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ. (٣ مرات) (٢).
- سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ. (٥٠ + ٥٠ = ١٠٠) (٣).
- يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِيْ شَأْنِيْ كُلَّهُ، وَلَا تَكُنْ لِيْ فِيْ نَفْسِيْ طَوْفَةً عَيْنٍ! يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. (٣ مرات) (٤).
- اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا تَبَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَكِيمٌ مُّبِينٌ. (١ مرة) (٥).

= كنوز الجنة : قلت : بلى يا رسول الله، فذاك أمي وأمي، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » متفق عليه. وقد فعلنا في تخريج أحاديثها الأخرى في « ميثاق العهد ».

(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : « نفعنا نفع رسول الله ﷺ إذ قال ﷺ : يا أيها الناس، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ. » من القابل كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم : أنا يا رسول الله. قال : « عجبت لها تُخَبِّثُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ! » قال ابن عمر : مَا تَرَكْنَاهُمْ فَعَدَّ سَمْعُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . رواه مسلم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ شَقِيقَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، خَبِيرَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » متفق عليه. وقال أيضا : « من قال : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ في يوم مائة مرة، شطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر » (متفق عليه).

(٤) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به : أن تقولِي : إذا أصبحت وإذا أمسيت : يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِيْ شَأْنِيْ كُلَّهُ وَلَا تَكُنْ لِيْ فِيْ نَفْسِيْ طَوْفَةً عَيْنٍ » أخرجه الترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير والسلسلة الصحيحة. وعنه ﷺ قال : « كان النبي ﷺ إذا كُتِبَتْ أَمْرٌ قال : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » رواه الترمذي بسند حسن. وبإسناده قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلْطَوُا بِذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » وقد رواه أحمد أيضا بسند صحيح كما في صحيح الجامع. ومعنى أَلْطَوُا : الزموا ودأبوا. يقال : أَلْطَأَ يُطْأُ، إذا ثبت وثاب.

(٥) هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرهما، منها ما أخرجاه عن عبد الرحمن بن أبي لبلى قال : « لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية سمعتها من =

- اللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا. (١٠ مرات) .
 - وَأَرْضِ اللَّهُمَّ عن ساداتنا أصحاب رسول الله أجمعين، خصوصًا الأنصار والمهاجرين، والخلفاء الراشدين، أمراء المؤمنين: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وكل من استنَّ بِسُنَّتِهِمْ، واقتدى بِهَدْيِهِمْ، من التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم انفعنا بحجتهم، وثبتنا على سنتهم، ولا تخالف بنا عن نهجهم، واحشرنا في زميرتهم، مع رسولك الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم.
 اللهم اجعلنا على هُذَاهُ ثابتين، لَا مُبْدِلِينَ وَلَا مُعَيِّرِينَ، حتى نلقاك مُقْبِلِينَ على وجهك الكريم، تائبين مُتَطَهِّرِينَ، راضين مُرضَيْنَ، برحمتك يا أرحم الراحمين يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. آمين.

- سبحانهك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، وحده لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك. ^(١) انتهى.

هذا، ولا تنس أخي المؤمن - في سياق الذكر - الالتزام بأدعية اليوم والليلة، كدعاء النوم

= النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأعدها لي، قال: سأنا رسول الله ﷺ قلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علما كيف نسلم عليكم، قال: « قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... إلخ » متفق عليه.

وفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جدًا، وهي مفتاح خير كبير، وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، منها قوله ﷺ: « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ». (رواه مسلم). وقوله ﷺ: « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات ورفعه له عشر درجات ». رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي والحاكم، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (٦٣٥٩) في صحيح الجامع. وقوله ﷺ: « كل دعاء محبوب حتى يُسألَ على النبي ﷺ وآل محمد » رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس، كما رواه البيهقي عن علي موقوفًا. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: (٤٥٢٣) في صحيح الجامع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، عن الرواية الموقوفة على عليٍّ عليه السلام: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(١) قال رسول الله ﷺ: « كفارة المجلس أن يقول العبد: « سبحانهك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، وحده لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك » رواه الطبراني عن ابن عمر، وعن ابن مسعود. وصححه الألباني انظر حديث رقم: (٤٤٨٧) في صحيح الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: « فإن قلها في مجلس ذُكر كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قلها في مجلس لغو كانت كفارة له » رواه النسائي والحاكم عن جابر بن مطعم، وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم: (٦٤٣٠) في صحيح الجامع.

والاستيقاظ منه، وأدعية الخروج والدخول والسفر، وسائر الأحوال، مما هو مأثور عن النبي ﷺ. كما أن على المؤمن أن تكون له أوقات مع ربه؛ لمناجاته ﷺ، ورفع أكف الضراعة إليه تعالى، بالأدعية التي يجد فيها العبد علاجاً لقلبه وغذاءً لروحه. ولا يجوز لأهل الدعوة خاصة، أن تخلو حياتهم من هذا، إذ الدعاء هو من أهم الزاد اليومي للعبد السائر إلى الله، ومن أهم أسباب الفتح والنصر^(١) وقد ثبتت في ذلك أحاديث وفيرة، منها قوله ﷺ: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢). وقد فصلنا في تأصيل هذا - في غير هذا الموطن - بما فيه الكفاية إن شاء الله^(٣).

الالتزام الثالث: مقاطعة آلهة العصر الأربعة:

وأولها: الشراكيات والخرافات. ثانيها: المال الحرام بكل أصنافه. ثالثها: الزنى ومقدماته، وأخصها العري الفاحش، والنظر الحرام، ثم بذئ الكلام. رابعها: الخمر والمخدرات وسائر المسكرات.

وقد جعلنا الأمور الثلاثة الأخيرة (المال الحرام، والزنى، والخمر) ضمن آلهة العصر إلى جانب الشراكيات، رغم أن تلك من أمور العادات والمعاملات؛ وذلك لما نعلمه من تضخم الابتلاء بها في هذا الزمان، ومن صيرورة التعاطي لها بين كثير من الناس إلى معنى الوثنية الأهوائية، بما جعلها تنتصب في الوجدان الاجتماعي آلهة معنوية، تصد الناس عن عبادة الله، وعن إخلاص الدين له، وحده دون سواه! وذلك في حقيقة الأمر ليس بجديد، بل هو مما بيّنه النبي ﷺ في السنة النبوية الصحيحة؛ إذ التعاطي لشرب الخمر كان عند العرب قديماً عملاً وثنيّاً، بما ذكرنا من معنى. قال عليه الصلاة والسلام: «شَارِبُ الْخَمْرِ كَقَائِدِ وَثْنٍ وَشَارِبُ الْخَمْرِ كَقَائِدِ اللَّابِثِ وَالْعَزَى»^(٤). وهو الداء الذي

(١) وقد جمعنا في ذلك رسالتين صغيرتين، انتقيتا أدعيتهما من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ الأولى: هي «ميثاق العهد»، وقد صغرت طبعها الأولى. والثانية: هي «كاشف الأحران»، ونحن نعدّها الطبع إن شاء الله.

(٢) أخرجه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، وابن حبان، والحاكم عن الثعلباني بن بشير مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم: (٣٤٠٧).

(٣) ن. رسالتنا: «كاشف الأحران».

(٤) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً. وصححه الألباني، حديث رقم: (٣٧٠١) في صحيح الجامع.

صارت إليه الأحوال في انتشار الزنى والتفسيخ الخلقي، وتقديس المال الحرام حتى صار لدى كثير من الناس من الإدمان على ذلك ما يصعب الانفكاك عنه؛ إذ عبدوا فيه من أهوائهم وشهواتهم أوثاناً من دون الله . ويان ذلك كما يلي:

فأما الشُّرُوكِيَّاتُ وَالْخَوَافِيَّاتُ: فهي المعتقدات الباطلة، التي تخرم إخلاص الدين لله، وتعكر صفاء التوحيد، والتي ما تزال تعم بها البلوى بين كثير من الناس اليوم، غاصبتهم وعامتهم، فتخرم إخلاصهم، وتشوه فطرتهم، وتخرب دينهم، عقيدة وعملاً.

والبراءة منها تكون بعدم اعتقاد تأثير أحد غير الله في الكون ومائر الخلائق، نفعا أو ضرا، ثم عدم التوجه إلى أحد سواء بالاستغاثة والدعاء رَغْبًا أو رَهْبًا، وذلك هو الإخلاص الذي أمرنا الله ورسوله ﷺ باعتقاده، ومجاهدة النفس للتحقق بمقتضياته العملية والخلقية، وهو الحقيقة الإيمانية العظمى التي يجب أن تكون سارية في دين المسلم كله، عقيدة وشريعة، كسريان السمن في اللبن، وكانتشار الروح في الجسد. وذلك هو أساس معنى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي عليها مدار دعوة الإسلام.

ويتحقق ذلك بإفراد الله ﷻ بما تقتضيه ربوبيته تعالى، وعدم الإشراك به في شيء من ذلك، خلْقًا وتقديرًا ورعايةً وتديرًا، فلا دخل لأحد من خلقه في شؤون ربوبيته تعالى، كما يتحقق ذلك بإفراده وحده سبحانه بالعبادة والاستعانة، والتوجه إليه وحده بالطلب والرغب، لا إلى أحد من خلقه، مهما علَّت منزلته عند الله، سواء في ذلك الأنبياء والصدِّيقون، والملائكة المقربون، والأولياء الصالحون، وكذلك الأموات والأحياء، والإنس والجن، فكلهم جميعًا عبيد لله، فقراء إليه تعالى، ولا أحد منهم يغني عن أحد من الله شيئاً. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّيْنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآٰتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝١٠ قُلِ ادْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِيْهِ فَلَا يَمْلِكُوْنَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيْلًا ۝١١ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يَتَّبِعُوْنَكَ اِنْ رَّيْسُهُمُ الْوَسِيْلَةُ اَيْهُمْ اَقْرَبُ وَرَبُّوْنَ رَحْمٰتُهُمْ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهٗ اِنْ كَانَ عَذَابُ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوْرًا ۝١٢﴾ [الإسراء: ٥٥ - ٥٧].

كما يتحقق ذلك أيضًا بعدم تقديم شيء من الشُّكِّ لأحد غير الله. ومعنى الشُّكِّ:

هو الذبح المقصود به التعبد والتقرب إلى المذبح له؛ قصد نيل رضا على سبيل التعبد، أو لقضاء الحاجات ودفع المضار، وما شابه ذلك من معاني العبادة التي تكون بتقديم القرابين من الأنعام بين يدي المعبود، مما يعتبر اللجوء فيه إلى غير الله ضرباً من ضروب الشرك المحبط للأعمال، والعياذ بالله. ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). ولا ينبغي أن تستهين بشيء من ذلك مهما صغر، أعني سواء كان القربان المذبح طيراً أو تيساً أو ثوراً، وسواء كان على أعتاب جني أو إنسي، حي أو ميت، فكل ذلك شرك خطير، مؤرّة لصاحبه مورد الهلاك، إلا أن يتوب توبة نصوحاً.

ثم يتحقق ذلك أيضاً بعدم الالتجاء إلى الدُّجاجة، من السحرة والكهنة والعرافين والمشعوذين، ممن يدعي القدرة على كشف المغيبات، والاطلاع على المستقبلات، والأبراج الخرافيات، وسائر ضروب «المشاهدات» الشيطانية، أو ممن يدعي القدرة على التأثير السحري في الأشخاص؛ باستجلاب الحبة القهرية أو الكراهية القسرية، منهم أو إليهم، أو ممن يدعي القدرة على العلاج من الأمراض المزمنة والمستعصية بوسائل شيطانية، وكذا عدم الاغترار بالتوهمات التخيلية، التي تنافض قواطع الكتاب والسنة في الاعتقاد السليم، والتي قد تحصل لبعض المتصدين للمجال الديني والدعوي، أو ممن اشتبهوا بالمتدين المزيف، من بعض جهلة العباد، الذين أوقعهم الشيطان في شراكبه من حيث لا يعلمون، فكل شيء مما يصدر عن هؤلاء وأولئك، يجب عرضه على ميزان العلم الشرعي، ورده إلى العلماء الراسخين، والحكماء الربانيين، المتحققين بعلوم الشريعة ومقاصدها، أصولها وفروعها، وعدم المغامرة بالاستجابة في شيء من ذلك إلى نوازع الشهوات والأهواء، وإنما المؤمن العاقل، الكئيب القبط، هو من لا يقامر بمصيره الأخروي في قضايا العقائد وأصول الإيمان والإخلاص.

فكل ذلك من الكبائر والموبقات المحبطة للأعمال والخربة للدين. فلا يجوز الاستهانة بشيء منها أبداً، فإنما هي سُلُكُ الشيطان يُضِلُّ بها كثيراً من الخلق، وينحرف بهم عن الصراط المستقيم، ويستجلب لهم غضب الله والعياذ بالله. فسلامة الإيمان وصحة الاعتقاد، هي أولى خطوات السير إلى الله، لا يسلم ما بعدها أبداً إذا كانت هي على غير الاتجاه الصحيح فأحرص أخي المؤمن على تصفية هذه

القضية، بجعل الدين كله لله، ولله وحده دون سواه، قولاً وعملاً، ولا تغامر بالدخول في شيء من ذلك، ولا باللجوء إليه أو إلى أصحابه، ولو على سبيل التسلية أو التجريب، فالنصوص الشرعية شديدة في النهي عن كل ذلك جِدْهِ وَهَزْلِهِ، وإنما هي موبقات وظلمات، بعضها فوق بعض، ما تزال تستدرج صاحبها من الهزل إلى الجِدِّ، ومن القليل إلى الكثير، ومن التجريب إلى الإدمان، حتى تكبه على وجهه في النار، وإنما المحفوظ من حفظه الله.

وأما المال الحرام: فإنه يحق البركة ويغرب عمران الروح، ويمنع استجابة الدعاء، وتُغلق دون صاحبه أبواب السماء، ذلك أن الانطلاق في مدارج السير إلى الله مشروط بتصفية الأرزاق من شبهات الحرام، وبالتحرر في تناول الطيبات من الرزق؛ لأن الطيب وحده يغذي الروح بعزائم الإقبال على الله، والتجرد للعمل الصالح. وكل لقمة من رزق حرام لا تكون في جوف صاحبها إلا مجلبة للانتكاس والارتكاس! وعُشاً للشيطان في قلب صاحبها وتقوية لسلطانه على النفس، فلا تكون مدافعة وسائسه ونزغاته بعدها إلا أشد على النفس وأتكى، والعمل الصالح نبات خير، لكنه لا ينبت إلا بترية طيبة، وهو الرزق الطيب الحلال، فإن وُضِعَتْ بِذَرْئِهِ فِيهِ كَانَ ﴿ كَسَحَرَفَ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ تَوَدَّ أَكْلَهَا كُلَّ يَوْمٍ يَأْذِي زَيْهًا ﴿ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]. وإن وُضِعَتْ بِذَرْئِهِ فِي نَفْسٍ تَعَذَّتْ مِنْ مَالٍ خَبِيثٍ لَمْ يَنْتِجْ إِلَّا شَوْكًا وَحَطْبًا.

تلك معالم نورانية من توجيه النبي المصطفى ﷺ لهذه الأمة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ»، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيَّأُ الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَصْلَوْنَ عَلَيَّ﴾ [المؤمن: ٥١] وَقَالَ ﴿يَتَأَيَّأُ الْوَيْلُ مَا مَأْمُورًا حَكَمُوا مِنَ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ الشَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَأْذِي إِلَى الشَّيْءِ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَيَطْلَعُ حَرَامًا، وَمَشْرُوبُهُ حَرَامًا، وَمَلْبَسُهُ حَرَامًا، وَعُذِّي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُعْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ ١٩ هـ (١).

• لَا تَأْكُلِ الرِّبَا، فَإِنَّهُ شَرُّ الْمَالِ الْحَرَامِ.

المال الحرام: هو كل كسب حازه الإنسان على غير وجه مشروع، مما نتج عن الغصب، والرشوة، والغبن في البيع والغش فيه، والاستفادة المالية من المحرمات المطعومة والمشروبة، والنجسات والمنجسات، إنتاجا وبيعا وخدمات، وكذلك أكل أموال الناس بالباطل، وبيع الأعراض، وحلوان الكاهن والساحر والعراف، وسائر أنواع السحت، وكل ما لا يصح تملكه، مما حرمه الله ورسوله ﷺ.

إلا أن شر ذلك جميعا هو الربا؛ فالربا إعلان للحرب على الله! ومن خازب الله خازبته الله ومن خازبته الله - يَا وَيْلَتَ - أَهْلَكَهُ! وألحق به الخراب في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، والعياذ بالله. وإن المرء ليظن أنه بالربا قد جمع وعشّر وتبى؛ ذلك ما قد يبدو له في ظاهر الأمر، لكن الله تعالى له بالمرصاد؛ إذ يسلط عليه من المصائب والبلايا في نفسه وأسرته وحياته، ما يجعل ماله عليه شقاء ما بعده من شقاء، وقد يُخرج له من نفسه أو أبنائه من يخرب عليه دنياه قبل آخرته، أو يسلط عليه من الأمراض الفتاكة ما يجعله يذوي شيئا فشيئا، فلا يتفقه ماله ولا جباهه وسلطانه أو يجعل خاتمته إلى مهانة اجتماعية، ومذلة دنيوية، تقوده إلى السجن، أو إلى أي هاوية يلقى فيها حتفه. إن من حارب الله خاسر لا محالة، وعجيب من لا يقدر الله حق قدره. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ يَسْبِغْنَ سُبْحَانَهُ وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وما رأيت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ عقوبة ولا نذارة - بعد الشرك بالله - أشد من عقوبة الربا، أو لا يكفي فيها أن يبوء صاحبها بغضب الله ولعنته؟! فلا تستقيم له دنيا ولا يسعد بآخرة تبعه اللعنة أينما حل وارتحل، لا يقوم له شيء إلا انهار، ولا يُغفلو له عُمران إلا ضربه إعصار الخراب، فماذا بعد ذلك من مصيبة وبلاء؟! وليس عبثا أن ينطق الرسول ﷺ وبهذا البيان الإنذاري الرهيب في حق المرائين، مبيئا مهلكة الربا، كم هي أشد وأخطر من غيرها، وكم هي أفظع من كثير من الكبائر والموبقات! قال عليه الصلاة والسلام: «دُهِمَ رِبَا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقْلَمُ أَشَدَّ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سِتْرٍ وَفَلَاحِينَ زَنْيَةٍ» (١) كذا!!

(١) أخرجه أحمد والطبراني عن عبد الله بن حنظلة مرفوعا. وصححه الألباني. حديث رقم: (٣٣٧٥)

وإنما العجب كل العجب! ممن يتجرؤون على الترخص - بغير موجبات شرعية - في أمر مداخلته مفتوحة مباشرة على أبواب جهنم. فافرقوا هذه الآيات وتدبر هل تجد وعيدا أشد منها. قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَسَلَهُ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاْتَمَرَتْ فَلَهُ مَا سَكَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّعِيفَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَتَيْتُمْ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسُ اللَّهِ وَذَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ إِنْ لَمْ تَقْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُجُجٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَقْبَلُونَهَا وَلَا تَقْلُمُوا ﴿٢٧٩﴾

[الفرق: ٢٧٥ - ٢٧٩].

ذلك هو الحق ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالَةُ﴾ [يونس: ٣٢].

وكيف لا؟ وهذه لعنة الله تقضى على لسان رسول الله، جحيما يلاجئ المرائين أبدا، إلا أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحا، يستوي في ذلك أكل الربا ومن أعطى ثمنه، ومن ضمينه، وكل من أعان على عقوده، كتابة وشهادة وإدارة، كلهم في لعنة الله سواء، ذلك صريح حديث رسول الله، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ أَكْلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ، هُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» (١) : كما يستوي في ذلك من طلب الزيادة الربوية ومن أعطاها وهو نص الحديث الصحيح: «فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَزْنَى وَالْأَجِدُ وَالْمُعْطِي سَوَاءٌ» (٢).

والعجب - بعد هذا وذاك - أن تجد بعض المشتغلين في صف «العمل الإسلامي» يتناولون على هذا الحد الرباني العظيم؛ ليحجلوا ما حرم الله! فيصورون النوازل كما يشتهون للعلماء، ويخرجونها لهم إخراجا حتى توهم الضرورة إليها؛ لاستصدار رخصة في أمر عظيم. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. وكان أولى بالخاصيين على أهل الفضل والصلاح، أن يأخذوا لأنفسهم في مثل هذا

بأصل الاحتياط في الدين، وبمقام الورع. وفي الحديث الصحيح: « **غَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ** » ^(١).

ومن الأمور الربوية التي عم جهلها في هذا العصر، حتى لابسها بعض أهل الدين والصلاح - ما يعرف عند الفقهاء بـ « **الربويات الستة** »؛ وهي: (الذهب والفضة، والقمح، والشعير، والتمر، والملح) . وما ينوب عنها من النقديات المالية، ومن المعلومات الاقباتية، مما هو داخل في معنى « **المواد الضرورية للتغذية** »، مما جرت به الأعراف والعادات في هذا الزمان، على حسب المناطق والشعوب، وهو ما ورد متواتر المعنى في عدة أحاديث نبوية صحيحة، منها هذا النص الجامع المانع، من قول رسول الله ﷺ: « **الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالزُّبُرُ بِالزُّبُرِ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَاللَّحُّ بِاللَّحِّ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، نَدَا بِنَدَا، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَزْنَى، وَالْمُغْطَى سَوَاءٌ** » ^(٢).

وعليه؛ فإنه لا سير إلى الله إلا بعد حسم هذا مع النفس، ولا انطلاق في مدارج التربة والتزكية إلا بعد المفاصلة القاطعة لمداخل المال الحرام أنى كان، وليكن شعارك في

(١) أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط، والحاكم عن حذيفة مرفوعاً، كما أخرجه الحاكم عن سعد مرفوعاً أيضاً. وصححه الألباني، حديث رقم: (٤٢١٤) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه مسلم. ومعناه الإجمالي: أنه لا يجوز استبدال ذهب بذهب، ولا فضة بفضة، إلا بشرطين اثنين: الأول: أن يكونا متساويين، والثاني: أن يتم التبادل بهذا، أي بدون تأخير في القبض أو العطاء من أحد الطرفين، وكذلك الأمر في سائر المعلومات الأربعة، إذا كانت البضاعة من صنف واحد، أي تمسها بقمح، أو شعيراً بشعير... الخ. أما إذا اختلفت الأصناف كذهب بفضة، أو قمح بشعير أو بتمر، فيجوز التفاضل أي بزيادة في أحد الطرفين، ولكن لا تجوز النسبة، وهي تأخير أحدهما قبضاً أو عطاءً. بل لا بد من تمام التفاضل في المجلس.

وبقاس على الذهب والفضة النقود المعاصرة، فما يشترط في الصنف الواحد منهما يشترط في الصنف الواحد من العملات الآن، وكذلك إذا اختلفت الأصناف النقدية؛ كاستبدال عملة بأخرى غيرها، جاز أخذ التفاضل وانتفع التأخير، كما يقاس المقتضات المذمومة من المواد الغذائية المختلفة اليوم على ما ذكر في الحديث؛ كالأرز مثلاً، بالنسبة للبلاد التي تفتت به، فيجوز عليه نفس الحكم مع نفسه، ومع غيره من المواد الغذائية الضرورية لقوت الناس، على حسب العرف والمادة الجارية، فكل ذلك يجري على القاعدة المذكورة أعلاه. هذا معناه العام على الإجمال دون تفصيل، وإنما قصد هنا التبيه، وفيه اجتهادات مختلفة تعليلاً وتنزيلاً، لدى القدماء والمحدثين، وله نوازل لا تنحصر، والواجب على المؤمن أن يرجع فيما يلزم به من ذلك إلى استفتاء ثقات العلماء، فلا يُقدِّم على عملٍ حتى يعلم حكم الله فيه.

تحقيق هذا التحدي العظيم - تحلية وتحلية - قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ بِعَيْنِكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَا بِهِ ۖ أُزْوَاجَٰهُنَّ زَهْرَةٌ مُّحْيَوْنَ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِيقُ رَيْكِ حَبِيرٌ ۚ وَابْقِ ۖ﴾ وأمر أهلَكَ بِالسُّلُوكِ وَأَصْطَلِحْ عَلَيْهِ لَا تَنْتَلِكْ رِزْقًا نَّحْنُ رَزَقْنَاكَ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّافِلِ ۖ﴾ (طه: ١٣١، ١٣٢).

وأما الزنى والنظر الحرام: فإنه يحرق الأسرار ويسلب الأنوار، ويطمس البصيرة، ويكون سبباً في خراب الدنيا والدين؛ ولذلك فإن الله ﷻ نهى المؤمنين عن الاقتراب من الزنى بله الوقوع فيه، فالمؤمن الكيس الفطن يتجنب الزنى المعنوي قبل الزنى الحسي، وذلك بمدافعة كل الخواطر التي تزين للنفس الشهوات الحرام، وباستقذار الفاحشة أنى كان شكلها، استقذاراً يجعلها تثير الغثيان في النفس، وتنبعث بالتأناة فلا تقع مظاهر الفسق من عري أو كلام بذيء، أو أي من خوارم الحياء في قلب المؤمن إلا بغضمةً مجوجةً! وذلك كله مجموع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ ۚ إِنَّكُمْ كَأَن تَحْجِسُهُ ۚ وَنَسَاءً مَّيْبِلًا ۖ﴾ [الإسراء: ٣٢] وقد بين النبي ﷺ معنى قرب الزنى بحديثه الحكيم الذي يرويه أبو هريرة أنه ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حُطَّةً مِنَ الزِّنَىٰ، أَذْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَنَا الْعَيْنُ النَّظْرُ، وَرَنَا اللِّسَانُ الْمُنْطَلِقُ، وَالتَّنَفُّسُ تَغْيًى وَتَغْتَبِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»^(١). وهو بيان عجيب منه ﷺ لمسلك المجاهدة، والتزكية للنفس، فيما يتعلق بأبواب الشهوات الحرام، مما وجب على المؤمن أن يتنزه عنه ويرفع.

وَلِشِدَّةِ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ الزِّنَىٰ وَأَهْلَهُ فَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا فِي الْجَحِيمِ، لَيْسَ كَأَيِّ عَذَابٍ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَقَدْ عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ لِقِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَشْهَدٍ تَعْذِيبِ الزَّانَةِ رَجُلًا وَنِسَاءً تَمَلُّ الْقُلُوبَ هَوْلًا وَفَرْعًا، وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ فِي الرُّوْيَا، حَيْثُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَأَنْطَلَقْنَا إِلَى ثَقِيبٍ مِثْلِ الثَّوْبِ، أَغْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ نَحْتَهُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ انْتَفَعُوا، حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ وَجْهُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءَ»، ثم قال له الملكان المكلفان بتطوافه: أَمَا «الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقِيبِ فَهُمُ الزَّانَاةُ»^(٢).

● النظرة الحرام تقطع طريق الوصول:

ويعتبر النظر الحرام من أخطر مصائد الشيطان والعياذ بالله، فهو زيادة على ما يمكن

أن يؤدي إليه من مهالك، يخرب الرصيد الإيماني للعبد فيما بينه من منازل عبر سلوكه إلى الله، وما يرتبته من مقامات عبر عروجه نحو الوصول إلى مولاه.

ثم هو يبيط المبتدئ عن الانطلاق في شق طريق الصلاح، والسير الجاد إلى الله، كلما أراد البدء وجد ثقلًا، وهو لا يدري ما ينقله عن المساجد والصلوات، والتخلص من وساوس الشيطان والشهوات، ولو جاهد نفسه على غض بصره عن محارم الله، لوجد خفة في روحه، وقوة في عزمته، ولاكتصر على حبال الشيطان التي تشده إلى التراب شدًا.

● فالنظر الحرام يحرق حصائد الصلاح، ويمنع تحليق الجناح، ثم يجعل عزيمة السير إلى الله - في رمشة عين - رماذا تذروه الرياح.

ومن هنا فليس عتبًا أن تجد التحذير منه صريحًا في القرآن الكريم وفي سنة النبي - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿ قُلِ الْيَهُودِيَّةُ يَفْعَلُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣١، ٣٠]. وهذا أمر قد استهان به كثير من المسلمين، ولكن رسول الله ﷺ لم يستهن به قط. بل قال في وصيته الحكيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: « يَا عَلِيُّ، لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ، النَّظْرَةُ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ »^(١).

● النظرة الحرام تحرق العالم بصره:

ومن أجمل ما نُقِلَ عن بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في هذا الأمر حكمة رفيعة، تُشَدُّ إلى مثلها الرجال، وذلك أنه رحمه الله كان ضيقًا عند بعض الأعيان من محبي العلم والعلماء، لمدة طويلة تزيد على بضعة أشهر، وكان لذلك الرجل بنات، يدخلن ويخرجن، والنورسي آنده في عز شبابه، فجاء عالم آخر فنزل ضيقًا ليومين أو ثلاث بنفس المكان، فجعل يحصي البنات ويميز الصغرى من الكبرى، فوجد بديع الزمان جاهلاً بكل تلك التفاصيل والأوصاف، فسأله: لماذا لا تنظر إليهن؟ فأجابه النورسي بهذه الحكمة البالغة: « النظرة الحرام تحرق العالم بصره ».

● والسبب في ذلك أن النظر الحرام في مثل هذه الأحوال خيانة خيانة للعلم،

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، عن بريدة مرفوعًا. وحسنه الألباني. حديث رقم: (٧٩٥٣) في صحيح الجامع.

وخيانة للدين، وخيانة للدعوة جميعاً، ثم هو خيانة لأهل البيت ولأعراضهم، وما كان للخائن أن تكون له من أسرار.

وبهذا فسر ابن عباس عليه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ^(١).

وقد ثبت - كما رأيت - ينصوص الكتاب والسنة، وكذلك بأقوال أهل العلم، وأصحاب الخبرة بمسالك التربية الإيمانية أن النظر الحرام من أخطر قطائع الطرق على السالكين إلى الرحمن، وإنما المصوم من عصمه الله.

وأما الخمر وما يلحق بها من مسكرات ومخدرات: فإنها تمنع سير الروح أصلاً، وتجسه ابتدئاً؛ لأن صاحبها قد أسلم نفسه لوثنية هواه! وما كان لمن لم يخلص هواه لله الواحد القهار أن تفتح له الأبواب، فالتلطخ بالرجس مرفوض في الملاء الأعلى. كذلك وصفها الله في محكم كتابه، ولا عبث في الدين بالتمني الكاذب على الله. قال جلّ علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْآذَانُ يَجْعَلُونَ عَمَلَكُمْ الشَّقِيَّ فَيُجَنَّبُوكُمُ لَهُمْ فَيُتْلَوْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٠]. وإنه والله لا فلاح ولا نجاح للمسلم إلا بالاجتناب التام للخمر، والمقاطعة الشاملة لها، والمسالكها، وخدماتها، ولكل ما ينتج عنها، أو يسببها من أرباح وأموال، ومن عوّل على السير إلى الله والوصول إليه تعالى، وهو ما يزال متلبساً بنجاستها، فقد غره الشيطان وتمنى على الله الأمانى.

وقد سبق حديث رسول الله ﷺ في حق شاربه، بما وصفه من رهيب الصفات فقال ﷺ: «شَارِبُ الْخَمْرِ كَغَائِبٍ وَلَيْنَ شَارِبُ الْخَمْرِ كَغَائِبِ اللَّائِي وَالْعَزَى» ^(٢) ومثله قوله ﷺ: «مُذْمِئُ الْخَمْرِ كَغَائِبٍ وَلَيْنَ» ^(٣).

(١) قال ابن عباس: «في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]: هو الرجل يدخل على أهل البيت بينهم، وفيهم المرأة الحسنة (...) فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض». تفسير ابن كثير: (٢/٧٦).

(٢) أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وصححه الألباني، حديث رقم: (٣٧٠١) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه البخاري في تاريخه، والبيهقي، عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني، حديث رقم: (٥٨٦١) في صحيح الجامع.

وقد عرض - عليه الصلاة والسلام - هاهنا أيضًا لقطة من مشهد آخر، لما شارب الخمر، وما يخسره من رصيده العملي، فيما قد يكون له من حسنات سابقة أو مرافقة. فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كُلْ مُخْمِرَ خَمْرٍ. وَكُلْ مُسَكِّرَ خَزَامٍ وَفَن شَرِبَ مُسَكِّرًا يَجْثَثُ صَلَاتَهُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ! قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْحَبَالِ. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ! وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لَا يَعْرِفُ خِلَافَهُ مِنْ خَزَامِهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ» (١) وزوي مثله عن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكَّرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ فَسَكَّرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ فَشَرِبَ فَسَكَّرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْعَةِ الْحَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدْعَةُ الْحَبَالِ؟ قَالَ: «غَضَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» (٢).

● لَا تَكُلْ عَنِ الْخَمْرِ حِصَارَ الشَّرِيعَةِ:

والمطلوب من المؤمن الصادق مقاطعة الخمر، شربًا، وإتاجًا، وتجارة، وزراعة، وخدمات، أي كانت هذه الخدمات، ولو أن يكون حارشا، ليس لها فحسب، ولكن حتى لمزارعها المخصصة لها قصداً، والنصوص في ذلك كثيرة جدًا، منها قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْخَمْرَ، وَغَاصِرَهَا، وَمُقْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَخَامِلَهَا، وَاتِّحْمُلَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِقَهَا، وَمُسْتَرَبَهَا، وَأَكْلَ ثَمَرِهَا» (٣) فالمقصود بهذا الحديث ضرب حصار اقتصادي واجتماعي على الخمر مطلقًا، فلا يجوز للمسلم فُكُّ هذا الحصار بأي

(١) أخرجه أبو داود عن ابن عباس مرفوعًا. وصححه الألباني، حديث رقم: (٤٥٤٨) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه ابن ماجه، وأحمد، والدارمي عن عبد الله بن عمرو. وصححه الألباني، حديث رقم: (٦٣١٣) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه أبو داود، والحاكم، والبيهقي، عن عبد الله بن عمر مرفوعًا. وصححه الألباني، حديث رقم: (١٨٠٢) في صحيح الجامع. كما أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، والضياء عن ابن عباس. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

خدمة من الخدمات يقدمها لها، بُدءًا بزراعتها وانتهاءً ببيعها، والترويج لها، أو إشهارها، أو شراء أي شيء من المباحات أصلًا ولكن لخدمتها، ولو كان ذلك مجرد قلم أو ورقة، لضبط حسابها، أو عجلة لإصلاح شاحتها، وقس على هذا وذاك قياسًا صحيحًا مليحًا واثمًا، فلا شيء تُتخذ في سبيل إنعاشها إلا وهو ملمون عند الله، على لسان رسول الله ﷺ.

وما كان لمن تنزلت عليه اللعنة الإلهية أن ينطلق، ولا أن تفتح له أبواب السماء؛ إلا أن يتوب إلى الله توبةً نصوحًا.

● لا تجلس على مائدة يُذاز عليها خمر، ولو لم تكن لها شاربًا:

والمؤمن الراغب فعلاً في السير إلى الله وجب أن يتحلى بحساسية عالية جدًّا ضد الخمر وأهلها، فلا يجالسهم ولو مجرد مجالسة وهم على مائدة الخمر، بل ما وُضعت أُمُ الخبائث بمكان إلا غادره المؤمن، إلا لضرورة مُقَدَّرَةٌ يَقْدِرُهَا شرعًا، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «نَهَى عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ» ^(١) وقد ربط رسول الله ﷺ ذلك بصفة الإيمان بالله واليوم الآخر على عادته - عليه الصلاة والسلام - في الأمور المهمة في الدين، وهو قوله الصريح المليح: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يُذَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ» ^(٢).

وبعد:

فهذه أربعة أنصاب: (الحرافيات، والمال الحرام، والزنى، والخمر)، تنتصب - في هذا العصر - أوثانًا في هوى الإنسان فتخسف بإيمانه؛ ويكون من الحاسرين والعياذ بالله، إلا أن يتغمده الله برحمته، ومن هنا، فإنه لا أمل في انطلاقه، ولا في استقامته سيره، وصلاح شأنه، إلا بمقاطعتها والتبرؤ منها جميعًا. وإنما الموفق من وفقه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- الالتزام الرابع: إمساك اللسان عن فضول الكلام.

وهو ورد الصمت عما لا خير فيه من الكلام، وهو ملاك سائر الأعمال؛ إذ بغيره لا يبقى لصاحبه دين ولا خلق.

(١) أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عمر. وحسنه الألباني، حديث رقم: (٦٨٧٤) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الترمذي، والحاكم عن جابر. وحسنه الألباني، حديث رقم: (٦٥٠٦) في صحيح الجامع.

ولقد نَصَّ القرآنُ على أن كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال، هي محصاة عليه إحصاءً دقيقاً، والله ﷻ يعلم الكلمة قبل أن يتلفظ به المرء، بل يعلمها سبحانه وهي ما تزال خطورةً في قلبه، أو موسومةً في نفسه، فإذا تلفظ بها تلقفها الملكان فُكِّبَتْ له أو عليه، وذلك هو صريح قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا تُوَسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد] ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ ﴾ [ذ: ١٦ - ١٨].

وتواترت السنة بالتحذير من خطورة آفة اللسان، وما تجره على المؤمن من خراب الأعمال، والارتكاس الرهيب في غيابات الجحيم، فمن بلال بن الحارث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ؛ فَيَكُتِبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ؛ فَيَكُتِبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (١). ومثله قوله - عليه الصلاة والسلام - في هذا النذير الرهيب: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَزِي بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ » (٢).

ولا أجد أشدَّ نذيراً ولا أَرْقَبَ تحذيراً، مما ورد في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في آفة اللسان، وقد أخبره النبي ﷺ بما يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وما يَنْجِيهِ مِنَ النَّارِ، ثم قال عليه الصلاة والسلام في خاتمته: « أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِي قَالَ: كُفَّ عَنْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكُنْكَ أَتُكُّ يَا مُعَاذُ؟ وَهَلْ يَكُتِبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى فَنَاجِرِهِمْ - إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » (٣).

ولذلك فقد أهدى - عليه الصلاة والسلام - للأمة هذه القاعدة اللسانية الاحتياطية

(١) أخرجه مالك، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، عن بلال بن الحارث. وصححه الألباني، حديث رقم: (١٦١٩) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، عن أبي هريرة. وصححه الألباني، حديث رقم: (١٦١٨) في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي. وقال الترمذي: « هَذَا خَيْرٌ حَشَنَ صَحِيحٍ ». كما صححه الألباني في صحيح الجامع.

الغالية، فقال: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْفِلْ خَيْرًا أَوْ لِيُضْمَتْ ^(١) ».

وهذا جامع لكل معاني النسيمة، والغيبة، ونحو هذا وذلك من محرمات الأقوال، وسائر اللغويات الباطلة، بله التلطف بالشركيات، سواء كان ذلك جدًّا أو هزلًا. ألا عَصَمَ اللَّهُ أَلْسِنَتَنَا جَمِيعًا مِنْ كُلِّ سَوْءٍ.

● إِحْذَرِ الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَرَضٌ خَطِيرٌ:

والكذب - أعاذنا الله وإياكم منه - من أسوأ آفات اللسان، والمؤمن لا يكذب، أما الداعية أو الحامل لمشروع التجديد الديني فإنه إن كذب فقد خان رسالته، وقضية الصدق والكذب هي قضية « وِلَاءٍ وَبِرَاءٍ » في المجال الدعوي، لا تقبل المساومة ^(٢) وبكفينا في ذلك نذارة رسول الله ﷺ الفاصلة الحاسمة، حيث إنه نودع الكاذب بالويل المؤكد، ولو كان كذبه من باب إضحاك الناس والترفيه عنهم، قال عليه الصلاة والسلام: « وَتِلْكَ لِلَّذِي يُخَذِّثُ لِيَكْذِبَ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ! وَتِلْكَ لَهُ وَتِلْكَ لَهُ ^(٣) ». وقد نقلت عائشة رضي الله عنها موقفه الشديد من الكذب، فقالت: « كَانَ أَبْغَضَ الْخَلْقِ إِلَيَّ الْكَذِبَ ^(٤) ».

ولا وصول إلى الله ﷻ ولا طريق إلى نيل رضاه إلا بالصدق؛ الصدق على كل حال، والصدق في كل شيء، بحيث لا يَصُدَّرُ المؤمن في كل شأنه، كبيره وصغيره، إلا عن الصدق، قولًا وفعلًا، عسى أن يكون في نهاية المطاف من الصّديقين؛ فالصّديقُ لا تُنال بكثرة الأعمال عددًا، وإنما تنال بحمقها صدقًا، وبصفائها وُردًا، وإخلاصها قصدًا، وذلك هو الصدق مع الله جل ثناؤه؛ ومن لم يصدق مع الناس لم يصدق مع الله، والعكس صحيح، فالصدقُ عملةٌ واحدة، مَنْ عَشَّهَا أَوْ دَلَّسَهَا عَشَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَدَلَّسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ولا مسلَك إلى الله بغير هذا، فَقَدْ عَشَّيَ اللَّهُ

(١) متفق عليه.

(٢) لا تقصد بذلك « الولاء والبراء » بالمعنى العقدي الصرف، ولكننا نقصد ولاء الثقة والتواصل أو حدسهما، في مجال العمل الإسلامي.

(٣) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، عن معاوية بن حيدة مرفوعًا، وحسنه الألباني، حديث رقم: (٧١٣٦) في صحيح الجامع.

(٤) أخرجه البيهقي عن عائشة. وصححه الألباني، حديث رقم: (٤٦١٨) في صحيح الجامع.

ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ، فَإِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى يَكْتَسِبَ عِنْدَ اللَّهِ جَدِيدًا. وَإِنَّا كُنْمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَسِبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» (١).

ولنا أن نختم هذه الالتزامات بحديث نبوي عجيب، هو عبارة عن رحلة روحية - مأدونة من لدن الرحمن - في ملكوت الغيب، ضحبة الملكين: جبريل وميكائيل - عليهما الصلاة والسلام - وذلك خلال رؤيا نبوية، ولا تكون رؤيا النبي ﷺ إلا حقا، بل لا تكون إلا وحيا من الله ﷻ، وحقيقة نبوية قطعية، رؤيا كانت عبارة عن مشاهدات ذات جلال وجمال، وسياحة في ملكوت أخروي عجيب، من مشاهد العذاب ومنازل النعيم، كلها عيّر وحكم، ترجع على ما ذكرنا من التزامات بالترغيب والترهيب ذكرى ﴿لَنْ يَنْفَعَكَ أَنْ تَقُولَ أَوْ أَلْتَقِ السَّمْعَ وَمَوْ سَهِيْدٌ﴾ [ن: ٣٧].

فَقَسَّ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيْنِي فَأَخَذَا يَهْدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْقُدْسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كُلوْبٌ مِنْ حَدِيدٍ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: إِنَّهُ يُذْجِلُ ذَلِكَ الْكُلوْبَ فِي بِيْذِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِبِيْذِهِ الْآخَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِسُ بِيْذَهُ هَذَا، فَيَعُوْدُ فَيَضَعُ بِمِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صُخْرَةٍ، فَيُطْخِعُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا مَرَبَتْ تَذْهَدُ الْحَبْوُ، فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعْ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَمَرَبَتْ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ بِمِثْلِ الثَّنَوْرِ، أَعْلَاهُ صَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَنْزَقُ فَيُخْتَهُ نَارًا، فَإِذَا انْتَزَبَ انْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ وَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ غَرَاةٌ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ، وَعَلَى سَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ جَبَاوَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ زَمَى الرَّجُلُ بِخَبَرٍ فِي فِيهِ فَرْدُهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ زَمَى فِي فِيهِ بِخَبَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْتَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِيَّانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا فِيهَا رَجَالٌ شُبُوحٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِيَّانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُبُوحٌ وَشَبَابٌ.

قُلْتُ: عَرُفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبَرَانِي عَمَّا رَأَيْتَا قَالَا: نَعَمْ.

أَنَا الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ بِدَقَّةٍ فَكَذَّبْتُ، يُعَدَّتْ بِالْكَذِبَةِ فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيَضَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَدُّ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَفْعَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يَفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّفْسِ فَهُمْ الرُّنَّاءُ، وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرُّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّيَّانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَا لَكَ خَازِنُ النَّارِ، وَالِدَارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارَ عَائِمَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَلِكَ مَنَزِلُكَ. قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنَزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنَزِلَكَ ^(١).

بصيرة في شرط الوصول:

وعليه؛ فإنه لا وصول ولا قبول في كل ذلك جميعاً إلا بشرط أساس، ألا وهو: مجاهدة النفس؛ للتحقق في كُلِّ مَسْئَلَةٍ من إخلاص القلب، وللتحقق في كل كلمة من صدق اللسان،

ذلك، وإنما الموفق مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ، هو وحده تعالى المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفطرية
بعث التجديد المقبل
من أبا بكر كرام الله وجهه إلى د. نوري الإسماعيل

الفصل الثالث

التجديد الفطري

(معالم المنهجية وقضايا العمرانية)

• وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول : في المعالم المنهجية للتجديد الفطري.

المبحث الثاني : التجديد الفطري وقضايا العمران البشري.

لكل بعثة حقيقية، وبوجودهم وبانتصابهم ينتصب الدين ويقوم، وبغياهم تنتصب الحن والفن، وتدبر قول رسول الله ﷺ: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً؛ انتخذ الناس رؤوساً جهالاً، ففسلوا، فأفترى بغير علم، فضلوا وأضلوا » (١). وترجم الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه: (باب: كيف يقبض العلم؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتهه، فإني خفت فُرُوسَ العلم (٢) وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتفقدوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً).

وإن من أخطر ما تواجهه الأمة اليوم فعلاً من المعضلات، في هذه المرحلة الحرجة من الاكتساح العولمي الصهيوني؛ هو هذا الموت المتواتر، والمستحتر بالعلماء، مع ضعف نتاج الخلف، فهذا مما يجب الانتباه إلى خطورته الشديدة، وإلى الضرورة الاستعجالية التي تقضي بتفريغ شباب الصحوة الإسلامية لطلب العلم الشرعي، بشروطه المذكورة قبل؛ قصد إنتاج علماء البعثة المنتصبين لها.

الركن الثاني:

دوائر « مجالس القرآن » لتلقي رسالات القرآن وتلقيها، تلاوة وتزكية وتعلماً وتعليماً؛ قصد إحداث تداول اجتماعي عام لفاهيمها؛ بناء على هندسة القرآن الدعوية، كما سبق بيانه في المَعْلَم الأول من معالم البعثة؛ وذلك لتجديد بنية الدين في المجتمع (٣).

فمجالس القرآن جُلُوسٌ تعبدية متسلسلة، ومداوس إيمانية متناصلة، هي الشكل وهي المضمون، كما أنها هي الوسيلة وهي الغاية، وهي مناهل رسالات القرآن تلقياً وأداءً. فهما إذن عنصران أو ركنان كما ذكرنا: الأئمة العلماء بشروط البعثة ومعالمها، ثم المجالس القرآنية، المنضبطة إلى هندسة القرآن، وذلك يغني عن كثير من المحركات الإدارية، التي لا تفيد إلا في إثقال حركة الإنتاج الدعوي، وتقييد المبادرات، كما هو

(١) متفق عليه.

(٢) دروس العلم: يعني انقراضه، دَرَمَ الشيء يُدْرَم: انقرض.

(٣) يُشَا بعض الضوابط التنظيمية الفطرية بكتيبنا « مجالس القرآن » لمن شاء الاستزادة.

تمهيد

هدف المعركة الجديدة إذن؛ هو الوجود الديني للمجتمع الإسلامي ذاته، وساحتها هي الإنسان المسلم نفسه، ليس بما كان مقصودًا في الاستعمار القديم، ولا بما كان مقصودًا بالظلم السياسي الحديث، ولكن المسلم مقصود اليوم بالتدمير؛ بما هو حائل طبيعي متين دون الطغيان الصهيوني، وحلم (إسرائيل الكبرى)، ودون التمكن الأمريكي من النفط العربي، ثم دون ثقافة الاستهلاك العولمي، والاستعباد الشبهواني؛ ولذلك فهو مستهدف في عقيدته، ونظام تربيته وتعليمه، ونمط حياته، مستهدف ببرامج تعليمية وإعلامية أخرى، وينظم اجتماعية جديدة، وتدمير كلي لمفهوم الأسرة، وبناء تركيبة اجتماعية أخرى، لا يبقى من إسلامها إلا أسماءها! تمامًا على نحو ما يصنعون لما يسمى بـ (الجيل الثالث) من أبناء المهاجرين في الغرب؛ حيث ذوبت النظم الغربية شخصيتهم الإسلامية، فضاع أغلبهم كما ضاعت بقايا (الموريسكيين) من أهل الأندلس، في المجتمع الإسباني النصراني.

لقد جيشت أمريكا لذلك جيوش عولمتها، المحمية ليس بأسلحة التدمير الشامل فقط؛ ولكن أيضًا بأسلحة أخرى أخطر؛ إنها: ترسانة الإعلام والاقتصاد والثقافة والتعليم والتفتين الاجتماعي... إلى آخر ما يمثل آلة «الديموقراطية الليبرالية» في مفهومها الغربي.

تلك هي طبيعة المعركة الجديدة؛ فإما بعثة تجديدية جديدة، وإما قرون أخرى في ظلمات التيه، لا قدر الله! ولكن يأبى الله سبحانه إلا أن يحفظ كتابه إلى يوم القيامة، تلك عقيدتنا، وقد تواتر ذلك من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الشورى: ٢٢٣]. وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» ^(١) وقال أيضًا: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن حبان. وصححه الألباني، حديث رقم: (٧٠٢) في صحيح الجامع.

مخذلهم، ولا من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» (١).

لكن القضية هي مسؤولية الإنسان المسلم، الذي تعلق هذا الدين بربقته، عقيدة وشريعة ومصير، في الدنيا وفي الآخرة. إنها مسؤولية الفرد، ومسؤولية الجيل. إنها مسؤولية (حفظ الدين)، التي أناطها الله جل وعلا بالتكليف التعبدية الإنساني، وما حفظه - كما تبين من قبل - إلا (بعثة للتجديد)، تنطلق كلما أهدق الخطر بيبضة الإسلام.

وإن عظم الخطر اليوم، وشموليته، وعمقه، بما لم يسبق له مثيل في منهجية التدمير الوجوداني؛ لجدير بأن يكون وحده مؤشراً قوياً على أن الزمان زمان بعثة جديدة، ولأن كان يبصر فتلك بشائرها تلوح أنواراً في الأفق، وما جاء الفرج قط إلا بعد (حتى) الدالة على أقصى غايات الضيق والحرج، والنهاية في مراحل البأساء والضراء. قال ﷺ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّهِمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَوَدِدُوا حَقًّا يَقُولَ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَن نَّصْرُ أَفٍّ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقال سبحانه: ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْفَٰئِرِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠].

وإذا كان لنا من كلام عن (بعثة التجديد الفطري) فهو عن معالمها المنهجية الكبرى، وهو كلام مبني بالدرجة الأولى على استقراء النصوص القرآنية والحديثية، ثم بدرجة ثانية على قراءة ضرورات المعركة الجديدة وطبيعتها، بما أشرنا إليه قبل.

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

في المعالم المنهجية للتجديد الفطري

أول ما ابتدئت به بعثة النبي ﷺ هو نزول آيات من القرآن، وكان ذلك حدثاً عظيماً. لم يحصل بعده في سيرته ﷺ ما هو أعظم منه وأعجب، وقد بقي القرآن أداته ﷺ الأساس للدعوة إلى الله وتوحيده تعالى، مع ما ألهمه تعالى وأوحى إليه من الحكمة، مما نطق به في حديثه ﷺ، وسار به في سيرته، إلا أن القرآن كان منبع الأنوار كلها.

وتدفق الإسلام على الناس وفشا بينهم، بتدفق آي القرآن وسوره عليه ﷺ فكان المادة الأساس في تربية الجيل، انطلاقاً من دار الأرقم، وشعاب مكة، إلى الهجرة نحو المدينة، إلى فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، في ظرف زمني لا يتعدى بضعا وعشرين سنة، ومن هنالك انطلق إلى العالم في ظرف يقارب الأول، مع الخلفاء الراشدين وآخرين من بعدهم، إن هذه ملحوظة أساسية، أعني: التدفق الدعوي في ظرف زمني قصير، بل قياسي بالنسبة لقانون الاجتماع البشري، في انتشار الأفكار والعقائد والمذاهب، ففي نحو بضع وعشرين سنة من التداول الاجتماعي للقرآن تربيةً وجهاداً، يكون الإسلام دين الله المبكين في الأرض، ثم الدين الظاهر على كل الأديان والملل والنحل، إنها بعثة إذن.

وبأمل السيرة النبوية واستقراء مراسلها، ونصوص الكتاب والسنة الجامعة بها، وبمفهوم البعثة التجديدية، وبالنظر إلى حجم الفساد والانحراف الذي ضرب العالم اليوم؛ يمكن استخلاص المعالم الرئيسة لبعثة التجديد فيما يلي:

المعلم الأول: التداول القرآني:

إن أهم مقلم، وأوضح خاصية، يمكن ملاحظتها في البعثة النبوية ابتداءً؛ هي ظاهرة التداول القرآني، ومعنى ذلك أن الاشتغال النبوي إنما كان بالقرآن أساساً؛ بما حقق ما يمكن تسميته: (تداولية قرآنية) كبرى في المجتمع الإسلامي الأول، فقد منح رسول الله ﷺ الناس في بداية الأمر من كتابة شيء غير القرآن، وذلك كما في حديثه المشهور؛ إذ قال ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحذوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١). وقد تواترت أخبار الحركة القرآنية، التي طبعت جيل الصحابة؛ اهتماماً، وقراءة، ومدارسة، وإنما كان النبي ﷺ يشتغل به داعياً إلى الله، ومريئاً، وإنما أسلم معظم من أسلم من الصحابة؛ تأثراً بسماع شيء من القرآن، لقد كان للقرآن في جيلهم خيرٌ منهيب، ونبأٌ عظيم، يلقونه ويشونه؛ حتى صار القرآن هو الحديث الأبرز في تلك المرحلة، تَزُولاً وتداولاً.

إن المسلمين اليوم، يقرؤون القرآن، نعم؛ ولكنهم لا يتداولونه، إننا نقصد بـ (التداولية) : الاشتغال الشامل بالقرآن الكريم، الاشتغال الذي يعمر الحياة؛ حتى يطفئ على كل شيء سواه؛ تلاوةً، وتعلماً، وتدارساً، وتدبراً، وتركيزاً، إلى أن يَفْشُو ذلك فَشُوهُ بين سائر فئات المجتمع وطبقاته؛ بما يُؤَسِّس تربية قرآنية تعبدية واجتماعية، تقوم بين الناس بصورة تلقائية؛ مادةً ومنهجاً، تُبْثُ قيم القرآن وأخلاقه بينهم بُثّاً يتغلغل في الأنفس، ويتسرب إلى أنسجة المجتمع الداخلية، وخلاياه الشعورية واللاشعورية؛ بما يجعل مفاهيم القرآن متحركة في صيرورته، وفي حركته التاريخية. فيصبح القرآن بذلك هو (مُحَرِّكُ الإِصْلَاحِ) و (دِيْنَاوُ) العمل الدعوي، القائم على المنهاج النبوي الحق.

هذا شيء - مع الأسف - شبه مفقود اليوم، ولا يكون إلا (بعثة جديدة)، تجدد اشتغال الأمة بالقرآن.

وكان لجيل الصحابة في عهد النبوة وبعده؛ مجالس قرآنية، ليست كأغلب

مجالس السهرات القرآنية، التي تعقد اليوم للسمع والتغني، كلا، ولكنها كانت مجالس قرآنية متكاملة، تنضاف فيها التلاوة، والتعلم، والتزكية، على كمال ما تكون التربية النبوية، لخير الأجيال^(١)، ذلك بشهادة القرآن العظيم في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الحج: ٥٢].

وانطبعت تلك التربية في أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا أهل قرآن، وصاروا مختصين به؛ ولذلك سمي فريق منهم بـ (القراء)؛ لفرغهم لهذا الشأن خاصة. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أياهم نعتنا رجلاً يعقلوننا القرآن والسنة. فبعت إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم القراء، فيهم خالي حزام، يقرؤون القرآن، ويحذرسونه بالليل، يعقلون»^(٢).

وكانت للقرآن أخبار يحرص المؤمنون على تتبعها وتناقلها؛ لأن القرآن أخلاق، ومنهج حياة، فكان حرصهم عليه حرصاً على بناء حياتهم. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل، أنهم كانوا يتحدثون أن غسان تنقل الخيل لغزو المدينة، فجعل النبي ﷺ حراساً بعمالي المدينة؛ لمراقبة ذلك عن بعد، قال عمر رضي الله عنه: «وكان لي جار من الأنصار، فكانا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فمأثرتني بخبر الوحي وغيره، وآتية بمثل ذلك»^(٣).

وبعد وفاة الرسول ﷺ امتدت تلك المجالس مع الفتوح إلى سائر الأمصار، يصف لنا التابعي الجليل أبو رجاء العطاردي طريقة ذلك، وكيفية تنظيم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه للمجالس القرآنية بالعراق، قال: «كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا، في هذا المسجد، مسجد البصرة، يعقد جلثاً، فكانني أنظر إليه بين بردين أبيضين، يقرئني القرآن»^(٤). وقد تخرج من هذه الحلق الدراسية خلق كثير من التابعين. فعن أبي كنانة أن أبا موسى الأشعري جمع الذين قرؤوا القرآن، فإذا هم

(١) ن. بلاغ الرسالة القرآنية: (١٠١-١٠٥)، وكنا مجالس القرآن: (٢٩).

(٢) الحلية لأبي نعيم: (٤١) (٢٥٦/١).

(٣) ٢٦، ٣، منفذ عليه.

قريب من ثلاثمائة فَعَظَّمُ القرآنَ، وقال: « إن هذا القرآنَ كائنٌ لكم أجزاً، وكائنٌ عليكم وزراً، فاتبعوا القرآنَ، ولا يتبعنكم القرآنُ، فإنه من اتبع القرآنَ هبط به على رياض الجنة؛ ومن تبعه القرآنُ رُخَّ في فقاء، ففقدته في النار » ^(١). فكان القرآن لهم ثقافة، وتربية، وخلقاً، ومنهج حياة.

ودأب الصحابة رضوان الله عليهم على هذا المنهج؛ حتى لكان الأمة إنما قامت - حينما قامت - بالقرآن، وكذلك كان.

فنخلص إذن إلى أن التداول القرآني كان له في البعثة الأولى وجهان:

الأول: تداول اجتماعي؛ وتم بمقتضاه بث الاشتغال بالقرآن في كل مرافق الحياة الاجتماعية، يُتَلَقَّى خبره، وتُضَيِّق عبارته، وتُحْفَظُ تذكّره، ثم يُبَثُّ ذلك كله، ويذاع في الناس، لتفسير الآيات في الآفاق، فيعمر القرآن الحياة الاجتماعية؛ ذكراً ومذاكرةً. ولو يُنَحَظُّ ذلك في العمل الدعوي التجديدي اليوم؛ إذن يتحول القرآن إلى خلق اجتماعي عام، وتتحول قضاياها، وقصصه، وعيظه، وحكمه، وأمثاله؛ إلى (ثقافة شعبية) سارية، وذلك من شأنه أن يصنع نسيجاً اجتماعياً مسلماً، عميقاً ومتيناً، لا تخترقه عوادي العولمة الثقافية والإعلامية، مهما اشتدت ريحها.

والثاني: تداول تربوي؛ وهو الذي اختصت به (مجالس القرآن)، التي كانت تعمر المساجد، والبيوت، والبساتين، والشعاب، والبطاح - سبواً في مراحل، وعلناً في مراحل أخرى - مما كان قبل الهجرة ومما كان بعدها؛ تعلماً، وتزكيةً، ونداسةً، وتدريباً، وتبصراً؛ لتخريج أهل القرآن الحكماء الربانيين، الذين يربون الناس، والذين هم مادة الاستمرار الحضاري للأمة وعمودها الفقري، والذين ذكرهم الله جل وعلا في قوله: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

المعلم الثاني: الإمامة العلمية:

إن حديث النبي ﷺ يحدد (إمامة) بعثة التجديد، وينص عليها بصورة واضحة، لا غش فيها ولا إبهام، وذلك قوله ﷺ: « إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ. وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُرْزَلُوا

وَيَا زَا وَلَا دِهْمَا، إِنَّمَا زَرَفُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ^(١). بيد أن (الورثة) قاهنا تقتضي إرث العلم بكل وظائفه الدعوية والتربوية، لا مجرد العلم الخالي من كل عمل، ومن أي رسالة، فذلك علم مُدْعَى غير موروث، فالعلماء الورثة: هم أهل الرسالة، ومَحْمَلُ البلاغ القرآني، ولقد أصل أبو إسحاق الشاطبي تَكْنِئَةً (ت: ٧٩٠هـ) ذلك، وهو تَكْنِئَةً أحد أئمة التجديد في الأندلس، فوصف العالم المتصدر للتربية والتجديد؛ بـ (الوارث)، و (المنتصب)، كما وصفه بالرباني، والحكيم، والراسخ في العلم، والعالم، والفقير، والعامل في نصوص جديدة بأن تشد إليها الرحال، وهي اصطلاحات كلها دالة عنده على (إرث) النبوة في منهج التربية والتعليم والتزكية للأئمة، (فالانتصاب) إنما هو تجرد لمهمة البلاغ، تمامًا كما تنتصب الجبال بين الصحارى والبطاح؛ أعلامًا للمضالين عن الطريق، فيراها كل العابرين، وتكون بذلك ماثرات اتباع واقتداء. قال تَكْنِئَةً: «إن المنتصب للناس، في بيان الدين مُتَّقِصِبٌ لهم بقوله، وفعله، فإنه وارث النبي، والنبي كان ميمناً بقوله، وفعله، فكذلك الوارث لا بد أن يقوم مقام الموروث، وإلا لم يكن وارثاً على الحقيقة، ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقون الأحكام من أقواله، وأفعاله، وإقراراته، وسكوته، وجميع أحواله، فكذلك الوارث، فإن كان في التحفظ في الفعل؛ كما في التحفظ في القول؛ فهو ذلك، وصار من اتبعه على هدى، وإن كان على خلاف ذلك صار من اتبعه على خلاف الهدى، لكن بسببه^(٢). وقال في منهج اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ: «وكانوا يبحثون عن أفعاله، كما يبحثون عن أقواله، وهذا من أشد المواضع على العالم المنتصب»^(٣).

وقال تَكْنِئَةً في تفصيل الخصائص المعرفة للعالم الرباني المنتصب، واصفاً إياه بأنه: «يتحقق بالمعاني الشرعية منزلة على الخصوصيات الفرعية، بحيث لا يصده التبحر في الاستبصار بعطف؛ عن التبحر في الاستبصار بالطرف الآخر، فلا هو يجرى على عموم واحد منهما؛ دون أن يعرضه على الآخر، ثم يلتفت مع ذلك إلى تنزل ما تلخص له على ما يليق في أفعال المكلفين (...) فهو صاحب التمكين والرسوخ، فهو

(١) جزء حديث رواه أحمد، والأربعة، وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم:

(٦٢٩٧).

(٢) الموافقات: (٤/ ٢٥٠).

(٣) الموافقات: (٣١٧/٣).

الذي يستحق الانتصاب للاجتهاد، والتعرض للاستنباط (...). ويسمى صاحب هذه المرتبة: الرباني، والحكيم، والراخ في العلم، والعالم، والفقيه، والعاقل؛ لأنه يربي بصغار العلم قبل كبار، ويوفي كل أحد حقه، حسبما يليق به، وقد تحقق بالعلم وصار له كالوصف المجبول عليه، وفهم عن الله مراده، ومن خاصته أمران: أحدهما أنه يجيب السائل على ما يليق به في حالته على الخصوص، إن كان له في المسألة حكم خاص (...). والثاني: أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات (١).

ذلك هو عالم البيعة إذن؛ داعية رباني حكيم، مجتهد ومجتهد، منتصب للناس بعلمه وورعه، مُفْلِحًا، وداعيًا، وهاديًا، ومرثيًا.

وملاحظة السيرة النبوية تفضي إلى أن النبي ﷺ قد كَوَّن عددًا كبيرًا من علماء الصحابة؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وغيرهم كثير، جيل من العلماء الأئمة، كانوا فقهاء، وحكماء ربانيين، ولم يكونوا مجرد نقلة، بل أسهموا في بناء حضارة الأمة، ونهضتها الأولى.

وبيعة التجديد لن تكون إلا بمثلهم، منهجيًا؛ أي بقيادة علمية متميزة كفاءة وكيفية. فلا بد من عدد وفير من أهل العلم، من الذين يحملون الرسالة، ويشغلون بالقرآن؛ تعليمًا، وتزكيةً، وتفتيحًا في الدين، وإنما أولئك هم العلماء الربانيون؟ كما سبق قول أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله: «الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كبار»، كما جاء في بعض تراجم الإمام البخاري رحمه الله (٢). والذين لا تفتتهم أحاد الجزينات عن ملاحظة الكليات، ويراعون المآلات قبل الجواب عن السؤالات، إنهم قوم يحملون أخلاق النبوة علمًا وجألاً، ولقد ظن بعض أهل الخير من المشتغلين بالدعوة اليوم؛ أن الناس قد انصرفوا إلى طلب العلم الشرعي بوفرة زائدة عن الحاجة، ولا يزالون ينصحون الشباب بالعدول عن ذلك؛ بدعوى أننا في حاجة إلى الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، والفيزيائي المسلم. وأقول: نعم، نحن في حاجة إلى كل أولئك وأضرابهم، لكن حاجتنا إلى (علماء البيعة) أكد وأشد، ودعوى حصول الكفاية من

(١) الموافقات: (٢٣٢/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، (باب العلم قبل القول والعمل).

العلماء باطلية، فأولاً ليس كل من انتسب إلى العلوم الشرعية هو من علماء بعثة التجديد، بما ذكرنا وما وصفنا من مفهوم (العالمية)^(١) . فإنما العلماء الفقهاء الربانيون الزوَّار، كما سبق تفصيله، وليس العالم المنتصب أو الوارث هو من جمع في ذهنه عددًا كبيرًا من المحفوظات والمكتبات، ولكنه من أوتي حكمة التصرف في المعلومات، بما يناسب الزمان والإنسان، ولشيخ المقاصد أبي إسحاق الشاطبي كلمة ذهبية في هذا. قال رحمه الله: « إن على العالم الرباني أن لا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربي بصغار العلم قبل كباره، وقد فرض العلماء مسائل، مما لا يجوز الفتيا بها، وإن كانت صحيحة في نظر الفقه (...)، وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها؛ فانظر في مالها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدِّ ذكرها إلى مفسدة؛ فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية »^(٢).

إن أمثال هؤلاء ليس منهم في الأمة إلا الندرة، بله القلة، بله الكثرة والوفرة، ولقد رأيت كيف أن رسول الله ﷺ قد خرج للناس منهم جيلاً، فما بالك بزماننا هذا؟ وقد بلغ عدد المسلمين في العالم مليارًا ونصفًا، هذا إذا حددنا مخاطبنا في المسلمين خاصة، وإنما الإسلام جاء لمخاطبة العالمين.

المُتَكَلِّمُ الثالث: يُشِيرُ الدَّاعُوَّةَ وَيَسَاطِلُهُ الْمُفَاهِيمُ:

إن من أهم معالم البعثة النبوية؛ أنها تميزت باليسر، والسهولة في الخطاب، وفي التكليف، وهذا أمر مهم جدًا؛ لضبط الاتجاه الدعوي المعاصر، ذلك أن بعض الحركات الإسلامية، إنما انفلتت على نفسها؛ بسبب عسر مفاهيمها، وتنطع فهمها، وما جرت عليه من حمل الناس على العنت، وقد تواتر في الدين مفهوم (رفع الحرج)، وما تعلق به من قواعد كلية، فالنصوص القرآنية والحديثية مجمعة على هذا المعنى؛ بما يجعله كلية قطعية من كليات الدين؛ دعوةً، وتكليفًا، فالخطاب القرآني صرح بذلك تصريحًا، ونص

(١) لك أن تنظر في كتابنا: « مفهوم العالمية ».

الحق جل وعلا على اليسر بإطلاق، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَنْشَرْنَا الْفَرَّكَانَ لَيْلَئِكَ فَعَلَّ مِنْ مُذَكِّرٍ ﴾ (القمر: ٣٢) وقال جل وعلا في الآية الجامعة المانعة على سبيل الشمول والاستفراق: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]... إلخ.

ثم أوصى رسول الله ﷺ بمعوته إلى اليمن جابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل فقال لهما: «يسرا ولا تمسرا، وبشرا ولا تنفرا»^(١). وقال ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُشْرُ وَلَنْ يُشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوزِ وَالرُّوَاحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْبَةِ»^(٢). ومثله قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دُرُومٌ عَلَيْهِ وَإِنْ قُلَّ»^(٣). وروى الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تَفَالَوْا، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً! وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر! وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً! فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأوقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٤) ومثل هذا في السنة كثير جداً؛ مما يفيد استقراؤه كلية قطعية من كليات الدين، فوجب إذن أن يؤخذ على هذا الوزن؛ تكليفاً وتعليماً، ودعوةً وتركياً، وما خالفه فإنه يُرَدُّ إليه.

ولذلك قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله من بعدما سرد عدداً من أدلة اليسر والتيسير في الشريعة: «وهذا وأمثاله في الشريعة أكثر من أن يحصر، فمن قال إن الله أمر العباد بما يعجزون عنه - إذا أرادوه إرادة جازمة - فقد كذب على الله ورسوله، وهو من المفترين»^(٥).

ولقد التقط أبو إسحاق الشاطبي هذا المعنى العظيم من القرآن، فجعله أصلاً من أصول المقاصد؛ حيث استعمل مصطلح (الأمية) في وصف الشريعة، لكن ليس بمعنى الجهل، وهذا أمر غلط فيه كثير من طلبة العلم، وحتى بعض الدارسين، ممن قرأه

(٢) رواه البخاري.

(١) متفق عليه.

(٥) مجموع الفتاوى: (٤٤٠/٨).

(٣) ٤، متفق عليه.

في كتاب الموافقات؛ فمن السذاجة أن يفهم عن أبي إسحاق رحمته أنه يصف الشريعة بالجهل، أو أنها غير صالحة إلا للعوام، كيف وهو شيخ المقاصد المجدد لعلم أصول الفقه؟! ولكنه استعمل مصطلح (الأمية) بمعنى السهولة والبساطة واليسر، في الفهم وفي التكليف، على ما أضلنا أنفاً، وقد نقل المصطلح من دلالة اللغوية، الدالة على الجهل بالحساب والكتاب؛ ليستعمله في وصف الشريعة نفسها، لكن بدلالة أخرى اصطلاحية، على مفهوم منهجي، متعلق أساساً بمعنى اليسر المشترك في التكليف، وفي تطبيق الشريعة. قال رحمته في المسألة الثالثة من كتاب المقاصد في الموافقات: « هذه الشريعة المباركة أمية » ^(١). وهو ما فسره في موطن آخر بقوله: « ربما أُخذ تفسير القرآن على التوسط والاعتدال، وعليه أكثر السلف المتقدمين، بل ذلك شأنهم، وبه كانوا أفقه الناس فيه، وأعلم العلماء بمقاصده وبواطنه، وربما أُخذ على أحد الطرفين الخارجين عن الاعتدال، إما على الإفراط؛ وإما على التفريط، وكلا طرفي قُصْدِ الأمور دَمِيمٌ، فالذين أخذوه على التفريط قصروا في فهم اللسان الذي به جاء، وهو العربية، فما قاموا في تفهم معانيه ولا قعدوا كما تقدم عن الباطنية وغيرها، ولا إشكال في اطراح التمويل على هؤلاء، والذين أخذوه على الإفراط أيضاً قصروا في فهم معانيه، من جهة أخرى، وقد تقدم في كتاب المقاصد بيان أن الشريعة أمية وأن ما لم يكن معهوداً عند العرب فلا يعتبر فيها » ^(٢).

وهذا معنى عظيم؛ إذ عدم اعتباره أدى بكثير من الناس إلى الزيف عن جادة المنهاج النبوي الفطري، في الدعوة والتكليف، وإنما الأصول قائمة على حمل الناس على الوسط والتوسط، والاعتدال، لا على الغلو سواء في ذلك الفهم أو التكليف.

فالداعية قد يؤدي به التمسك بآحاد الأدلة - دون اعتبار كلياتها الأصولية - إلى الانحراف في المنهج، كما أن مراعاة بعض الجزئيات في الفهم والإفهام، لا ينقض ما تقرر قطعاً في الكليات الاستقرائية، فقد تقرر مثلاً أن الدعوة يجب أن تقوم على منهج التيسير والتبشير؛ قصد التمكين من عموم التطبيق والتنزيل، فإذا وجد ما يخالفه حمل عليه وأرجع إليه، وعدم مراعاة ذلك يوقع في إشكالات منهجية، ويؤدي إلى مناقضة الفروع للأصول وهو محال، وقد وجدت - مثلاً على ذلك -

(١) الموافقات: (٦٩/٢).

(٢) الموافقات: (٤٠٩/٣).

نازلة من كلام للشيخ الداعية المجدد، والعالم المحقق، محمد ناصر الدين الألباني رحمته، وحزاء عن الأمة خير الجزاء، إذ تشدد - على غير عادته - في إلزام ما لا يلزم في نازلة من بعض فروع العقيدة، فنحن والحمد لله على عقيدة السلف الصالح، فيما قرروه؛ استقراء من نصوص الكتاب والسنة، من توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، بما يتضمن ذلك كله من إثبات للأسماء والصفات، وعدم تأويلها، ولا تعطيلها، ولا تشبيهها.

ولكن؛ أن بصير الأمر في ذلك إلى تحقيق قضايا فوق طاقة الجمهور؛ فهنا، وإدراكاً وتكليفاً؛ فهذا مما يكون القول بالتكليف به منافقاً لأصول الدين وأصول الفقه معاً، كما قرره العلماء بقواعد الاستقراء القطعي، مما بينا سابقاً، إذ هو من باب (تكليف ما لا يطاق) وهو ممنوع في الدين، مرفوع في الشريعة أصولها وفروعها، ولقد قُبِلَ رسول الله ﷺ ظاهر الإيمان من الناس، ولم يحقق معهم جزئيات المعاني التي لا تطيق العقول البشرية إدراكها، ولا استحضارها، بينما ذهب فضيلة الشيخ الألباني رحمته - فيما سنورده - إلى حمل الناس على ذلك في خصوص هذه النازلة، ساخراً من علماء الأزهر، وكل عالم لا يدرك ما أدركه من التكلف والتعقُّق، بل سقَّه أحلام بعض علماء العقيدة السلفية الذين لم يفهموا ما فهمه، جاء ذلك في فتوى من فتاويه رحمته نشرت مستقلة بعنوان: « التوحيد أولاً ما فهمه، جاء ذلك في فتوى من فتاويه رحمته نشرت وكماله، ولكن بـ (المنهاج التربوي)، القائم على التوسط والاعتدال. قال رحمته : « إن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها؛ ليست واضحة - للأسف - في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية، أو الماتريدية، أو الجهمية؛ في مثل هذه المسألة، فأنا أرمي بهذا المثال إلى أن المسألة ليست بهذا اليسر، الذي يصوره اليوم بعض الدعاة، الذين يلتقون معنا في الدعوة إلى الكتاب والسنة، إن الأمر ليس بالسهولة التي يدعيها بعضهم، ولا يكفي أن يعتقد المسلم ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. [و] « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ^(١) دون أن يعرف أن كلمة (في) التي وردت في هذا الحديث ليست ظرفية،

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، عن ابن عمر مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه العلامة الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة: (٩٢٥)، وفي صحيح الجامع الصغير: (٣٥٢٢).

وهي مثل (في) التي وردت في قوله تعالى: ﴿ مَا يَنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك: ١٦]؛ لأن (في) هنا بمعنى (على)، والدليل على ذلك كثير، وكثير جداً (...) ويُقَرَّب هذا حديث الجارية - وهي راعية الغنم - وهو مشهور معروف، وإنما أذكر الشاهد منه، حينما سألتها رسول الله ﷺ « أين الله؟ » قالت: « في السماء »^(١). لو سألت اليوم بعض كبار شيوخ الأزهر - مثلاً - أين الله - لقالوا لك في كل مكان، بينما الجارية أجابت بأنه في السماء، وأقرأها النبي ﷺ؛ لأنها أجابت على الفطرة (...) لأنها لم تنلوث بأي بيئة سيئة؛ عرفت العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة، وهو ما لم يعرفه كثير ممن يدعي العلم بالكتاب والسنة^(٢). كذا!

قلت: هذا كلام - من حيث الأصل - صحيح؛ ولكن التكليف به، والاشتغال به، تربية ودعوة؛ غلو شديد، وتنتج مثل هذه الدقائق في تعديد الدين - وجدائاً وعملاً - مخالف لما جاء به الإسلام من التيسير وعدم التعسير، كما سبق بيانه بالقواعد القطعية؛ فالعقيدة إنما هي عبادة خوطب بها كل الناس: العالم والعامي كلهم في ذلك سواء، وأخذ الناس بمثل هذه الدقائق، إنما هو حملٌ لهم على ما لا طاقة لهم به، فالعقيدة التي (لا يعرفها) علماء الأزهر، ولا أهل التدين السليم، ولا كثير من أهل العقيدة السلفية؛ إنما هي مجال لا تكليف به أصلاً، وإنما رسول الله ﷺ قَبِلَ من الجارية ظاهر خطاياها، ولم يوقفها ليحقق معها معنى (في) أتعني الظرف الداخلي؛ أم الخارجي؟ أي: هل هي بمعنى (داخل) أم بمعنى (على)؟! فهذا تحكُّم في النص، ثم إنما مرجع ذلك - في نهاية المطاف - إلى تحكم العقول في الاعتقاد، وهو باطل شرعاً وعقلاً، وإنما هي أسماؤه الحسنی وصفاته العلى، نؤمن بها كما وردت، نأخذها على حقيقتها، بما لا يعطلها، ولا يؤولها، ولا يشبهها، عقيدة فطرية بسيطة، بلا تحكُّم، ولا تعقيد، وما خاطب رسول الله ﷺ الجمهور، ولا أحداً من خواص الصحابة بمثل ذلك قط.

نعم، إن الفطرة المسلمة السليمة تتلقى لفظ (في) الوارد بالآية والحديثين

(١) رواه مسلم.

(٢) التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام: (٢٥ - ٢٩)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط. الثانية:

(١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

المذكورين؛ بمعنى (على)، ولكن على غير منهج جدلي؛ بل يكفي في ذلك أن يكون بمنهج تربوي، كما كان الشأن في زمن الصحابة والتابعين؛ لأن المنهج التربوي يعمر القلب معرفةً بالله تعالى، فيعظمه جل وعلا خشيةً وإجلالاً؛ وينزهه عن أن يحاط به سبحانه، بل هو تعالى بكل شيء محيط: ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [نعلت: ٥٤].

فليس كل شيء يتناوله البحث، ويصح في التحليل والاستدلال؛ يصلح ليكون مادة للدعوة والتربية، ومقصداً شرعياً يخاطب به عموم الناس. إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم على منهجهم؛ إنما كانوا على عقيدة سلفية موضوعاً؛ تربوية منهجاً، لا على عقيدة سلفية موضوعاً، جدلية منهجاً، وفرق بينهما كبير.

إن (العقيدة السلفية موضوعاً؛ التربية منهجاً) هي التي وردت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهي التي شُرِحت جيل الصحابة والتابعين، وسائر العلماء الربانيين، وهي التي أطاق الجمهور من المسلمين اعتقادها والعمل بها، وكانوا بها صالحين.

فلم تكن البعثة المحمدية إلا بسيطة وسهلة، وميسرة تيسيراً في الفهم والعمل، ولا نجاح لعمل دعوي يخرج عن هذا المنهج؛ ولذلك كان هذا مقلداً من معالم (بعثة التجديد)، فحاجة العالم اليوم إلى الدين شديدة، وعودة الناس إلى الله رغبة أكيدة، وهي كامنة في الوجدان الإنساني، تنتظر أهل البعثة ليكتشفوها، وينزلوا عليها كلمات الله طرية ندية، وأما التعقيد فلا يجعل ماءها إلا غوراً، فلا يستطيع المعنتون له طلباً.

المُعَلِّمُ الرَّابِعُ: السَّنَطِيمُ الْفِطْرِيُّ؛

وأحسب أن هذا المُعَلِّم هو من أُلِّفَ يحكم البعثة المحمدية، فقد كان رسول الله ﷺ منظرًا في عمله كله، لا ارتجال فيه ولا فوضى، ولا اضطراب ولا عبث، بل كل خطوة من خطواته ﷺ كانت بحسابها؛ إذ « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ » (١).

والقرآن نظام بديع، بل هو أبدع نظام؛ مبنى ومعنى، عقيدة وشريعة، لغة وجمالاً، وهو الذي فيه قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمْ وَفِي مَسْجِدِكَ ﴾ [نعمان: ١٩]. كما أن سيرة الرسول ﷺ نظام كلها، وحكمة جميعها، ومن هنا كان إنكار تنظيم الدعوة إلى الله، والعمل الإسلامي التجديدي؛ غباءً وجهلاً بالدين، وانحرافاً عن سنن الله في الكون وفي المجتمع، وهي الماثونة في الكتاب والسنة، أو ربما كان موقفاً سياسياً مريئاً؛ للتشويش على العمل الإسلامي، وإرباك عمله الدعوي، ليس إلا.

لكنَّ التنظيم ذا الطبيعة الميكانيكية، كما اعتمدته أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة؛ صار إلى ما ذكرناه من الحزبية الضيقة؛ إذ آل أمره إلى محاصرة الدعوة الإسلامية حصاراً دائماً، فصار كثير من الإسلاميين بذلك يعيشون في منفى اختياري، بين شعوبهم ومجتمعاتهم بسبب الغلو في بناء التنظيمات، والمبالغة في تسوير الجماعات، على طريقة المنظمات الغربية، كيف الحل إذن؟ إنه الوسط؛ الوسط دائماً حل لكل انحراف سببه الغلو؛ ولذلك جعلنا تسمية هذا المعلم بـ « التنظيم الفطري »؛ تمييزاً عن « التنظيم الحزبي » أو « الميكانيكي »، الذي أهلك الدعوة وحاصر المدعاة، وأجبرهم على الإقامة داخل أفكارهم وهياكلهم، بصورة آلت في نهاية المطاف إلى ما سميناه بـ « الاستصنام المنهجي » لتلك الأجسام^(١).

إن « التنظيم الفطري » هو النسق الديني الجميل الذي ينظم العبادات، والمعاملات، وسائر بني المجتمع في الإسلام، كما يتجلى ذلك مثلاً في صلاة الجمعة والجماعة، وهو الذي طبع مدارج الدعوة الإسلامية في السيرة النبوية خلال صيرورتها، وعبر كل مراحلها، فالتنظيم الفطري عمل ديني محض، غايةً ووسيلةً؛ إذ هو قائم أساساً على تجديد الدين في ذاته ولذاته، إنه إذن تنظيم الإسلام - من حيث هو دينٌ - للإنسان فرداً وجماعةً؛ ولذلك فهو يندمج بصورة تلقائية سلسة في نظام الصلوات، وفي نظام المجتمع الجماعات، وفي عُمران المساجد ومجالس القرآن. إنه التنظيم الذي يؤطر سائر العبادات في الإسلام أصولها وفروعها، ثم يسري بعد ذلك في خلية الأسرة بناءً وتجديداً، ليمتد إلى تجديد نظام النسيج الاجتماعي بأكمله؛ بإعادة إنتاج نُظُمِهِ المختصة ببناء العلاقات الاجتماعية العامة، على مولزين الدين.

فَهَيْكَائُهُ هي هيكلَةُ الشريعة نفسها، وإدارته هي نسيج العلماء والدعاة الحكماء، وسائر الفاعلين والمتفاعلين مع نُظُم الإسلام دينًا ودعوةً، كُلُّ بِحُلٍّ بالحل الذي أحلته فيه أحكام الشريعة بصورة تلقائية طبيعية، تمامًا كما يتخذ المسلمي - في الجماعة أو في الجماعة - مكانه من الصف، أو من المجلس بصورة طبيعية، ليجد نفسه في الحل الذي وجب أن يحل فيه.

ومن هنا فارق التنظيم الفطري التنظيم الحركي الميكانيكي، فالفطري دين بذاته؛ ولذلك لم تكن الدعوة إليه وبه إلا عبادةً لله رب العالمين، وأما الميكانيكي فالدعوة به مغامرة؛ إذ كثيرًا ما تنجرُّ بصورة تلقائية إلى الدعوة إليه، وهو ليس بدين في ذاته، بل هو عمل بشري محض، فتحصل المفارقة العجيبة؛ حيث يَنْتَضُ الفرع أصله، وتخون الوسيلةُ غايتها، بما يرسخه التنظيم الميكانيكي من وثنية خفية في أهله وأنصاره، فيصير حجابًا مانقًا من رؤية مقاصد التعبد في العمل الحركي؛ ومن ثم يكون الانحراف. وعليه؛ فالقيادة الشرعية للعمل الإسلامي - على خلاف السياسية المحضة - يفرزها علنًا وورعها، وتصنعها تجربتها، فتنتصب للناس هنا وهناك بلا حرص، وتؤمن المجتمع بصورة طبيعية تلقائية، بلا تحمل، ولا تشنج، ولا قتال، لا تفرض نفسها فرضًا، ولا تسعى إلى ذلك قصدًا، وإنما الناس هم الذين يطلبونها؛ لما فاض عنها من العلم والهدى، ولما انبعث عنها من أخلاق النبوة، وكذا لما تحقق فيها من برهان « الإرث النبوي »، (فالعلماء ورثة الأنبياء) كما سبق بيانه بأدلته ومقاصده.

هل وصل أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد إلى إمامة الناس بانتخابات حرة أو مقيدة؟ وقتلهم قيادات التابعين، ثم قبلهم أصحاب رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون؛ ألم يكن الوجدان الإسلامي مجسمًا عليهم قبل توليهم، وبعد توليهم؟ ألم يكونوا أئمة في عهد رسول الله ﷺ؟ أليسوا هم أهل شوره ﷺ وأهل الحل والعقد عنده؟

إن أئمة بعثة التجديد لا تصنعها الانتخابات الراجعة إلى أصوات الموم، ولا الديمقراطية التي قد تُغْلِبُ الغث على السمين، وتنصر الباطل على الحق؛ بمجرد كثرة الغث، وغلبة أهل الباطل عددًا، وذلك لعمري هو غاية الفساد، وإنما الحكم في

إمامة « بعثة التجديد »، أو « دعوة الإسلام » هو قاعدة المحدثين المشهورة: « إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم »^(١).

ركنان عظيمان في الشخصية الإسلامية القيادية، لا يجوز تخلفهما فممن انتصب للإمامة التجديد: « القوة والأمانة ». فهما أساس الولايات الشرعية في الدين. قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَبَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴾ [النقص: ٢٦]. وهو ما صار مرجع المحدثين في تقويم الشخصية الإسلامية بخاصيتي « الضبط والعدالة ».

ذلك إجماع السابقين، في التأمير والتقويم، ولا خير في بدع اللاحقين.

وعليه، فالتنظيم الفطري عمل دعوي يجمع بين التفافية وبين التوجيه، كما يجمع بين البساطة وبين العمق، وهو عمل تعدي بذاته، ومسلك إغاني بطبيعته؛ ولذلك فهو يقوم على ركنين أساسيين، الأول منهما: بشري، وهم حَمَلُ الدعوة من الفاعلين فيها والمتفاعلين معها. والثاني: معنوي، وهو الإطار الروحي التداولي للرسالات الدعوية. ويبان ذلك هو كما يلي:

الركن الأول:

مجموع الأئمة المنتصبين للبعثة، باصطلاح الشاطبي الآنف الذكر، كل منهم محور للعاملين والمتعلمين، يقومون فيهم مقام النبي ﷺ، كما حدده القرآن، بلا ابتداع ولا تضليل، ولا ترسيخ لوساطات الأشياخ والأقطاب والأبدال، وإنما هم الربانيون وُزَّاتُ النبوة، كما سبق وصفهم بأدلته، لتحديد علاقاتهم جميعًا في ذلك - علماء ومتعلمين - بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَضَّيْنَهُمْ وَوَعَّدَهُمُ الْكِتَابَ وَالْوَعْدَ هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ الْمُفْعُولَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ف «التعليم والتزكية» هما مناط «القوة والأمانة»، اللذين يقوم عليهما بناء الأمة الإسلامية في بعثة التجديد، تمامًا كما قام في البعثة الأولى. والمفهومي «التعليم والتزكية» تفصيل، يبينه في غير هذا المكان، فلا حاجة للتكرار (٢). فالعلماء الربانيون، أو الوُزَّاتُ المنتصبون، هم الركن الأول

(١) هذه القاعدة في علم الجرح والتعديل، رويت عن غير واحد منهم. فقد أخرجها مسلم بسنده عن محمد بن سيرين، بإسناد صحيحه: (باب بيان أن الإسناد من الذين)، كما أخرجها ابن عبد البر عن مالك بن أنس. التمهيد: (٤٧/١).

(٢) ن. بلاغ الرسالة القرآنية: (١٠١ - ١٠٥).

علم الميكانيك والنظام الحزبي الذي يمنع كل حركة لم تنتج عن حركته، ومثل هذا لا ينتج بعثة، ولا تجديدًا، وإنما قد يحفظ للأمة بعض المصالح إلى حين، كما قد يجر عليها من المفاسد ما يفوق تلك المصالح في بعض الظروف، أما أفكار البعثة التي تنظم العمل الدعوي بشكل تلقائي، فإنما هي منهج الاشتغال بالقرآن تداولًا كما بيناه.

إن « التَّذَاوُلِيَّةَ الْقُرْآنِيَّةَ » هي التي صنعت المجتمع الإسلامي الأول، على يد رسول الله ﷺ، وهي التي حضّرت جيل الهجرة، وخرجت رجاله « الأقوياء الأماناء » بمجالس القرآن، من دار الأرقم بن أبي الأرقم ومن بين شعاب مكة، وهي التي صنعت الدولة الإسلامية الأولى؛ انطلاقًا من مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة.

إن بثّ بصائر الآيات في المجتمع، عبر شبكة العلماء الربانيين، المنظمين بهندسة القرآن الدعوية؛ يكفيك ويغنيك عن تأمير الأمراء بصورة ميكانيكية، وانتخاب النقباء، وإنشاء الخلايا المعقدة، فالقرآن وحده نظام البعثة وتنظيمها؛ لكن لو كان له مهندسون مبصرون، فالتنظيم الحزبي له مصالحه وله مفاسده، والتنظيم الفطري يجلب تلك المصالح، ويدرك تلك المفاسد.

ولا يصلح للدعوة غير ذلك؛ إذ كان المقصود الاستجابة لداعي بعثة التجديد، فتدبر سيرة رسول الله ﷺ في بث الإسلام بين الناس، وفي تربيتهم على مبادئه، إنما كان يؤمّر « القُرّاء » وهم العلماء بالقرآن، ويرسلهم إلى الأمصار، ويختار من أصحابه أعلمهم وأحكمهم؛ للمهمات القيادية، والأمور الصعبة، وجاهد بذلك المنهج السهل البسيط، يكتشف الطاقات ويوهل القيادات، وينبسط بها رسالة القرآن؛ لتدور في تداولية شاملة، بصورة حلزونية مفتوحة أبدًا، تستوعب المجتمع شيئًا فشيئًا؛ حتى نزل قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ [النصر: ١-٢].

إن المراهنة على الهياكل التنظيمية، ذات التركيبة الحزبية الميكانيكية؛ لإقامة الدين بصورة كلية؛ لهي مغامرة خاسرة، حتى ولو وصلت إلى امتلاك السلطة؛ إذ لا يمكنها أن تحمل الناس على الدين حملًا، ولا أن تجعله حركة وجدانية في المجتمع، ولا هي

قادرة أن تستوعبهم دعويًا ولا تربويًا، فتتظيمها الحزبي هو بطبيعته نموذج تجزئتي، فلم يضعه الفكر البشري ليستوعب الجميع، بل ليستوعب فئة محدودة جدًا من الناس، ويبقى المجتمع بعيدًا عن هموم التنظيمات والأحزاب، وصراعاتها.

فدع بصائر القرآن العظيم، تصنع خريطةها الفطرية في المجتمع، كل المجتمع، وتبسط هندستها العمرانية بين شرائحه، كل شرائحه.

وإنما خلايا التنظيم الفطري هي « مجالس القرآن »، من الفرد إلى الأسرة، إلى المجموعات إلى المؤسسات، وإنما رأيه العام هو « التداول الاجتماعي » التربوي للآيات والسور، وإنما مقراته هي المساجد، وإنما قاداته هم العلماء العاملون، والحكماء الربانيون، المنتصبون للبيعة والتجديد.^(١)

والسر كل السر في القرآن! ذلك هو الحبل القوي، الرابط بين الناس، الصانع لنسيجهم الاجتماعي، بما يفوق قدرة الحركات والتنظيمات، وتدير حديث رسول الله ﷺ: « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »^(٢). ويفسره حديثه الآخر حينما خرج على بعض أصحابه بالمسجد، فقال عليه الصلاة والسلام: « أبشروا! أبشروا! ليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ » قالوا: بلى، قال: « فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا »^(٣).

أما أهل البيعة من العلماء الفاعلين، والربانيين المتفاعلين؛ فلا بد من اجتماعهم على كلمة سواء، في بناء المنهج وبعث المجالس، وبث نشاطها ومواجهة تحدياتها؛ بما يكفل تحقيق « بيعة التجديد »، ويصنع للأمة رجالها من داخل المجتمع. لا بد من تأليف الكلمة، وترتيب المسيرة؛ لتنتطلق البيعة عبر مدارجها، ومراحلها، وفقه

(١) ن. ذلك مفصلًا في: « مجالس القرآن ».

(٢) رواه الطبري عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا. وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٤٤٧٣). وقد روى الترمذي نحوه في جزء حديث له عن زيد بن أرقم مرفوعًا. وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٤٥٨).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وعبد بن حميد في المنتخب من أئمنند. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٧١٣).

أولوياتها؛ من المجالس إلى المدارس، ومن عمران الإنسان إلى عمران السلطان.
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ أَتَمَرُّ أَمْشَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].
ذلك ما يَسِّرُ اللَّهُ تَقْيِيدَهُ هَاهُنَا مِنْ هَذَا الْمُقَلِّمِ اللطيف. وقدِيمًا قالوا: هـ يكفي من
الفلافة ما أحاط بالعنقا! هـ كذلك، وإنما الموفق من وفقه الله.

المبحث الثاني

التجديد القطري وقضايا العمران البشري

ليس المقصود بالعمران في اصطلاح هذا الكتاب هو تخطيط البناء المادي وهندسته فحسب، كلا، وإنما المقصود به هندسة المذهبية الحضارية الكامنة في الإنسان، التي كان بمقتضاها كما كان.

العمران إذن: هو بناء الإنسان، بما هو عقيدة وثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما هو فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي.

وكما يكون فكر الإنسان وتصوره للحياة؛ تكون عمارته المادية؛ فالمادة في هذا تبع للفكر. وكما كانت بعثة محمد بن عبد الله ﷺ تقوم على نظام أولويات؛ فكذلك كل بعثة تجديدية يجب أن تقوم على ذلك النظام من الأولويات، بلا حرفة ولا ظاهرة، وإنما بمنهجية مقاصدية؛ حفاظاً على سر الإرث النبوي، وطلباً للصواب في المنهج، ورغبة في استجابة النتائج بإذن الله.

ودور الجيل الجديد اليوم هو تجديد ذلك العمران، بدءاً بتجديد الإنسان ككيان، حتى تجديد السلطان كمفهوم.

الإنسان هو أهم عناصر العمران، وأول مرتكزاته، فهو الذي يعطي للبناء معناه العمراني، وقصده الكامن فيه هو الذي يجعله مسجداً أو خمارة. قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَمَسَّ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٧٨]. الإنسان إذن؛ هو أساس العمران؛ ولذلك كان محل خطاب الرحمن بالقرآن.

و « العمران القرآني » له قضايا رئيسية في بناء النفس والمجتمع، إليها تستند هندسته، وعليها يقوم بناؤه، فهي التي كانت تمثل اللبنة الكبرى في بناء البعثة المحمدية وعمارتها، عليها كانت تدور أولوياتها، التي نحسب أنها ثابتة لا تتغير بمصر ولا تبدل بعصر. وهي: التوحيد بما هو إخلاص، والعبادة بما هي شعائر، والمجتمع بما هو علاقات ومؤسسات، ثم علم الدين بما هو إطار للتجديد والاستمرار. وغاية ذلك كله هو إقامة العمران الوجداني والمادي؛ لعبادة الله الواحد القهار. وبيان تلك القضايا - على الإجمال - هو كما يلي:

القضية الأولى: التوحيد:

وذلك بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح، تعليمًا وتركيبًا، كما قررها القرآن، وكما كانت في الصدر الأول من الإسلام، عند الصحابة والتابعين، لكن ليس بالمنهج الجدلي الكلامي، الذي آلت إليه عند المتأخرين الجدليين، كلا فذلك هو أيضًا ابتداء في المنهج. وإنما بالمنهج القرآني التربوي، الذي يقوم على التعرف على الله والتعريف به؛ تربيةً وتركيبًا؛ لتحصيل الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة؛ عبادةً لله الواحد القهار، وذلك من خلال استغلال المقاصد التعبدية، والأهداف التربوية للأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس بالجمود على استظهار الحدود والتعريفات لمفاهيم الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، على وزن فصول المناطقة ورسومهم، فذلك منهج عقيم لم يزد الأمة إلا خيالًا، وإنما باستثمار ذلك عقيدةً تربوية، تملأ القلب علمًا وورعًا، وتنتج خُلُقًا قرآنيًا في النفس وفي المجتمع^(١). والبناء القرآني للتوحيد هو الكفيل بتكوين الشخصية المسلمة، الجامعة لصفتي (القوة والأمانة)، اللتين بهما يكون الإنسان المسلم - كما سبق بيانه - فاعلاً في التاريخ أو لا يكون؛ إذ إن (التوحيد) من حيث هو منهج القرآن في التعرف إلى الله والتعريف به، الذي هو جوهر المنهج السلفي الأصل، يُخَرِّج من العامة: أجيال الربانيين، ومن القادة: الفقهاء العاملين. واجتماع العامة والخاصة على هذه (الثنائية التربوية) العظيمة؛ هو خير ما يقوم عليه النسيج الإسلامي السليم، ومن لم يراع ذلك كان عمله مخرومًا من إحدى الجهتين. وغراس - « التوحيد » - بالمفهوم الذي وصفنا من التخلق بأخلاق القرآن - هو

الكفيل بالجمع بينهما في التربية القرآنية. ولنا هاهنا كلمة ذهبية جمعت بينهما، رويت بأسانيد صحيحة عن عدد من الصحابة، منهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، في أثر صحيح مليح، قال ﷺ: « المتفون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة »^(١).

القضية الثانية: العبادة:

وأهم رموزها فريضة الصلاة: فالصلاة هي عماد الدين، وهي العهد الذي بين الرسول وبين المسلمين، لكن تجديد الصلاة إنما معناه بعث مضمونها في الأمة وإحياء دورها العظيم الواصل بالله، الناهي عن الفحشاء والمنكر، والحافظ لحدود الله، وإحياء عمارتها ومركزيتها، من المساجد والجوامع، وإظهار ما تبثه من مقاصد في المجتمع. ومهم جدًا أن تعلم أن أول عمل في الإسلام - بعد الإيمان - أمر به رسول الله ﷺ هو الصلاة، وأول عمارة بناها النبي ﷺ في الإسلام هي المسجد، فتدبر هذا ثم أبصر، واقرأ مقاصد الحديث العجيب؛ إذ قال ﷺ: « أتاني جبريل في أول ما أوحى إلي، فعلمني الوضوء والصلاة »^(٢).

الصلاة مفتاح صلاح المجتمع، وأول أعمال التجديد فيه، وبقدر إقبال الناس عليها يكون تقويم مراحل البعثة، ومعرفة ما قطعته من أشواط. نعم الصلاة من حيث هي عبادة، لا من حيث هي عادة، يمارسها المسلم كما يمارس عادة شرب القهوة، أو قراءة جريدة الصباح والمساء، بل الصلاة بما هي رباط وجداني وحركة فردية وجماعية تصل الناس بالله عقيدة وشريعة، وتصنع عمارتهم الإيمانية في طريق بعثة التجديد^(٣). ولك أن تدبر حديث رسول الله ﷺ: « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط »^(٤). وحديثه ﷺ الذي جعل

(١) رواه الطبراني في الكبير. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله موثقون. كما رواه ابن النجار عن أنس ﷺ بلفظ: (العلماء) بدل (الفقهاء). وقال العجلوني في كشف الحقائق: رجاله ثقات. كما روى نحوه الديلمي عن علي كرم الله وجهه.

(٢) رواه أحمد والدارقطني، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٧٦).

(٣) ن. قنديل الصلاة للمؤلف، وبلاغ الرسالة القرآنية: (٧٠ - ٨٠).

(٤) رواه مسلم.

الإسلام بيتاً (وعموده الصلاة) ^(١). فمن هاهنا البدايات والمنطلقات؛ لعمران الوجدان وبناء الإنسان. لمن يدرك حقاً: كيف تصميم هندسة القرآن، وكيف تقوم أركان بعثة التجديد في المجتمع.

القضية الثالثة: المجتمع:

ونواته الأولى إنما هي « الأسرة » بالمفهوم الإسلامي: فالأسرة مفتاح فريد لكل تجديد، الأسرة هي أساس المجتمع، والخلية الأولى من نسجه الكبير، بتماسكها يتماسك المجتمع كله، وبتمزقها يتمزق كله، ثم يبقاها سليمة معافاة يشلّم التدن ويستمر، ويفسدها أو خرابها يفسد ويخرب، ألم تر أن الله ﷻ قد أعطى للأسرة أولوية الأولويات في التشريع القرآني؟ بينما أحال كثيراً من بيان تفاصيل التشريعات الأخرى - بما في ذلك أركان الإسلام وفرائض الكبرى - على بيان السنة، أو استنباط الاجتهاد، وإنما اكتفى في القرآن بتشريع مبادئها وأصولها، بينما تولى - جل وعلا - بنفسه سبحانه تفصيل قضايا الأسرة في القرآن العظيم، وبين فيه أحكامها الكلية والجزئية؛ إلى درجة من التفصيل لم تكد تبقي للسنة من ذلك إلا قليلاً، ولم تكد تبقي للاجتهاد بعدهما شيئاً.

إن هذا الصنيع الرباني في حد ذاته خطاب منهجي؛ لمن فكر في تجديد العمران. ولقد شهد التاريخ أن الدين في بعض البلاد الإسلامية، التي ابتليت بسيطرة الإلحاد على المستوى الرسمي للدولة؛ لم تحفظه لا هيئة كبار العلماء، ولا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ولا الجمعيات والجماعات الإسلامية، القديمة والحديثة. وإنما حفظه الله بالأسرة، هذه الخلية الدعوية العجيبة، التي بقيت على فطرتها الدينية، وأساسها الإسلامي، كما كان الشأن في الجمهوريات الإسلامية، التي بقيت ردياً من الزمن ليس باليسير، تحت الحصار الحديدي لدولة الإلحاد الكبرى: (الاتحاد السوفياتي) البائد، وكذا صنوه (الاتحاد اليوغوسلافي) . لقد انبعثت الحياة الإسلامية في تلك الجمهوريات من جديد، في غياب المؤسسات الدينية المتنوعة، وغياب كل أشكال التدن السني والبدعي سواء! ولم يبق لديهم من الإسلام إلا نظام حياتهم

(١) جزء حديث، أخرجه أحمد، والترمذي، والحاكم، وابن ماجه، والبيهقي، والطبراني، عن معاذ مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

الخاص بالأسرة، وثقافتها الدينية المتوارثة، وكان ذلك وحده كفيلاً بحفظ جمرة الإسلام متوقدة عدة أجيال تحت رماد الكفر والإلحاد؛ لذلك كان التشريع القرآني يحصن أحكام الزواج والطلاق والموارث، وما تفرع عنها جميعاً؛ بترسانة عظيمة من الحدود، جعلها الله من حماه ومن محارمه. وإنما تقوم بعثة التجديد بإعادة بناء كل المفاهيم الإسلامية، المتعلقة بالأسرة في النفس وفي المجتمع، وإغفال تجديد هذه المعاني في الأمة لن ينتج عنه بعثة شاملة كاملة.

وللأسرة في الإسلام قيمتان أساسيتان، لابد من الانتباه إليهما عند التجديد:

الأولى: قيمة العرض:

وذلك على ما قرره علماء المقاصد في أصول الضروريات الخمس. وإنما العرض قيمة خلقية، ترجع إلى أخلاق إسلامية كثيرة، من أهمها: الحياء والغيرة؛ فأما الحياء ففيه من النصوص ما يكفي؛ لجعله كلية من كليات الأخلاق في الإسلام. ومن أجمع ما ورد في هذا حديث النبي ﷺ: «إن الحياء والإيمان قرناً جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»^(١). ومثله قوله عليه الصلاة والسلام: «إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء»^(٢). وأما الغيرة فيكفي فيها حديثه ﷺ أيضاً: «إن الله تعالى يغازي وإن المؤمن يغار. وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه»^(٣). وشرع لحفظ ذلك عددًا من التشريعات، مما يتعلق بأركان الزواج وعقوده وأدابه، وكذا بعض الحدود الراجعة إلى صونه من كل لؤب، كحد الزنى وحد القذف، والعبرة الآن ليست طبقاً بالحدود، وإنما بالمعنى الذي من أجله شرعت تلك الحدود، وذلك هو مجال العمل الدعوي.

الثانية: قيمة الرِّجَم: بمعنى الاصطلاح الشرعي. و«الرِّجَم» مفهوم كلي في الدين، يقوم عليه عدد كبير من الأحكام الشرعية، التي تنظم الحياة الزوجية بما يتضمن استمرار هويتها الإسلامية، وانتسابها الديني في ذريتها إلى يوم القيامة. فالرجم ليست

(١) رواه الحاكم، والبيهقي عن ابن عمر. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (١٦٠٣) في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن ماجه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه.

هي ذلك الغشاء البطني الداخلي الذي يحتضن الجنين في بطن أمه فحسب، ذلك معنى لغوي صرف، وإنما المقصود بالرحم في السياق التشريعي هو: مجموع العلاقات الشرعية التعبدية، التي تنشأ عن الزواج الشرعي، وعما يترتب عنه من نسل؛ وهي علاقات الأبوة، والأمومة، والبثوة، والجُدودة، والعمومة، والحُولة... إلخ. وهذه علاقات تعبدية، بمعنى أنها راجعة إلى اعتبار الشرع لها بالدرجة الأولى، لا إلى مجرد الاعتبارات الطبيعية والبيولوجية، فأنت ترى أن ابن الزنى هو ابن بيولوجي حقيقي، لكنه مع ذلك لا يلحق بوالده شرعاً، وإنما يلحق بأمه ضرورة، فتبين أن العلاقات الرحمية إنما تعتبر باعتبار الشرع، وهذا هو المعنى التعبدية لمفهوم الرحم. ومن هنا كانت شعيرة من شعائر الإسلام، يُعبد الله بها إنتاجاً شرعياً أولاً، ثم يزا وتوقيراً، ثم خدمةً وصلَةً؛ لأن في تأسيسها وإنتاجها تأسيساً للدين، وإنتاجاً لمفاهيمه في النفس وفي المجتمع، وفي صلها صلةً لآصرته الإيمانية في الأجيال.

ومن هنا فقد قرنها الحق سبحانه وتعالى بأصل التوحيد، الذي هو أصل الأصول في الإسلام؛ لما لها من أثر بالغ في حفظ الدين واستمراره في المجتمع. وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهِمَا رِيبًا كَثِيرًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْعَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. فتقوى الرحم راجعة إلى حفظ حقوقها الشرعية، وصيانة أحكامها التكليفية المنوطة بها تعبدًا لله رب العالمين، فهي إذن شعيرة يعبد الله بها أصالةً. باستمرارها يستمر الدين وبانقطاعها ينقطع؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةٌ بِمَا كُنْتُمْ فِي بَيْتِهِ عَالِمِينَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤]. وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «أنا خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ومن بئها بنته»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم

(١) أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، كلهم عن عبد الرحمن ابن عوف، كما أخرجه الحاكم عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

يقول: ﴿ فِطَرْتُ اللَّهَ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَرِّ الْقَوِيُّ ﴾ [الروم: ٣٠] (١).

وأحسب أن قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ الْوَحْيَ مِنَ أَنْفُسِكُمْ وَأَرْسَلَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَوْفَى بِوَعْدِهِمْ أُولَئِكَ يَنْفَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأُمُورِ وَالْمُهَيَّجِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَيْكُمْ أُولَئِكَ مَعْرُوفًا كَانَتْ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ تَسْمُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦]، يتجاوز في مقاصده القرآنية الكبرى قصد تشريع أحكام الموارث، إلى مقاصد الأولويات المعنوية التربوية والروحية، التي تقضي بإدماج النسب - من أهل الرحم الواحد - بعضه في بعض، وحرص علاقاته التعبدية بعضها فوق بعض؛ تمتيناً لحصن الأسرة الديني، وحفظاً لسياجها الروحي العظيم.

وعليه فإن استمرار « الأسرة » بمفهومها الإسلامي؛ هو الذي يضمن بقاء ثقافة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » على المستوى الشعبي، ذلك أن التحصينات الأسرية تربى ذوق الجليل؛ بما ينكر كل ما يخالف « معروفه »، ويتنصر لكل ما وافقه. وبذلك كله تبين لماذا جعلناها أساساً من أسس العمل الدعوي في بعثة التجديد. خاصة في هذا العصر الذي صارت مفاهيمها الشرعية عرضة للاجتناث والتدمير، سواء على المستوى التشريعي القانوني، أو على المستوى الأخلاقي التربوي.

القضية الرابعة: علم الدين:

من المعلوم أن « ترجمة » الإمام البخاري، مشهورة جداً في كتاب العلم من صحيحه؛ لباب: (العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] . فبدأ بالعلم) (٢). والعلم باعتباره قضية من قضايا « بعثة التجديد » ركن من أعظم أركان البعث والإحياء؛ غايةً ووسيلةً، فبالعلم كانت هذه الأمة، وبه تكون مرة أخرى بحول الله.

والطريق الفعلي لذلك يكون بناء أمرين اثنين في العلم، هما: التأهيل والتأصيل:

فالتأهيل: راجع إلى مشروع تكوين نخبة من الشباب في العلوم الشرعية، ممن ظهرت فيهم مخايل العبقرية في طلب العلم؛ حتى يتحققوا بمفهوم العالمية بكل

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم.

(١) متفق عليه.

معانيها التخصصية والتربوية، ويكونوا بالفعل أهلاً للاتصاف بلقب « عالم » عن جدارة واستحقاق، على مستوى الملكة الفقهية، والربانية الإيمانية، والقيادة التربوية الاجتماعية، وهي أركان العالمية الثلاثة، كما يبناء مفصلاً بأدلة في رسالة « مفهوم العالمية ».

وأما التأصيل: فهو راجع إلى مشروع تحقيق قضايا العلوم الشرعية عامة، وخاصة الأحكام الفقهية منها، وربطها بأدلتها، وبناء مناهج استدلالها، ومقارنة مذاهبها، وتوجيه خلافها العالي والنازل، والقصد من ذلك كله إنما هو إحياء الثقافة الفقهية الأصيلة، وتجديد الملكة الاجتهادية في الأمة، وإعادة بث أدب الخلاف؛ بما يجعل الأمة تستعيد قدرتها على احتضان الآراء المتعددة في العلم، ما دامت تستجيب للأدلة الشرعية المعتمدة، من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما انبنى عليهما من أصول الاستدلال وقواعده.

ذلك أن غياب الثقافة الفقهية تجديداً واجتهاداً، قد أدى بالأمة في كثير من الأحيان إلى الجسود على الظواهر من النصوص، أو إلى التجرد من الأدلة كلية، وكلا الأمرين خروج عن حد الاعتدال في العلم، وكلاهما أيضاً مؤدًى إلى الجمود والتقليد. وقد تبين باستقراء النصوص الشرعية، وملاحظة تجارب التاريخ الإصلاحي للمجتمع الإسلامي القديم: أنه لا تجديد لحال الأمة إلا بتجديد فقهها، ولا تجديد للفقه إلا بتجديد مناهجه. وهو مقصودنا بالتأصيل^(١).

في تجديد المناهج العلمية:

نحن في حاجة إلى تجديد قضايا العلم، نعم؛ ولكننا في حاجة أشد إلى تجديد مناهجه. وإنما قضاياها تَبَغُّ لمناهجه، فإذا تجددت هذه؛ تجددت تلك بالضرورة، والعكس ليس بصحيح.

وتجديد المناهج هو الكفيل بتأطير بعثة التجديد، وإسنادها على المستوى العلمي، الذي هو الوعاء الجامع لحركتها تأصيلاً وتوجيهاً، ومناطق التجديد المنهجية يكون بإحياء الصناعة الفقهية المقاصدية، بضوابطها الشرعية؛ بعثاً وتجديداً.

(١) لزيادة التفصيل يمكن مراجعة كتبنا الذي وضعناه لهذا الغرض: « مفهوم العالمية ».

إن مشكلة العلم والعلماء اليوم إنما ترجع إلى ضмор هذه الصناعة وندرتها.
والمقصود بـ (الفقه) هنا: المعنى المصدري للفظ، لا الاسمي، أي الفقه من حيث هو حركة عقلية، ونشاط ذهني بالمقصد الأول، ينتجها العقل المسلم. فالفقه عن الله ورسوله إنما يقع بعقل العالم الرباني الحكيم - والعقل مناط الفهم والتكليف - بما كان عبداً لله خاضعاً لسلطانه، فذلك الفقه هو المقصود في حديث النبي ﷺ: « نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فزب حامل فقه غير فقيه، وزب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » (١) إلخ.

والفقه المقاصدي كان أهم ملامح بعثة التجديد في القرون الهجرية الأولى، مع الإمام الزهري، وربيعة، وأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد وغيرهم.

- نحن اليوم في حاجة - على مستوى تجديد الفقه - إلى ثلاثة أعمال منهجية:
- الأول: بعث الثقافة الفقهية التراثية؛ فهما وتداولاً: ومن الحكيم المأثورة عن بعض العلماء قولهم: « أول التجديد قتل الماضي بحثاً! »، وإنما المقصود ببعث الثقافة الفقهية: بعث المفاهيم والمصطلحات الضرورية في العلم، وتجديد تداولها؛ ذلك أن دروس معاني المصطلحات الفقهية وضياهاها، هو مما يسبب غاية الاختلال في الفهم، والانحراف في التطبيق؛ مما قد ينتج غلواً في الدين، وخروجاً عن مقاصده الشرعية؛ فتنزل أحكامه على غير منازلها؛ ذلك أن بعض أعلام الدعوة اليوم مثلاً؛ لا يعرفون من نصوص القرآن والحديث إلا حكمين شرعيين اثنين: الوجوب والتحريم؛ فكلما ورد الأمر عندهم حملوه على أصله من الوجوب، وكذا يحملون النهي مطلقاً على أصله من التحريم؛ ليس لأنهم يجهلون القاعدة المدرسية المشهورة: (الأصل في الأمر الوجوب؛ إلا أن تصرفه قرينة إلى الندب أو الإباحة، والأصل في النهي التحريم؛ إلا أن تصرفه قرينة إلى الكراهة). كلا، فهو يحفظها، لكنه لا يفقه تنزيلها، فهو بكل بساطة (حامل لدليل الفقه) وليس (بفقيه)، وبينهما فرق كبير. وهو ما عبر عنه

(١) رواه أحمد، وابن ماجه عن أنس مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: (٦٧٦٥). كما رواه الترمذي، والضعاء عن زيد بن ثابت مرفوعاً، بسند صحيح. كما في صحيح الجامع، رقم: (٦٧٦٣).

الحديث النبوي السابق ذكره « قرب حامل فقه ليس بفقيه ». إذ لا يعرف مثلاً كيف يراعي عناصر السياق الثلاثة: من القرائن، والسوابق، واللواحق؛ ولا كيف يراعي قواعد الدلالة ويوظفها، ولا ما يُفَعِّلُ من مناهج الاستدلال وما يُهَيِّلُ، حسب طبيعة الحكم الشرعي ومجاله، من العبادات أو العادات، فحملوا الناس على العنت؛ جهلاً بصناعة الفقه، ومالوا عن الوسط والاعتدال، وخرجوا عن حد الإجماع، الذي جعل الأحكام التكليفية موزعة على الخمسة المعروفة: الوجوب والنذوب والإباحة والكراهة والتحریم. لقد كانت هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة، بل كانت ثقافة شعبية يوم كان (الفقه) إمام الأمة، ومنهج تلقيها عن الله ورسوله ﷺ .

إن الفقه صناعة! لا بد من إحيائها بالبحث في مناهجها؛ حتى تصبح في متناول (التداول الثقافي) للأمة.

ويمثل المصطلح الفقهي عنصراً من أهم عناصر الإحياء الثقافي، وفناة من أخطر قنوات التداول المفهومي، لمنهج التفكير الفقهي؛ ولذا فهو يعتبر من أهم أولويات البحث العلمي، لمن رام القبض على العلم من صلبه، لا من مُلْجِه وحواشيه، وللأسف فإن غالب البحوث العلمية اليوم في الدراسات الأكاديمية؛ تعاني من الهزال الشديد في المنهج؛ ذلك أنها تعاني أزمة في الإستراتيجية العلمية، وأزمة في الشروط المنهجية.

أما الأزمة الإستراتيجية فهي تتمثل في غياب القصد العمراني في البحث، الذي يراعي حاجات الأمة الكبرى في بناء التفكير المنهجي، وتوفير مادة علمية صالحة لبناء المستقبل العلمي في المجال الشرعي، وذلك لما طغى على أغلب تلك البحوث من الارتجال، ونفسية ردود الأفعال، فكلما ألقى الإعلام على الأمة شيئاً من القضايا، أو كلما أثار (الآخرون) شيئاً من الشبهات؛ رأيت البحوث على عرض العالم الإسلامي، وملء جامعاته، ومعهده؛ تنصب على موضوع الشبهة بالبحث لبضع سنين، بينما كان يكفي ذلك أن يصدر فيه (تأليف) فقط، أو حتى عدة (تأليف) (لا بحث)، وفرق عندي بين مفهوم (البحث) ومفهوم (التأليف)؛ فالتأليف: جمع لما هو موجود من العلم، وتصنيف له، ثم عرض له بمنهج إنشائي، فالمؤلف

يجمع الأفكار أو يعيد إنتاجها، ثم يعرضها عرضًا حسنًا في كتاب. أما (البحث) : فهو كشف عن مجهول^(١)، إنه تجديد في بناء العلم، أو زيادة - مهما قلت - في صرحه وعمرائه. وما أدق كلمة لأبي بكر بن العربي المعافري رحمته في هذا قال: « ولا ينبغي لحصيف أن يتصدى إلى تصنيف؛ أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى، أو يتدع وصفًا ومتنًا (...) وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق، والتحلي بحلية السرقة »^(٢).

إن الأمة اليوم في حاجة إلى البحث في التراث الفقهي، أصوله وفروعه؛ تحقيقًا وتخريجيًا وتجديديًا؛ بما يضمن تطوير مناهجه وبث ثقافته، كما أنها في حاجة استعجالية؛ لوقف النزيف الحاصل اليوم في الجامعات العربية والإسلامية، حيث تهدر الأموال، والطاقات، والأعمار، في إصدار وفرة من التأليف باسم البحث العلمي^(٣). إنه لا بد من بناء (إستراتيجية البحث العلمي) لدراسة الجدوى من كل عمل؛ قصد تحقيق بعثة التجديد في الجامعة؛ بما يغطي حاجات الأمة المستقبلية، في فقه الدين والدنيا، ومن أجل ذلك لا بد من إنجاز العنصر الثاني، من الأعمال المنهجية الثلاثة، للتجديد الفقهي، وهو:

- الثاني: تجديد أصول الفقه بعمقه المقاصدي: وليس معنى ذلك عندي إلغاء العمل بالقياس، ومسالك التعليل، على ما يراه بعض الفضلاء^(٤)، كلا، فلا تزال المنهجية الأصولية في أغلب قواعدها صالحة للإعمال والاستعمال، في إنتاج التفكير الفقهي الجديد وضبطه، وإنما هي في حاجة إلى كشف رصيدها العلمي الضخم

(١) ن. أبجديات البحث في العلوم الشرعية: (٢٤).

(٢) عارضة الأحوذني شرح سنن الترمذي: (٤ / ١).

(٣) وبالمناسبة فقد رأيت عدة (بحوث) أنجزت في موضوع المرأة في السنوات الأخيرة، أو سجلت لئيل بعض الشهادات، وبالاستقراء كانت القضايا المدروسة في أغلب هذه البحوث هي هي والمنهجية المتبعة هي هي، والنتائج المتوصل إليها هي هي، لماذا؟ السبب بسيط: هو أن موضوع المرأة في الإسلام قد قتل بحق من لدن الدارسين، وما بقي فيه مجال إلا (للتأليف) بالاصطلاح المذكور، وما كان ينبغي أن نكون كلما ألقى شيطان الغرب؛ في روع عملائه ومقاوليه شبهة؛ أن نهب بكل طاقاتنا لإصدار البحوث، وإنجاز الأطروحات.

(٤) تجديد أصول الفقه للدكتور حسن الترابي.

أولاً، ثم تطوير قواعدها الإجرائية؛ بما يضمن استيعاب قضايا العصر الحديث، بشكل مناسب لمقاصد الشريعة ثانياً.

فهو إذن؛ في حاجة إلى (تكميل) أكثر مما هي في حاجة إلى (تغيير) . هذه حقيقة يعرفها من خبر مناهج الاستنباط الفقهي في مصادرها الأصيلة، وذلك على الأقل في هذه المرحلة من تاريخ الأمة العلمي. قلت: هذا لمن كان يعرف طبيعة المادة الأصولية والمقاصدية حق المعرفة، من خبراء الميدان. فالدرس الأصولي غني جداً بالتنوع المنهجي، وبالتعدد الإمكاناني لمسالك البحث والاستنباط، بما يكفل تغطية أغلب الحاجات العلمية للأمة، في العصر الحديث.

والقياس المعاري - ولا أقول (الضيق) - وُضِعَ لأسباب حضارية، وحاجات علمية، ما تزال قائمة إلى اليوم، ووضعت له منافذ للتوسعة، تبرز حيث تنتصب حاجتها علمياً، من مثل القواعد المالية؛ كقواعد الاستحسان، وسد الذرائع وفتحها، وقاعدة مراعاة الخلاف، وقاعدة اطراد المصالح الكلية ... إلخ^(١).

إن الحاجة اليوم هي في تحديد الضوابط الأصولية، والقواعد المقاصدية، فيما يتعلق بفقه الأولويات والموازنات، وكذا قواعد ترتيب الحاجج والاستدلال، فأصول هذه الأمور تكاد تنعدم، فالخبراء يستنبطون مفاهيمها لأنفسهم، ويبقى غيرهم من أهل العلم تائهين في فتنه تعارض الظواهر ومقتضيات الدلالات، فتدخل الأمة بذلك في فتنه ردود الأفعال، من مثل ما يحصل اليوم من افتراق مفتون، ينشق بين قوم لا يشتغلون بالسنة؛ مكتفين فقط بالقرآن، وبين قوم آخرين لا يشتغلون بالقرآن مكتفين فقط بالسنة، وبين قوم آخرين لا يقبلون اجتهاداً في الدلالة، ولا في مقاصد الشريعة؛ ولا نظراً في تحقيق المناط بين عموم وخصوص، وقوم غيرهم تسيبوا في تفسير الخطاب الشرعي؛ بما يخالف الأصول الكلية، والثواب الشرعية. كل ذلك ردود أفعال لا شعورية؛ بسبب غياب العدل في العلم، والقصد في المنهج.

إننا في حاجة إلى تكميل أصول الفقه بقواعد تضمن بناء مراتب التشريع، ليس بمعنى الترتيب التقليدي للأصول: الكتاب، فالسنة، فالإجماع، فالقياس. كلا فهذا

ترتيب مدرسي، لا إشكال فيه ولا خلاف، وإنما القصد منه بيان قوة الحجة الكلية للدليل. وأما قواعد الترتيب التشريعي المطلوب تجديدها؛ فهي المتعلقة بترتيب التفكير الفقهي، الضابطة لمراحله الذهنية، بدءاً بمرحلة الفهم للنص: كيف يتم؟ ثم مرحلة الاستنباط منه: كيف تقع؟ ثم مرحلة التحقيق للمناط: كيف تنزل أحوالها ومآلاتها بين العموم والخصوص؟ وما يعترى كل ذلك من تقديم وتأخير، أو استثناء وتخصيص، للأدلة بعضها على بعض، وبعضها من بعض، إلى غير ذلك من سائر الأحوال، والممكنات الاستدلالية في الدرس الأصولي والمقاصدي.

ثم أيضاً القواعد المقعدة لقوة التحقيق والتطبيق على الواقع الإنساني، وميزان أولوياتها على وزن قوة الحكم الشرعي، وإنما يكتسب قوته بمصدره ومآله، فليس ما شرع في القرآن - من حيث القوة التشريعية - على وزن ما اشتغلت السنة بشريعه، ولا ما شرع في السنة على وزن ما اشتغل الاجتهاد بشريعه، وليس ما أجمل في الكتاب كما فصل فيه. هذا ترتيب لا تكاد تجد له في أصول الفقه قواعد مفصلة إلا قليلاً، رغم أنه جارٍ في الاعتبار الفقهي لدى أغلب علماء الأمصار والمجتهدين الكبار.

وعدم اعتبار هذه المعاني الكلية، والترتيبات الاستدلالية، مما سبق ذكره إجمالاً؛ يؤدي إلى أحد غلوتين: غلو في اعتبار القرآن بلا سنة، أو السنة بلا قرآن، أو غلو في اعتبار النصوص مطلقاً بلا فقه، ولا منهج معلوم، وإنما هي الفوضى في المنهج وفي التفكير.

كما أننا في حاجة - بعد ذلك - إلى تكميل قواعد تحقيق المناط بمعناه العام والخاص^(١)، وتطوير ذلك من مجال النفس إلى مجال المجتمع؛ ذلك أن كثيراً من التضارب بين العلماء والدعاة اليوم، في الفتاوى وفي رسم التوجهات الفقهية؛ يرجع في غالبه إلى غياب ما يمكن تسميته بفقه (تحقيق المناط الاجتماعي). وهو صناعة أصولية درج بعضهم على تسميتها اليوم: (بفقه التنزيل). وهذا لا يزال في حاجة إلى تأصيل وتقعيد، وما صنف من هذا في التراث القديم هو فعلاً في حاجة إلى

(١) المرافقات: (٩٨/٤).

(تجديد) بعض نماذج، خاصة في مجال المعاملات والعادات؛ إذ فقه تحقيق المناط في مثل هذه الأمور مرتبط بطبيعة الزمان وأهله، يتغير بتغيرها، وقد تغير فعلاً منه الكثير الكثير، فلا بد من تجديد ذلك، على شروط العلم، وقواعد المنهج الأصولي. وأما تجديد مقاصد الشريعة من أصول الفقه؛ فهو - أولاً - بالصياغة المنهجية؛ لما يوجد منها متثورًا في كتب الفقه وأصوله. ومعلوم أن من فعل ذلك من العلماء الأقدمين والمحدثين في الأمة قليل، فلا يذكر منهم غير الشاطبي في الأقدمين وشرّاحه من المحدثين؛ كالشيخ الشنقيطي والإمام الطاهر ابن عاشور. فالفاهيم المقاصدية لا تزال ماثرة في كتب الأقدمين ليس فقط في الكتب المشتهرة بذلك كقواعد الأحكام للعلّاب ابن عبد السلام، كلا، وإنما في كتب الفقه مطلقاً وفي كل كتب الأصول، بل في كتب التفسير أيضًا وفقه الحديث، تحتاج إلى كشف أولاً، ثم إلى صياغة علمية منهجية على وزان القواعد والأصول.

ويضاف إلى ذلك - ثانيًا - ما دعت إليه الحاجة المعاصرة؛ من تعيد القواعد، مما يُقصدُ الشارع تقصيّدًا شرعيًا، في تفسير النصوص الكلية؛ لاستيعاب المفاهيم الجديدة للمصالح والمفاسد والحقوق، بما ينضبط إلى أحكام الشريعة.

والتفكير المقاصدي ضرورة من ضرورات البعثة، وأصل من أصول التجديد. فغيره تبيّن الأمة بين الظواهر، بما قد يرفع شوكة الفكر الخارجي من جديد، أو يدخلها - بالضد - في متاهات التحليل الباطني، ويبقى الوسط بعيدًا عن لسان الميزان، وشيء من هذا وذاك - مع الأسف - هو حاصل! ولله عاقبة الأمور.

- الثالث: تجديد « أصول الفقه السياسي »: إن هذا الاصطلاح دالٌّ على مفهوم هو في الحقيقة من مفاهيم علم أصول الفقه بمعناه العام، لكننا أفردناه بالذكر هاهنا؛ لجهل بعض الناس به؛ بل لإنكارهم إياه مطلقًا! ثم لما له من خطورة في بعثة التجديد. خاصة في زماننا هذا.

إن « أصول الفقه السياسي » أمر لازم بالضرورة عن فقه تحقيق المناط في أصول الفقه، وأمر لازم بالضرورة أيضًا عن فقه « اعتبار المال » في مقاصد الشريعة، كما

قرره الإمام الشاطبي^(١). ثم هو - قبل هذا وذاك - ضرورة من ضرورات الاجتهاد المعاصر، لا يكون العالم اليوم مجتهدًا بحق؛ إلا بتحصيل درجة الاجتهاد فيه.

- لكن لا بد من بيان أمر:

لقد قررنا في كتابنا «البيان الدعوي»، تأخر الرتبة التشريعية للأحكام السياسية في الإسلام؛ بما يعني عدم مفتاحية الشأن السياسي دعويًا^(٢). فذلك أمر آخر تمامًا، مختلف عما نحن فيه. إن ذلك يتعلق ببناء «البرنامج السياسي» في المجال الدعوي. ونحن نفرق بين «البرنامج السياسي» و«أصول الفقه السياسي».

فالأول: فقه جزئي تطبيقي، والثاني: كلييات وقواعد.

- بمعنى أن «البرنامج السياسي» ما هو إلا عنصر جزئي من عناصر «أصول الفقه السياسي»، كنسبة فقه الميراث مثلاً إلى مجموع الفقه، بل إلى كل أصوله؛ ولذلك رأينا أن «البرنامج السياسي» - بما هو علم جزئي - ليس هو المفتاح الأساس لبعثة التجديد الإسلامي، بل هو أمر مقصود بالتبع، وليس بالأصالة في تجديد العمران الديني للمجتمع.

- أما الثاني - أعني فقه الكليات السياسية، أو أصول الفقه السياسي - فهو منهج معرفة سنن التحولات، وسنن التوقعات والمآلات، فيما يتعلق بتدبير شؤون المجتمعات، على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي؛ وبهذا كان مصدرًا من مصادر فقه الدعوة الإسلامية، ومن ظن أن العالم الإسلامي قطعة معزولة، أو بالأحرى يمكن عزلها عن السياسة الدولية؛ فهو ما يزال يعيش خارج التاريخ.

وبمثل هذه الأخطاء القائلة، في الفهم وفي المنهج؛ يتم استغلال بعض العلماء وتوظيفهم - على جلاله قدرهم - والدفع ببعض الجماعات الإسلامية؛ بما يؤدي بها إلى الانتحار في نهاية المطاف، أو إلى زيادة تمزيق يزقي الأمة؛ بما يؤخرها عشرات السنين إلى الوراء.

إن «أصول الفقه السياسي» ضرورة من ضرورات الاجتهاد اليوم، لا يجوز لعالم أن يتصدى للإفتاء في الشأن الإسلامي العام، المرتبط بمصائر الشعوب الإسلامية، وأمنها

(١) الموافقات: (١٩٤/٤).

(٢) البيان الدعوي: (٥٤).

الإستراتيجي، المادي والمعنوي؛ إلا بتحصيل درجة الاجتهاد فيه. فلا بد إذن من إحكامه، وبناء قواعده، واستنباط مناهجه؛ لضمان تفكير فقهي سليم، يبنى ولا يهدم، ويرشد ولا يضل.

إن أصول الفقه السياسي هو قواعد لفهم ما يجري في العالم، وقواعد لاستنباط ما يناسبه من أحكام وفتاوى، على موازين الكتاب والسنة، وأي فتوى تُنزلُ بغيره ولو على محلها فإنما هي رمية من غير رام، وإنما جاء الدين لينزل على واقع الناس، بما هو موصوف في الزمان والمكان، وأصول الفقه السياسي هو الكفيل بذلك الوصف، في مجال تدبير الشأن العام.

ويمكن أن تستقرى قواعده - زيادة على التراث الأصولي والمقاصدي - من قواعد العلوم السياسية والاقتصادية والإعلامية، فهذه ثلاثة مجالات، هي من الخطورة بحيث يُعتبر الخوض في محاولة بناء الأمة، وتجديد بعثتها من دون مراعاتها؛ ضرباً من المغامرة بمصيرها، ونوعاً من المقامرة بوجودها، وقد عُلم شرعاً تحريم كل عقد بني على الغرر والمقامرة.

وأخيراً، فإن تجديد العلم بتلك المواصفات؛ معناه تجديد العلماء؛ لأنهما متلازمان كتلازم الصفة مع الموصوف. فالعالم الفقيه حقاً إنما هو الذي بقدر ما يجتهد في استنباط الأحكام من النصوص، أو من عللها، أو حكمها؛ يجتهد أيضاً في تربية الجيل بها، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة الزمان وأهله، على ما قررناه في أصول الفقه السياسي، فذلك هو الإمام المنتصب، أو العالم الوارث، المبعوث للتجديد بإذن الله.



وبعد:

فماذا بقي لنا بعد هذا؟ بل ماذا بقي علينا؟

فيا صاحبي، ها قد علمت ما علمت، وها الكلمات قد تواترت عن الله جلّ علاه، وها البيانات قد جاءت كاملة عن رسول الله ﷺ، وفي ذلك ما فيه من العلم بالدين، وبما ترتب عليّ وعليك من حقوق الله رب العالمين.

فماذا حققنا من مقام العبدية للمليك العظيم؟ وماذا حققنا من الوفاء لخالقنا الكريم؟ في زمان التمرد على الله والتنكر لحقوق الله! فكيف الحال بنا وها عهد الله وميثاقه الذي واثقنا به، وأشهدنا على أنفسنا به، ها هو ذا شاهد عليّ وعليك برسالات القرآن إلى يوم القيامة واجبات وأعمالاً، لا تكتمل عبديّة العبد إلا بها. وقد تبين من خلال مسائل الفطرية أن واجبات المسلم التربوية والدعوية في هذا العصر ثلاثة، نلخصها الآن تلخيصاً موجزاً، للتذكير والتيسير؛ فما بقي بعد العلم إلا العمل.

- أولاً: التزام « مجالس القرآن » لتلقّي آيات الرحمن، والتخلق بحقائق الإيمان.
- ثانياً: بلاغ رسالات الله بدعوة الناس إلى الله، وبتكثير سواد « مجالس القرآن »، تأسيساً وتوسيعاً.

- ثالثاً: التزام الرباطات، بما فيها من التزامات أربعة، هي: شهود الصلوات والتزام رباطاتها، ومداومة الأذكار، ومقاطعة آلهة العصر الأربعة، وأولها: الشراكيات والحرافيات. وثانيها: المال الحرام بكل أصنافه. وثالثها: الزنى ومقدماته، ومظاهره، وأخصها المري الفاحش، والنظر الحرام. ورابعها: الخمر والمخدرات.

وأما الالتزام الرابع والأخير فهو: إمساك اللسان عما لا خير فيه من الكلام.

وقد اختصرنا ذلك كله في العبارات المسكوكة التالية: (اغتنام المجالسات، وتبليغ الرسالات، والتزام الرباطات).

ولا تنس أن تعرض عملك هذا وغيره على أركان الفطرية الستة، فهي موازين قرآنية لتمحيص الأعمال، وهي كما فصلناها من قبل:

١ - الإخلاص مجاهدة.

٢ - الآخرة غاية.

٣ - القرآن مدرسة.

٤ - الريانية برنامجا.

٥ - العلم طريقة.

٦ - الحكمة صيغة.

فتلك أصول دينية صحيحة، وقواعد تربوية مليحة، عدّها يا صاحبي عذّا، وعُصّ عليها بتواجدك عُصّا.

ذلك، وإنا الموفق من وفقه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً.

وكتبه - بمكناسة الزيتون - عبد ربه، راجي عفوه وغفرانه، الفقير إلى رحمته ورضوانه: فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السجلماسي، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين. وقد وافق تمام تصنيفه يوم السبت: ٢٧ رجب: ١٤٢٨هـ، الموافق ل: ٢٠٠٧/٨/١١م.

الفطرية
بعثة التجديد المقبلة
من الحركة الإسلامية في العراق

الملحق

برنامج الربانية
من الكلمات إلى الرسائل



« برنامج الربانية » مثلك تربوي، يترجم جزءاً أساسياً من المقاصد التربوية للفطرية إلى الواقع العملي؛ إذ هو يرمي أساساً إلى تخريج الدعاة الذين بإمكانهم الاشتغال بالعمل الدعوي على المنهاج الفطري الذي أصلناه بهذا الكتاب؛ ومن هنا كان مدخله الأساس إنما هو تلقي رسالات القرآن المتعلقة بصفات « الربانية » بما هي إمامة دعوية بالدرجة الأولى كما سترى بحول الله.

ولذلك فقد جعلناه منبثاً على تلقي مجموعة من الحقائق الإيمانية، المستخلصة من الآيات القرآنية والبيانات النبوية، التي تخدم الغرض المقصود، ذلك أن الدين في مجموعة إنما هو رسالة كلية شاملة، لا يستقيم الاشتغال به والدخول إلى فضائه - ديناً ودعوة - إلا من خلال تلقي خطابه الرسالي حقيقة، ولا يتم ذلك على - المستوى التربوي - إلا بالترقي المتدرج عبر مسالكه درجةً درجةً، وذلك بمدرسة خطابه، لرده إلى وحداته وكلماته، وإنما وحداته مجموعة من الرسائل، بعضها ينبي على بعض، وبعضها يمهّد لبعض؛ ولذلك كان القرآن بهذا المعنى « رسالات »، هكذا بجمع المؤنث السالم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَ لِلَّهِ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَاسِبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ جُبِرْتُ مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا﴾ [الأنعام: ١٠٢] ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ﴾ [الحج: ٢٢، ٢٣].

ثم إن تلقي الرسائل لا يتم إلا بمدرسة خطاب كل رسالة على حدة، وردها - كما ذكرنا - إلى وحداتها التربوية ومكوناتها الابتدائية، وهي المسماة بالكلمات. فكل كلمة من كل رسالة تحمل ابتلاء عملياً تربوياً، لا يتم تلقيه والتحقق بحلقه وصفته المفهومية والخلفية، إلا بالعمل والمجاهدة، وهو معنى الابتلاء بالكلمات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنْزِلَتْ أَنْزِيلُهُ تَرَىٰ رِجْسًا فَآتَتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

ولذلك كان هذا البرنامج ينطلق في تلقيه لحقائق القرآن - عبر مدارجه التربوية - من الكلمات إلى الرسالات، وذلك هو مسلك القرآن في تخريج أئمة الهدى من الدعاة الحكماء؛ وهو معنى الربانية.

ومن هنا كان لنا أن نعرف الربانية بأنها: مرتبة الإمامة في مجاهدة النفس بالقرآن، على الالتزام بحقائقه الإيمانية، والتخلق بحكمته الرحمانية؛ إخلاصاً لله أولاً؛ حتى تفي في دعوتها عن كل حظوظها، فلا يقوم شيء منها إلا لله وبه، ثم شهادة بذلك على الناس، تربية ودعوة، ثم صبراً واحتساباً.

ولنا أن ندرس حقائق هذا التعريف - بشواهد القرآنية - من خلال العناصر التالية:

١ - الربانية توحيد، وإخلاص لله وحده، وتجرد من كل حول علمي، ومن كل قوة مادية، وكل جاء اجتماعي أو سياسي، وتبرؤ من الشرك والشركاء. والاستمداد فيها إنما هو من الله، ومن الله وحده، فهي مدرسة لإقامة الدين لله، على موازين الفطرة الخالصة، ومجاهدة دائمة للنفس؛ أن تحرف عن قصد التبعيد الخالص في الدين والدعوة، فتزيع بها الأهواء إلى مراعاة الحظوظ الحسية، من شهوات الشهرة، ومفانئ المال والأعمال، ومراتب المناصب والألقاب، وغير ذلك من الخوارم المهلكة للدين والدعوة جميعاً.

فإنما الربانية في الدعاة إمامة تربوية شاملة، لا يجوز أن تخرج أبداً عن فلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ ولذلك فهي لا تقوم إلا لله، ولا تستقيم إلا به بجلّ غلا، بعليّة ودعوى. فأول مدارجها تحقيق العبدية الكاملة لله، وتجريد القلب من سائر الأغيار والأكدار، والتخلق بأخلاق القرآن الخالصة لله الواحد القهار؛ ولذلك كان مأخذها من كتاب الله، تعلمنا وتعلّمنا وتدارسنا وتركياً، فهي مسلك تعليمي تربوي مأمور به شرعاً؛ لرعاية حقوق الله، وحفظ حقائق الإيمان في الناس. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَسْأَلَ أَنْ يُؤَيِّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْعَمَلَ وَالْهُدَى ثُمَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ لَوْ كُنُوا عِصَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَالِكَةِ وَالنَّيِّتِ أَزْبَانًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

٢ - الربانية أمانة، فالربانيون هم الأمناء على وظائف النبوة، المستحفظون على

أحكام الشريعة، ملتزمون بمقتضاها، لا يلتجئون إلى سواها، شهداء على ذلك عند الله وأمام الناس. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيِّونَ وَالْأَحْزَابِ مَا أَسْخَفُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ الْكَاسَ وَالْخَسْفَ وَلَا تَنْشُرُوا يَدَيْكُمْ تَعْمًا قَلِيلًا ۝۱۱۱ ﴾ [المائدة: ٤٤].

٣ - الربانية دعوة إلى الخير، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فالربانيون دعاة إلى الله بالحكمة، صابرون على ما أصابهم في سبيل الله، محتسبون ذلك عند الله. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۖ وَاللَّهُ أََعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۝۱۱۲ وَرَفَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْبَهُوا الشَّعْثَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَمْكُمُونَ ۝۱۱۳ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْزَابُ عَنْ قَوْلِهِ الْإِثْمَ وَأَكْبَهُوا الشَّعْثَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَسْتَعْرِضُونَ ۝۱۱۴ ﴾ [المائدة: ٦١ - ٦٣].

وقد جمع الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله تلك الصفات جميعاً في بيان مفهوم العالم الرباني، وذلك في نص فريد قال فيه: « جهاد النفس أربع مراتب (...) .

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علته شقت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيئات، ولا ينفعه علمه ولا ينجيهِ من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين. فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويُعَلِّمَهُ. فمن عِلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ » (١).

كما دُئِجَ شَيْخُ المقاصد الإمام أبو إسحاق الشاطبي، كلامًا نفيًا في بيان رتبة الإمامة في التحقق بالمعاني الشرعية، وحِكْمِهَا التَّربِيَّة، لتخريج العالم الرباني، فقال رحمته في تعريفه: «إِنَّ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِالْمَعَانِي الشَّرْعِيَّة مُنْزَلَةً عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ الْفَرَعِيَّة، بِحَيْثُ لَا يَصُدُّهُ التَّبَهُُّرُ فِي الْإِسْتِصَارِ بِطَرَفٍ؛ عَنْ التَّبَهُُّرِ فِي الْإِسْتِصَارِ بِالطَّرَفِ الْآخَرِ، فَلَا هُوَ يَجْرِي عَلَى عُلُومٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا دُونَ أَنْ يَغْرُضَهُ عَلَى الْآخَرِ، ثُمَّ يَلْقَفُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى تَنْزِيلٍ مَا تُلْخِصُ لَهُ عَلَى مَا يَلِيقُ فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ (...)» وَيُسَمَّى صَاحِبَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ: الرَّبَّانِي، وَالْحَكِيمُ، وَالرَّوَابِيعُ فِي الْعِلْمِ، وَالْقَائِمُ، وَالْفَقِيهُ، وَالْقَائِلُ؛ لِأَنَّهُ يُزَيِّي بِصِفَاتِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، وَيُزَيِّي كُلَّ أَحَدٍ حَقَّهُ حَسْبِمَا يَلِيقُ بِهِ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِالْعِلْمِ وَصَارَ لَهُ كَالْوَضْعِ الْمُجْتَوَلِ عَلَيْهِ، وَفَهُمَ عَنِ اللَّهِ مُرَادُهُ. وَمِنْ خَاصِّيهِ أَمْرَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَجِيبُ السَّائِلَ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ فِي حَالِيهِ عَلَى الْخُصُوصِ، إِنْ كَانَ لَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ حُكْمٌ خَاصٌّ (...) وَالثَّانِي: أَنَّهُ نَاطِقٌ فِي الْمَآلَاتِ قَبْلَ الْجَوَابِ عَنِ الشُّؤَالِاتِ» (١).

وبرنامجنا هذا وإن لم يطمح - بطبيعته - إلى تخريج الربانية العلمية، على وزن ما قرره هؤلاء الأئمة الأعلام، فعسى ألا يقصر عن إخراج الربانية التربوية أو الدعوية، ثم عسى أن يكون - بذلك - مدخلًا للربانية العلمية والإمامة الكاملة في الدين. ذلك، وإنما الموفق من وفقه الله. ولا حول ولا قوة إلا به وحده جلَّ علاه.

وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا.



الرسالة الأولى

في الإخلاص

وفيه مسألان:

المسألة الأولى: في بيان أن الغاية من الدين إنما هي تحقيق صفة العبيدية الخالصة لله، والتعرف إليه تعالى بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، والتقرب إليه رغبة ورهبة؛ للنجاة من العذاب المقيم والفوز بخلود النعيم، وأن المؤمن الحق بهذا الدين - بئله الداعية إليه - إنسانٌ أخروي بالقصد الأول، فالمصير الأخروي هو الموجه له في كل عمله في الدين والدعوة جميعاً. لا يخرج عن ذلك أبداً.

المسألة الثانية: هي أنه لا يتم له ذلك إلا بالتبرؤ من الشريكيات والخزائيات، وهي المعتقدات الباطلة، التي تخرم إخلاص الدين لله، وتعكر صفاء التوحيد، والتي ما تزال تعم بها البلوى بين كثير من الناس اليوم، خاصتهم وعامتهم، فتخرم إخلاصهم، وتشوه فطرتهم، وتخرب دينهم، عقيدةً وعملاً.

والبراءة منها تكون بعدم اعتقاد تأثير أحد غير الله في الكون وسائر الخلائق، نفعا أو ضرراً، ثم عدم التوجه إلى أحد سواه بالاستغاثة والدعاء رغبة أو رهبة، وذلك هو الإخلاص الذي أمرنا الله ورسوله ﷺ باعتقاده، ومجاهدة النفس للتحقق بمقتضياته العملية والخلقية، وهو الحقيقة الإيمانية العظمى التي يجب أن تكون سارية في دين المسلم كله، عقيدةً وشريعةً، كسريان الروح في الجسد، وذلك هو أساس معنى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي عليها مدار دعوة الإسلام.

ويتحقق ذلك بإفراد الله ﷻ بما تقتضيه ربوبيته تعالى، وعدم الإشراك به في أي

مُنْجَحَتُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣٠﴾
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْضُرُهُمْ إِلَهِهِ جَمِيعًا ﴿٣١﴾ [النساء: ١٧٦، ١٧٧].

الكلمات السادسة: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ
عَنْكُمْ وَلَا غَرْبًا﴾ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٣٣﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

الكلمات السابعة: ﴿تَتَجَلَّى أَلْكَلَبِ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِ الْخَلِيبِ﴾ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٣٥﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣٦﴾ [الزمر: ١-٣].
الكلمات الثامنة: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البقرة: ١٠].

الكلمات التاسعة: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَرُكَّعِي وَنَحَايَ وَمَنَافِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ بُدِئَ مَا نَزَّلْنَا أَتَى السَّابِقَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الكلمات العاشرة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجْرَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنْ كَيْدِهِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ
الْفُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الكلمات الحادية عشرة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا
نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَلَمَّا عَلِمُوا أَلْحَقَ بِهِمْ قُلُوبُهُمْ
وَكَبُرَ مِنْهُمْ نَسِيْقُوتُ ﴿١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْنِي الْآرِضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَسًا حَسْبًا يَضَعُفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ
كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَيُؤْتِيهِمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٤﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاهُرٌ بَيْنَهُمْ وَنِكَاحٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْبٍ أُعْجِبَ
الْكُفَّارَ بَالِغُهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُتَمِصًّا ثُمَّ يَكُونُ حُمْلَةً فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُورِ ﴿٥﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَنْ يَسْأَلْهُ وَاللَّهُ دُوَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ (المعبد: ١٦ - ٢١) .

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أمير المؤمنين عَمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّهَا فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ » (٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الْمُشْرَكَاءِ عَنِ الشُّرُكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » (٣).

البيان الرابع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ نِزْمِ عَرْفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٤).

البيان الخامس: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ؓ قَالَ: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْفِسُ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ النِّسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَعْرَفَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » (٥).

البيان السادس: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: « نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَرُ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ انْهَضْنَا لَكَ وَطَاءٌ؟ فَقَالَ: « مَا لِي وَمَا لِدُنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَوَاجِبِ اسْتَنْطَلْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكْتُهَا » (٦).

(١) منطبق عليه.

(٢) رواه النسائي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي مرفوعًا، ومثله مرسلاً. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والضياء. وقال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ =

البيان السامع: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «أَخَذَ الزُّشُولُ عليه السلام بِمَشْكَبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِبٌ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» ^(١).

= ضَمِيمٌ ٤. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.
(١) رواه البخاري.

الرسالة الثانية

في الوعد

وأتى الفساد نبي الارض اذا بلغ مرحلة «الفرعونية» استباننا، واستضعفنا للمسلمين وتذبذبنا لهم، وتشتبنا لغيرهم؛ وذلك علامة على أن رحمة الله ستأتى المؤمنين، اذا هم تمسكوا بالصبر واستجابوا لشروط الصلاح، وعلى راسها اخلاص العبادة لله الواحد القهار. فانما دراية الارض لعباد الله الصالحين.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ طَسَدَ ۖ يَأْتِيكَ مِنَ الْكُتُبِ الْبُيِّنَاتُ ۖ تَنُتَلُّوْا عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِغَوْرِ يُؤْمِنُوكَ ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذَّخِرْ أَثْنَائَهُمْ وَمَنْعِي ۖ يَسَاءَ لَهُمُ الْيَوْمَ مَا كَانَتْ مِنْهُمْ أَلْمُفْسِدِينَ ۖ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَهْلَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْأَرْثِيَّةَ ۖ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۖ ﴾ [النمل: ١-٦].

الكلمات الثانية: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَوَعِلُوا الصَّالِحِينَ لَنَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَنُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۖ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِعُوا الرُّسُلَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ رَحْمَةً ۖ لَا تَحْذَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَعْلِيَّتِكُمْ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۖ ﴾ [الأنعام: ٥٥-٥٧].

الكلمات الثالثة: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ ﴾ (١) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿ (الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦).
الكلمات الرابعة: ﴿ وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْغَرَضِيِّينَ ﴾ (٢) بِإِثْمِهِمْ لَمْ أَنْصُرُواكُمْ ﴿ (وَلَنْ جُنْدَنَا لَمْ أَنْصُرُواكُمْ) ﴿ (الصافات: ١٧١ - ١٧٣).

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « هَلَكَ كَجَشْرَى لِمَ لَا يَكُونُ كَجَشْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لِيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَقُصْمُنٌ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (١).

البيان الثاني: عَنْ تميم الدَّارِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَمُوتُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَهْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، يَمُرُّ غَزِيرٌ أَوْ بِذَلْ ذَلِيلٍ، عِزًّا يَمُرُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ » وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَقُولُ: « قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كُافِرًا الذُّلُّ وَالضُّعَافُ وَالْخِزْيَةُ » (٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم، والطبراني، وابن حبان. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: « صحيح على شرط مسلم ». كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

الرسالة الثالثة

في واجب الوقت

وَأَنَّ تَبْلِغَ الرِّسَالَةِ وَالْفَاءُ الْبَيِّنَاتِ، فِي زَمَنِ الْفِتَنِ وَالضُّلَلَاتِ،
مِنْ أَزْهَبِ الرَّاهِبَاتِ، وَأَنَّ لَهُ نَهَاءً لِمَنْ تَقْلُنَ ذَلِكَ بِنَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ،
وَأَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْإِهْتِلَافِ بِهَذَا الْمَدِينِ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ وَاسْتَمِعُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وَلَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّعُوا وَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]

الكلمات الثانية: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ يُحِبُّونَ مِنَ اللَّهِ أَحَدًا وَلَوْ أَنَّهُمْ دُونَهُ مُلْتَحِدًا ﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿ [المجن: ٢٢، ٢٣]

الكلمات الثالثة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُرْآنَ الَّذِي نُزِّلَ بِذِكْرِهِ وَرَبِّكَ كَذِبٌ ﴾ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُرْآنَ الَّذِي نُزِّلَ بِذِكْرِهِ وَرَبِّكَ كَذِبٌ ﴿ [الدنر: ١ - ٧]

الكلمات الرابعة: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَحْسَبُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ

وَكَفَى بِاللَّهِ حَيِّبًا ﴿١٥﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٦﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾ وَسَيَحْمِلُونَ
وَأَصْبِلًا ﴿١٨﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكُتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٩﴾ تَجِيئَتُهُمْ يَوْمَ بَلْفُونَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٢٠﴾ يَتَابِعُهَا النَّاسُ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢١﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّبِينًا ﴿٢٢﴾ وَفَتَنِ
الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَطْعَمِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعِ أَزْوَاجَهُمْ
وَقَرَكُنَّ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢٤﴾ [الأحزاب: ٣٩ - ٤٨].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ حَدِيثِ بْنِ الْهَيَّامِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَقَامُؤُنَ بِالْمَقْرُوبِ وَلَقَتْهُؤُنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لِيُوشِكُنَّ اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ
تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ » (١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،
وَذَلِكَ أَوْفَى الْإِيمَانِ » (٢).

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني أيضًا في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

الرسالة الرابعة

في المنهاج

رأت متايرج « الريانية » المفة اسامى البرامه السعريه، وارتى نرقمهم
نصايج المصلح الإسلامى بهمه هذا المسلمك مذبذب بنى القبط.
الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُرْهَانَ رَبِّكَ بَيِّنَاتٍ لَكُمْ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ بَيْعَاتٍ أَنْ تَقُولُوا مَا نَتْلُو إِلَّا قَوْلًا تَكْتُمُوهُ ﴾ (البقرة: ١٢٤).

الكلمات الثانية: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ * أَنَاذَرُونَ
النَّاسَ بِالْآيِ وَتَسْأَلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَأَسْتَسِيغُوا بِالْغُيْبِ
وَالْفُلُوكِ وَرَأَيْنَا كِبِيرًا إِلَّا عَلَى الْغُلِيِّينَ * الَّذِينَ يَطْلُونَهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا نُلْقُوا بِهِمْ فَأَنَّهُمْ كِبَرًا
رَجَعُونَ ﴿ (البقرة: ١٣ - ١٦).

الكلمات الثالثة: ﴿ تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكْعًا سَجْدًا يَتَكَبَّرُونَ فَمَضَى مِنْ اللَّهِ وَرُضُونًا بِسِمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَرَى السُّجُودَ ذَلِكَ
مَنْلَهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَنْلَهُمْ فِي الْإِجْبَالِ كَرِجَ الْخَرَجِ مَطْعَمُ تَارِجَهُمْ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ يَتَجَبَّبُ الرُّزْخَ لِيَنْبُطَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ (الفتح: ٢٩).

الكلمات الرابعة: ﴿ أَمَنْ هُوَ فَانْتَ عَائِلَةُ الْيَلِي سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَرَجُوا
رَحْمَةَ رَبِّهِمْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ قُلْ

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَ مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلِكُمْ وَدَرِّبْنَا فِرَةً أَعْمَبْ وَاجْعَلْنَا لِلْمُفْسِدِينَ إِمَامًا ۖ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُنْفَخُ فِيهَا صُحُفٌ فِيهَا كُتِبَتْ مُنْظَرًا وَمَقَامًا ۖ قُلْ مَا يَسْبِقُونِي يَكُنْ رَبِّيَ لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ (الفرقان: ٦٣ - ٧٧) .

الكلمات الثامنة: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوجًا سَجْدًا وَسَبْعًا يُسَبِّحُونَ رَبَّهُمْ وَقَدْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ لَنَجْازِيْ جُنُودَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۖ ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦] .

الكلمات التاسعة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ وَالَّذِينَ يَقْبِضُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ رَأْفَتُهُمْ يُنفِقُونَ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَنْفِرَةٌ زُرْقٌ كَرِيمٌ ۖ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

الكلمات العاشرة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنْ أَتَىٰ بَعْثًا مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَاهُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۖ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١] .

الكلمات الحادية عشرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ رَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۖ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ۖ

أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٥٥﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا كَاسِبُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].
بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنَازِلَ، إِلَّا إِنْ بَلَغَهُ اللَّهُ غَايَتَهُ، إِلَّا إِنْ بَلَغَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» ^(١).

البيان الثاني: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ بِمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَالُّفِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَنَصْرَهُ الَّذِي يُنصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» ^(٢).

(١) رواه الترمذي والمجاكيم. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري.

بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِيَيْنَ لَمَّا بَعَثْنَاكُمْ مِنْ حَبَشٍ وَبَعَثَكُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَصْدُوقٌ لِمَا مَعَكُمْ تَتُوبُونَ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥١﴾ فَعَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٢].

الكلمات الثانية: ﴿٥٠﴾ وَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِيمِ وَالْعَدْوِ وَأَكْلِهِمْ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَسْمَلُونَ ﴿٥١﴾ لَوْلَا بَيِّنَتُهُمُ الرَّبِّيَّةُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِ الْإِيمِ وَأَكْلِهِمْ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَسْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ (المائدة: ٦٢، ٦٣).

الكلمات الثالثة: ﴿٥٠﴾ وَبِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِيَيْنَ لَمَّا بَعَثْنَاكُمْ مِنْ حَبَشٍ وَبَعَثَكُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَصْدُوقٌ لِمَا مَعَكُمْ تَتُوبُونَ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٢﴾ فَعَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٨٢ - ٨٥].

الكلمات الرابعة: ﴿٥٣﴾ وَبِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِيَيْنَ لَمَّا بَعَثْنَاكُمْ مِنْ حَبَشٍ وَبَعَثَكُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَصْدُوقٌ لِمَا مَعَكُمْ تَتُوبُونَ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٥﴾ فَعَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٦﴾ [آل عمران: ٨٥ - ٨٨].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَشَخَّصَ بِصُرِّهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «هَٰذَا أَوَّلُ مَنْ يُخْتَلَسُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ» فَقَالَ زَيْدُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنْهُ وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ؟ قَوْلَهُ لَتَقْرَأَنَّهُ وَلَتَعْرِفَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ: «لَكُلِّكَ أُمَّكَ يَا زَيْدُ إِنَّ كُنْتُ لَأَعْلَمُكَ مِنْ فَقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَٰذِهِ الثُّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟» قَالَ جَبْرِ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَلَمْ أَتَسْمَعْ إِلَيَّ مَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ

أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ. قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنَّ شَيْئًا
لَأُحَدِّثُكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُزْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الْخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا
تَرَى فِيهِ رَجُلًا حَاشِعًا ^(١).

وقال سفيان بن عيينة: «كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله يخشى الله، ليس بعالم
بأمر الله، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله، فذاك العالم الكامل. وعالم بأمر الله
ليس بعالم بالله، لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر» ^(٢). وأخرج البخاري في
صحيحه - تعليقًا - عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «كونوا ربانيين»: حلماء فقهاء.
ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره» ^(٣).

البيان الثاني: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُتَحَاسَبُ
بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ
خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْقَضَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ تَعَالَى: انْظُرُوا هَلْ لِقَبْدِي مِنْ
تَطَوُّعٍ؟ فَيَكْمُلُ مِنْهَا مَا انْقَضَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ تُكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هَذَا» ^(٤).

(١) رواه الترمذي، والحاكم عن أبي الدرداء. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي. ورواه أحمد،
والنسائي، والدارمي، والحاكم أيضًا عن عوف بن مالك الأشجعي. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في
تقيقه على المستدرك: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي.

(٢) رواه الدارمي في مستدركه، والبيهقي في شعبه، وأبو نعيم في الحلية.

(٣) كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

قال ابن القيم رحمه الله: (جهاد النفس أربع مراتب (...)).

إحداها: أن يجاهد على تعلم الهدى، وهن الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا
به، ومتى قاتها جلمته شقيت في الدارين. الثانية: أن يجاهد على العمل به بعد علمه، ولا فمجرد العلم
بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها. الثالثة: أن يجاهد على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من
الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيانات، ولا ينفعه علمه ولا ينجي من عذاب الله. الرابعة: أن
يجاهد على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين. فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن
يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت
السموات (زاد المعاد لابن القيم: ١٠/٣).

(٤) رواه النسائي، وابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وصححه الشيخ الألباني في
صحيح الجامع.

البيان الثالث: وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ» ^(١).

البيان الرابع: عن رفاعَةَ بْنِ رَافِعٍ قَالَ: «نَحْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَنَحْنُ حَوْلُهُ؛ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَأَتَى الْقَبِيلَةَ فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ، إِذْ هَبْتُ فَصَلَّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَذَهَبْتُ فَصَلَّيْتُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُمُّ صَلَاتَهُ، وَلَا يَدْرِي مَا يَعْجِبُ مِنْهَا، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ، إِذْ هَبْتُ فَصَلَّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ! فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَجِبْتُ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ صَلَاةً أَعَدَّكُمْ حَتَّى يُسَبِّحَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَيُغْسِلَ وَجْهَهُ وَيُدْبِغَ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحَ بِرَأْسِهِ وَيَرْجُلَيْهِ إِلَى الْكَفَّيْنِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ اللَّهُ ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَيَعْمَدُهُ وَيَجْعَدُهُ، وَيَقْرَأُ مَا تَشَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ وَأُذِنَ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَزَكِّي حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْجِي، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ بِأَنِّ عَمَدُهُ، ثُمَّ يَسْتَوِي قَائِمًا حَتَّى يَقِيمَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَسْجُدُ حَتَّى يُمْكِنَ وَجْهَهُ، حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْجِي، وَيُكَبِّرُ فَيَرْفَعُ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدَا عُنُقِهِ مَقْعَدِيهِ وَيَقِيمُ صَلَاتَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ فَيَسْجُدُ حَتَّى يُمْكِنَ وَجْهَهُ وَتَسْتَرْجِي. فَإِذَا لَمْ يَقُلْ هَكَذَا لَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ» ^(٢).

(١) رواه الطيالسي، والبيهقي، عن أنس. وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) رواه أحمد، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الرسالة السادسة

في بيوت الله

وانت المساجد هي صغرة المروج الى الله، ومغفرت الدعوة الى الله،
وانت الرباط بها تعلما من علمائها وتعلما لسيابها، دهاقا على اداء
الصلوات بهما معا، تزدت القلب بالله، ويصله بمره على عمله، ويتر
الصلوة في كل نظام، ويوصل الهدى الى كل البقاع. فالمساجد هي
حصون الاديان وقلاع الاسلام، منها ينطلق واليها يرجع كل خير.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿لِلَّهِ ثَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ ثَوْرٍ. كَيْشْكُورُ فِيهَا وَمَصْبَحُ
الْوَسْطِ فِي رُجَاوِ الرِّجَاوِ كَانَهَا كَوْنُ دَرِي يُوقَدُ مِنْ شَجَرِ مُبَرَّكَ دَرِي لَا شَرْفُ
وَلَا غَرَبُ بِكَادَ رَزْبَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ ثَوْرٍ عَلَى ثَوْرٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ
يَنَاشُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فِي بُيُوتٍ إِذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٢﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ عِدْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاقَارِ الصَّلَاةِ وَإِنَّهُمْ الرُّكْنُ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْبُدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِمَقَرٍّ حَسْبٍ ﴿٤﴾

(التور: ٣٥ - ٣٨).

الكلمات الثانية: ﴿قُلْ أَسْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ
إِنَّهُمْ أَخْلَقُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُقْسَدُونَ ﴿٢﴾ يَبْقَىٰ وَادْعُ

حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

[الأعراف: ٢٩ - ٣١]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ سَرَفَ أَنْ يُلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْبِلًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ سَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهَدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهَدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُخَلْفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُخَيِّسُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْبُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؛ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ سَطْرَةٍ يَحْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهَا بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَخْلَفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مُتَعَلِّمٌ الثَّقَافِي! وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُنَادِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ!» ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُتَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ خَبَرُوا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ انْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ خَطَبٍ؛ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُخْرِقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتُهُمْ بِالنَّارِ» ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَا يَمْنَحُو اللَّهَ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَخُذْرَةُ الْحُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ!» ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ

لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهِمْ، إِلَّا نَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الشَّكِيَّةَ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ۖ (١) .

البيان الخامس: عن عُقْبَةَ بْنِ غَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قال: « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّةِ فقال: « أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يَفْعَدُوَ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى نَظْحَانٍ أَوْ الْعَقِيقِ؛ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاتِقَيْنِ كَوْعَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ (١)، يَأْخُذُهُمَا بِعِيرٍ إِيَّاهُ بِاللَّهِ ﷻ، وَلَا قَطْعَ رَجَمٍ؟ ۚ قالوا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قال: « فَلَا أَنْ يَفْعَدُوَ أَحَدُكُمْ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ؛ فَيَتَقَلَّبُ أَيْتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاتِقَيْنِ، وَقُلَاتٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَغْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ ۚ (٢) » .

...

(١) رواه مسلم.

(٢) أهل الصُّفَّةِ: هم فقراء المهاجرين كانوا يبيتون بالمسجد النبوي. وأما نَظْحَانُ فهو: اسم وادٍ قرب المدينة المنورة، وكذلك العقيق مثله. وناتقان كَوْعَاوَيْنِ: ثنية كَوْماء، وهي: الناقة المغليسة الشَّامِ العالية. وزهراء: يعني سينة، تحيل إلى البياض من الشَّيْبِ.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، وأحمد، وابن حبان، والبيهقي، والطبراني.

الرسالة السابعة

في أداء حقوق الله المالية

وإنَّ إقامَ الصلوة في الإسلام مَقْرُونٌ بِإِذَا بَلَغَ الزكاة، وإنَّ إيمانَ العبد لا يكمل حتى يكثر من المنفقين في سبيل الله، لأنَّ حقيقة الإسلام لا تكتمل إلا بتزويد الله في المال، على قاعدة أنَّ «المال مال الله، والبشر مستغفرون فيه» وألَّا رغبة إلا بما هدره شغل النفس، ونظمها بالإنفاق في مصارف الزكوات وفي كل وجه الضير.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ قَالُوا لِمَ نَأْمُرُ بِمَنْكُرٍ وَأَنْفِقُوا لِمَ نَأْمُرُ بِكَيْدٍ﴾ [الحديد: ١٧]

الكلمات الثانية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْلَةٍ يَأْتِي تِلْكَ حَبَّتٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتِمُّونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَثَرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنَ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ۝ بَيَّأَتْهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَطْلُؤُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَعْمَى كَأَنَّهَ يُؤْذِي مَالَهُ زَاهٍ أَعْمَى ۝ لَا تَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَاللَّهِمَّ الْآخِرَ فَمَنْ لَهُ كَمَلٌ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ رَبُّنَا فَاصْبِرْ وَابْتَغِ فَرَقَكُمُ صَلَاحًا لَا يَبْدُرُوهَا عَلَى شَيْءٍ وَمِنَّا كَسِبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَتَّبِعَهُنَّ مَرْغَبَاتُ اللَّهِ وَتَنْفِيصًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَعْمَالُهَا ضَيْغَةً فَإِنْ لَمْ يُبْسَبِهَا

وَابِلْ قَطْلٌ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ ﴿٢١٤﴾ أَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ مُنْقَذَةٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبَقِكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَسَّمُوا الْخَيْبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِإِيْخَازِهِ إِلَّا أَنْ تُغْنَمُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٦﴾ الشَّيْطَانُ يَبْذُوكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ عَنْهُ وَكُنَّا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٨﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَوْ كُنْتُمْ تَنْفِقُونَ لَكُمْ فِيهِ لَقَارٌ مِنْ أَنْصَارٍ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢١٩﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْفِكُوا الْفَقْرَ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَكَثِيرٌ عَنْكُمْ مِنَ سَعْيَاتِكُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٢٠﴾ أَلَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى مِّنْ لَّدُنَّكَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٢١﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُوا ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْكَافِرُونَ أَغْنِيَاءَ مِنَ النَّعْفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ قَالَتْ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ الَّذِينَ يُؤْتُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْهَكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢٣﴾

[المقرة: ٢١٦ - ٢٢٣]

الكلمات الثالثة: ﴿لَنْ نَقُولَ الْبَرَّ حَقًّا تُنْفِقُوا وَمِمَّا يُخْبُونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِمْ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

الكلمات الرابعة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَنْجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُخْبِرُونَ اللَّهَ دَرَجَاتٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ وَجْهَ اللَّهِ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ قَالَتْ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمٌ] [آل عمران: ٩٢].

[الحشر: ٨، ٩].

الكلمات الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي

سَبِيلَ اللَّهِ فَبَيَّنَّ لَهُمْ يَكْذَابَ الْبَرِّ ﴿٣٠﴾ يَوْمَ يُخَمَّنُ عَلَيْكَ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ
بِهَا جَانِبَهُمْ وَجُوهُهُمْ وَلَهُمْ رُؤُوسُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ مَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿ [النوبة: ٣١، ٣٠] .

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ
مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِتَيْمِنِهِ فَوَرَّيْهَا كَمَا يُرَائِي
أَحَدُكُمْ فَلَوْهَ أَوْ قُلُوبُهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَكْثَرَهُ » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ:
رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَتَسْمَعُهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي
أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانْ؛ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَهْلِكُهُ فِي
الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانْ؛ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ » ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَا حَسَدَ إِلَّا
فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَتَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ
يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا » ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَادَ بِلَالًا، فَأَخْرَجَ لَهُ صَبْرًا مِنْ تَمْرٍ ^(٤)،
فَقَالَ: « مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟ » قَالَ: ادَّخَرْتُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: « أَمَا تَخْشَى أَنْ يُجْعَلَ
لَكَ بَحَارٌ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ؟ أَتَلْفِقُ يَا بِلَالُ وَلَا تَخْشَى مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَاحًا » ^(٥).

البيان الخامس: عَنْ أَشْعَاءَ بَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) متفق عليه. والفُلُوسُ: هو المَهْوَرُ، والفُلُوسُ: الثَّاقَةُ الشَّابَّةُ.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه. والمراد بالحسد هنا: البغطة. وهو تَمَنِّي مثل ما لِلْمُعْتَقِطِ. وهذا أمر حسن، وله نيته، فإن
تَمَنَّى زوالها عنه فذلك حرام، وهو الحسد المذموم.

(٤) الصَّبْرُ: جمع صَبْرَةٍ، وهي: ثَمَرٌ يَجْمَعُ مِنَ الطَّعَامِ بِلَا تَكْوِيلٍ وَلَا وَزْنٍ، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ عَلَى هَيْئَةِ
الْكُوفَةِ. ن. لِسَانُ الْعَرَبِ: (صبر) .

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده، والطبراني في الكبير والأوسط، كما رواه البراء، والبيهقي في الشعب،
وأبو نعيم في الحلية. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وفي صحيح الجامع، وفي صحيح الترغيب.

« لَا تُؤْكَلِي فَيُؤْكَلِي عَلَيْكَ » ^(١). وفي رواية أخرى عنها أيضًا أنه ﷺ قال: « إِنْفَجِي أَوْ
إِنْصَجِي أَوْ أَنْفَجِي، وَلَا تُخْصِي فَيُخْصِي اللَّهَ عَلَيْكَ، وَلَا تُؤْعِي فَيُؤْعِي اللَّهَ عَلَيْكَ » ^(٢).
البيان السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُضِيحُ
الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتَّبِعًا خَلْفًا ». وَيَقُولُ الْآخَرُ:
« اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتَّبِعًا تَلْفًا » ^(٣).

(١) متفق عليه. وقوله: (تُؤْكَلِي) هو فُعْلٌ «أُؤْكَلِي»، أي: ربطت فم الرغاء - أو الشَّقَاءِ - وشده بالخط؛

قصد الحفظ والادخار.

(٢) متفق عليه. والْفَجْجُ: اللَّتْفُ. وَالْفُضْجُ: الضُّبُّ. وكلاهما بمعنى العطاء. وأَوْعَى يُؤْعِي إِبْعَاءً، أي: أَشْرَكَ الْمَالَ فِي الرِّغَاءِ

وَمُنْفَعَةٍ.

(٣) متفق عليه.

الرسالة الثامنة

في أن الدَّعْوَةَ دِينٌ

دانت أصرك الإسلام ثابتةً أبدياً دهملاً، وهي مسار السرين
والسريرة، والها تلتفصرت أماننا في معرفة الله، والتفقه في العقائين
الاطهرية، دانت الرعدة السريعة في الإسلام ثابتة للرهرة الطهرية،
والعكس غير صحيح، دانت صفة الحق عمل اسلامي انما تعتمد بقدر
ارتباطها بها خبنة رملًا.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسِيتُ وَنَسِيتُ وَمَا رَبِّيَ الْعَالَمِينَ ﴾ لا
شريك لَمْ وَهَذَا يُرْتَضَى وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [الأنعام: ١٦٦، ١٦٧]

الكلمات الثانية: ﴿ سَرَّحَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى
الشَّاكِرِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْنِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْنِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْنِ مَنْ يُنِيبُ ﴾
وَمَا تَقْرَؤُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْإِلَهَامُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى
أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَنِيهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
مُؤِيبٌ ﴿ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَفْتِمُ كَمَا أُرْتِ وَأَنْتَ أَهْلُهُمْ وَقُلْ مَا مَنَّا بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُكُمْ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿ [الشورى: ١٣ - ١٥]

الكلمات الثالثة: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا

إِنِّي مَأْتِيَةٌ لَكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْهَا يُقَيِّسُ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ
بِمُوسَى ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْخَلْعْ ثَعْلَبَكَ إِنَّكَ بِالْوَاوِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ۝ وَأَنَا أَخَذْتُكَ
فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوقَى ۝ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝ إِنَّ
السَّاعَةَ مَأْتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُخْرَجَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۝ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ
بِهَا وَأَتَمَّعَ هَوْنَهُ فَتَرَدَّى ۝ ١: ١٦ - ١: ١٧

الكلمات الرابعة: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ۝ يَقُولُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرُونَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرُ مِنْ بَابِ اللَّهِ إِنْ
جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ وَقَالَ الَّذِي
مَأْمَنُ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْخِزَابِ ۝ يَشُلُّ دَابَّ قُوَّةٍ نُجُجٌ وَمَعَادٍ مُمُودٌ
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ فَلَمَّا لَلِجَادِ ۝ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْكِنَاةِ ۝ يَوْمَ
تُؤْتُونَ مَدِينًا مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ فَاسِدٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ
يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكْتُمْ فَكُنْتُمْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۝ الَّذِي
يُجَادِلُونَ فِي مَائِنَةِ اللَّهِ يَقْبِضُ سُلْطَانُ أَتْنَهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
كَذَلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَسَلِّي أَنبِئُكَ الْأَنْصَبَ ۝ أَسْتَجِبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَيَّ إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنُ فِرْعَوْنَ سُوَّةَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كُنْزُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي
نَبَاطٍ ۝ وَقَالَ الَّذِي مَأْمَنُ يَقُولُ أَتَقُولُونَ أَنِّي مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۝ يَقُولُ إِنَّمَا
هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى
إِلَّا بِمِثْلِهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِمَنْزِلِ حِسَابٍ ۝ وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوَكُمْ إِلَى الْغَوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى
النَّارِ ۝ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
الْعَرِيزِ الْفَقِيرِ ۝ لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَمْ دَعْوَةٍ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَا

مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَمْسَكُ النَّاسِ ﴿٢٨﴾ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
وَأَفْرِضْ أَسْرَعَتْ إِلَى اللَّهِ إِنَّكَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٩﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا
وَحَاقَ بِقَالٍ فِيْمَقْرُونَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ (عافر: ٢٨ - ٤٥)

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الشَّعْرِ وَلَا يَبْرُهُ بِنَاءُ أَحَدٍ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَجْدَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَمَجِبْنَا لَهُ بِسْأَلِهِ وَبَصْدَفُهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَعَمَلًا بِكَلِمِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى تَعَادًا، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَلِإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الشَّاعِقِ؟ قَالَ: «مَا الْمُسْلِمُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَجُلًا، وَأَنْ تَرَى الْحَقَّاءَ الْفَرَاةَ الْغَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ» . قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِكًا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَذَرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ: «فَالَهُ جَبْرِيلُ أَنَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي موسى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَقَلُ مَا بَغَيْتَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَنْطِلِ اللَّيْلِ الْكَبِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ فَلَبِثَ الْمَاءُ، فَأَلْبَسَ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَبِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَحَادِبُ أَمْسَكَبَ الْمَاءُ فَفُغَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَضَرَبُوا وَسَفَرُوا وَزَوَّعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانِ لَا تَحْمِيكَ نَاءٌ وَلَا تُثَبِّتُ كَلَاءٌ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَتَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَغَيْتَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَعَقَلَ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّتِي أُرْسِلْتُ بِهِ» ^(٢).

البيان الثالث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»

صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، ... لِيُطَوِّبَ قُرَيْشٌ؛ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَوْسَلَ رَسُولًا؛ لِيُطَوِّبَ مَا لَهُمْ؟ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبِرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصْذِقِي؟». قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَرْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ!» ... الحديث (١).

البيان الرابع: عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُفِضُ كُلَّ جُعْظَرِي جَوْاطٍ، سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، حِقْفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، غَالِمٍ بِالدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِالْآخِرَةِ» (٢).

البيان الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَبَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالذُّرْهَمِ وَالْقُطَيْفَةِ وَالْحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطٌ، تَبَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا بَيْتُكَ فَلَا انْتَقَشَ، طَوْبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَضَعَّتْ رَأْسُهُ مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ! إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ سَمِعَ لَمْ يُسْمَعْ!» (٣).

• • •

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع. والجعظري الجواط: هو المتكبر الغليظ، الحزين الأخلاق. والشخب والضمخ، كلاهما بمعنى، وهو: رفع الصوت المنكر كصوت الحمار. والحديث كناية عن الرجل همه الدنيا والكسب المادي، حيث يظل النهار كله في صراع الأسواق والصناعات لا يحرم حراماً ولا يحل حلالاً ولا يعرف لله حقاً ولا مقاماً! حتى إذا كان الليل خر على فراشه فنام نوماً ثقيلاً، فَتَنَّتْ رَوْحَهُ كالجيفة؛ بما يعقد عليه الشيطان من عُقْدِ الغفلة عن الصلاة والقيام.

(٣) رواه البخاري.

الرسالة التاسعة

في الوظائف الدعوية

وإن بداية رسالات القرآن هي أساس العمل الدعوي، إذ القرآن هو كتاب الله ورسالته إلى الناس الجامعة لكل أصوات الدين الإيمانية والعملية، وأن التدارك الاجتماعي للذات - تلمذة وتربية، وتعلماً وتعليماً لخدمته وجهته - هو الهدف بعمق القضية الدعوية هداية ونصرة.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَرُكِّعَهُمْ وَيَكْتُبُ لَهُمْ إِلَهَهُمْ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الكلمات الثانية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ هَبَدَ رَبُّكَ فَكُنُوا آلَئِدَّةَ الْإِذَى حَرَمَهَا وَكُلَّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ السَّالِفِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ لِأَمَّا يَهْدَىٰ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَقَدْ لَفِيَ أَنَا مِنَ السَّالِفِينَ ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْبِكُمْ مَا يَنْبَغِي، فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشمل: ٩١ - ٩٣].

الكلمات الثالثة: ﴿وَلَقَدْ مَّا يَنْتَكَ سَبَا مِنَ السَّالِفِينَ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَنْدَنَ عَيْتَكَ إِلَّا مَا مَتَعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَعْرَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلِ إِنْ أَمَّا النَّذِيرُ الْغَيْثُ ۝ كَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى الْمُتَقَرِّبِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْهِيهِمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخِرَ نَفْسِهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ فَكَّرْنَا عَنْكَ صِغِيرًا بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٠٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٠٤﴾ (الحجر: ٨٧ - ٩٩ - ١٠٤)

الكلمات الرابعة: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قُوَّةٍ فَرَعُونَ إِيَّاكَ هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخَيِّمَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَالِمٍ ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَرُغَوْتُ قَالُوا إِيَّاكَ لَنَا آخِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ قَالَ نَعَمْ وَلَكُمْ لَيْتِنَا الْغَوَّيِينَ ﴿ قَالُوا يَسْمُوسِي إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْكَيْنِ ﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَالِمٍ ﴿ وَأَرْجَبْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلَاثٌ مَأْيُكُونَ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ فغلبوا هناك وانقلبوا صغِيرِينَ ﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْمَلَكَيْنِ ﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ (الأعراف: ١٠٩ - ١٢٢ - ١٢٦)

الكلمات الخامسة: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِمَا تَدْبِرُونَ فَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْقَرٍ ﴾ فَلَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَنَرَاهُمْ الْعَادِي ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخَيِّمَ عَلَيْكُمْ بِسِحْرِهِمْ وَإِيَّاهُ يَذَّهَبُ بِطَائِفَتِكُمُ الْغُلَّاءِ ﴿ فَأَجْمِعُوا كُشْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ قَالُوا يَسْمُوسِي إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مَنْ أَلْقَى ﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِثَاءُ وَعَصِيْبُهُمْ يُجْبَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ نَسِيَ ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ ﴿ فَلَمَّا لَا تَخَفَ بَلَكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَفَ مَا صَنَعُوا وَإِمَّا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ (طه: ٦١ - ٧٠ - ٧٦)

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة، لما بعثه قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يفأوضه في شأن الدين، قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن؛ فَرَفَقَ لَهُ الْوَلِيدُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِنْي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنْي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجَنِّ، وَاللَّهِ مَا يَشْبَهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ إِنْ لَقَوْلُهُ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنَّهُ لَشَيْءٌ أَغْلَاةٌ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيُغْلَوُ

وَمَا يُغْنِي! وَإِنَّهُ لَيَعْظُمُ مَا تَحْتَهُ» (١).

البيان الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: «سُيِّبَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فقال ﷺ: «سُيِّبَنِي هُودٌ»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عَمَّ يَسْأَلُونَ»، و«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (٢). وفي رواية أخرى: «سُيِّبَنِي هُودٌ» وأخواتها مِنَ الْمُفْضِلِ» (٣).

• • •

(١) الحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان. ونسمة القصة أن أبا جهل نحيل عليه فأثار كبرياءه وردده إلى جاهليته، فقال له: دعني أنكر، ثم قال: أقول: «هو ساحر»، فنزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَكَاذِبٌ وَفَذَرِ الْكَافِرَ فَذَرِ﴾ ثم قيل: كَيْفَ فَذَرِ؟ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَذَرِ؟ ثُمَّ نَهَرَ؟ ثُمَّ عَسَ وَنَهَرَ؟ ثُمَّ أَمِيرٌ وَنَسْتَكْبِرُ؟ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَغْيٌ يُؤْتَرُ؟ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ أَتَيْتَكَ؟ فَأُخْلِي سَبْرًا؟ (الدر: ١٨ - ٢٦).

(٢) رواه الترمذي، والحاكم عن ابن عباس، ورواه الحاكم عن أبي بكر، ورواه ابن مردويه عن سعد. وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر حديث رقم: (٣٧٢٣) في صحيح الجامع.

(٣) رواه الطبراني، وابن مردويه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الرسالة العاشرة

في « مجاليس القرآن »

وانتِ الدُّعُورُ فِي التَّزْيِينِ الْقُرْآنِيَّةِ، بِطَرِيقَةِ مُدَارَسَةِ رُتَبِهَا، بِفَتْحِ
الْقَبْرِ حَقِيقَةِ التَّفَوُّتِ، ذُرْفَتِهِ بِمَنَازِلِ الْعُشْبَةِ وَالزُّهْدِ، بِفَتْحِ نَلْبِهِ
بِاتِّسَادِ الْأَسْمَاءِ الْعَسْنَى، وَبِهَيْمَلِهِ مِنْ جُلَسَاءِ الْمَدَنِيَّةِ، رَسَمِ
الْمَرْكُورِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْمَطْلَعِ الْأَعْلَى.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِنْسُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

الكلمات الثانية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَذِّبُونَ ﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ
الْقَائِمُونَ ﴾ لَوْ أَرَأَيْتَ هَذَا الزُّلْزَلَةَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَبِذَلِكَ الْأَمْثَلِ نُصَرِّفُهَا لِلنَّاسِ لِمَا لَهُمْ بِتَفَكُّرٍ ﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الَّذِي الْأَنْدُوسُ الْأَسْلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَّيِّنُ الْمَزِيدُ الْجَبَّارُ الْكَافِرُ سُبْحَنَ اللَّهِ
عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٤].

الكلمات الثالثة: ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ قُرْآنًا وَمَا أَوْسَيْنَاكَ إِلَّا سُبْحًا وَنَهَارًا ﴿١٠٠﴾ وَفَرَقْنَا بَيْنَهُمَا فَمَكَّنَّا عَلَى الثَّالِثِ عَلَى مَكْنٍ ﴿١٠١﴾ وَفَرَّقْنَاهُ أَفْجَاءَ أَمْسٍ وَقَدْ أَلَمْتُمْ بِهِ إِذْ يُسْأَلُ عَنْهُمْ يُحْزِنُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا ﴿١٠٢﴾ وَقَوْلُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٣﴾ وَيَحْزِنُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونَتِ زِينَتُهُمْ حُشْرًا ﴿١٠٤﴾ فِي آدَعُوا اللَّهَ أَوْ آدَعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا يَجْهَرُ بِسَلَاكٍ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَتَمْتَعُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيفٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ رَكِبَهُ تَكْبِيرًا ﴿١٠٦﴾﴾ (الإسراء: ١٠٥ - ١١١).

الكلمات الرابعة: ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْيَتِيمَ أَهْرًا أَنْ تَضَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ لِيُكْرِ اللَّهَ وَمَا زَلَّ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَلَمَّا عَلِمُوا الْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا قُلُوبُهُمْ وَكَبُرَتْ مِنْهُمْ نَيْبُوتٌ ﴿١٠٧﴾ ائْتُوا أَنْ اللَّهَ بِحَقِّ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ الْمُضْطَرِفِينَ وَالْمُضْطَرِفِينَ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْمًا حَسَنًا بِشَيْءٍ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٠٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْيَقِينُونَ وَاللَّهِ إِعْدَ رَيْبِهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَأَوْفَرُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٠﴾ أَصْلَحُوا أَلَمْ نَحْيِ الْيَتِيمَ الْدُنْيَا لَيْسَ وَلَهُ وَرَبُّهُ وَتَفَاضَلُ بَيْنَكُمْ وَكَثُرَتْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ كَشَلِ غَيْبِ أَهْبِ الْكُفَّارِ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَبْجِ قَرْنَهُ مُضْطَرَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا وَلِي الْأَيْمَرِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١١١﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَسَلْ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١٢﴾﴾ (الحديد: ١١ - ٢١).

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي غُزَيِّ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي غُزَيِّ أَحِبِّهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَّقِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ، إِلَّا أَزَلَّ اللَّهُ عَنْهُمْ الْكِبْرِيَّةَ، وَغَضِبَتْهُمْ الرُّحْمَةُ، وَخَسَفَتْهُمْ اللَّيَالِيَةُ،

وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَعْدَهُ. وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُنْعَرْ بِهِ نَسَبُهُ (١).

البيان الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَنْجَرِجَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الثَّمَرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الزُّهْدَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» (٢).

البيان الثالث: عن أبي شريح الخزاعي قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَهْبِزُوا... أَهْبِزُوا... أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ فَأَقُولُ: بَلَى، قَالَ: لِإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسُّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُضِلُّوا، وَفَن تَهْدِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا» (٣).

البيان الرابع: عن أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بِكَتَابِ اللَّهِ هُوَ خَبَلُ اللَّهِ الْمُخْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» (٤).

...

(٢) متفق عليه.

(١) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وحسن بن حميد في المنتخب من المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٧١٣).

(٤) رواه الطبراني في تفسيره: (٣١/٤)، نشر دار الفكر بيروت لبنان: (١٤٠٥ هـ)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٤٤٧٣).

الرسالة الحادية عشرة

في الإخلاص الدعوي

وَأَنْتَ نَحْمَدُكَ يَا رَبِّ الدُّعَايَ لِلَّهِ نُؤَدِّدُ وَعَقْدًا نَسْتَعِزُّ بِكَ يَا بَيْتَ اللَّهِ
وَنُحَرِّقُكَ، وَأَنْتَ الْفَقِيرُ شَيْءٌ مَا حَقَّقَ الْإِسْلَامَ مِنْ نَبِيٍّ ذَلِكَ أَذْهَلُهُ اللَّهُ -
خَلَقَ فَهَدَاهُ - نَبِيٍّ وَنَدَّبَهُ، وَأَنَّهُ بَرُّ كَرَامَاتِهِ، وَكَانَ تَعَالَى نَبِيٍّ
نُصْرَتِهِ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُخَيِّرُهُمْ أَزْوَاجًا عَلَى الَّذِينَ أَجْرُوا عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ قَوْلَهُ
لَا يَمُرُّ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّا وَرَدَّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

الكلمات الثانية: ﴿هُوَ أَرْحَمُ حَسْبَتْ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيبِ كَانُوا مِنْ عَالَمِنَا
عَبَا ﴿٥١﴾ إِذْ أَرَى الْآيَةَ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَسْمًا ﴿٥٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِتْرًا عَدَدًا ﴿٥٣﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَاهُمْ نِجْمًا هَاسِرًا
أَلْجَيْنَهُمْ آخِصِي لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿٥٤﴾ مَعْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ تِلْكَ الْقِصَّةَ الَّتِي كَانَتْ مِنْهُمْ فَتُحَدِّثُهَا
وَرَدَّاهُمْ هُدًى ﴿٥٥﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ
نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا ﴿٥٦﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
لَوْ لَا يَأْتِيهِمْ إِسْلَامُ الَّذِينَ بُعِثُوا لَمَكَّنَّا أَفْئِدَةً عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥٧﴾ وَإِذْ

أَعَزَّ لَنَاوَهُمْ وَمَا يَسْتَدْرِكُ إِلَّا اللَّهُ فَأَلَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُبَيِّنَ
لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقَعًا ﴿١٦﴾ [الكهف: ٩ - ١٦].

الكلمات الثالثة: ﴿وَأَنْ الْمَسِيحَ إِلَهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ
كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَفْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا
رَشَدًا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٦﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٦﴾ [الجن: ١٨ - ٢٣].

بيان الكلمات:

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ غُلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا،
فَقَالَ: «يَا عَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ تَكَلِّمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا
سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ
يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ، فَذَكَّبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ
لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ، فَذَكَّبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَنَسِيتُ الْأَقْلَامَ وَجَحِيتُ الصُّحُفَ» ^(١).

وفي رواية أخرى: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّعَاءِ تَعْرِفَكَ فِي
الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ
النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» ^(٢).

...

(١) رواه أحمد، والترمذي، والحاكم. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في
صحيح الجامع.

(٢) هكذا في الأربعين النووية، وهذه ألفاظ مركبة من عدة أحاديث صحيحة.

الرسالة الثانية عشرة

في أن الدعوة خُلِقَ

رأت مكارم المخلوقات شعار المدين والمدبرة، رأت المدين بلاد قلوب
مدفون بالنفائات، رأت المدبرة التي لا تعتمد العقل العن مسلكا
لا يبارك الله فيها، رأت الصياء هو آية خلق المسلم، رأت الريانية
العقبة انما هي جذوة المدين قرد ومعلم، رأت طين الصديقية
التي بها ينال العبد دلاية الله، رأت الانهراف عن ذلك كله ضرب
من النفائات الذميمة لا يفلح صاحبها ابدا.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿فَمَا رَحِمَ مِنْ آفَةٍ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفَ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿[آل عمران: ١٥٩، ١٦٠].

الكلمات الثانية: ﴿وَأَنَّكَ لَكَلِّ خُلُقٍ عَظِيمٍ ١٦١﴾ [القلم: ١٦١].

الكلمات الثالثة: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ الْأَنْكَبِ يَسْقُونَ
وَرَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصُورَ الرَّجَاءُ
وَأَرْوَاكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ١٦٢﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني ليا أزلت إني
من خير فقير ١٦٣ فجاءته إحدىاهما تنسني على استحياء قالت إنك أبا بدعوك
لجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تحفظ بصوت

مِنْ الْقَوْرِ الْقَلِيلِينَ ﴿ [القمعر: ٢٣ - ٢٥] .

الكلمات الرابعة: ﴿ بِأَيَّتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِقِينَ ﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَطْلُوتُ مَوَاطِنًا يَعِظُ الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُوتُ مِنَ عَذْرٍ تَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَهُ صَبِيرًا وَلَا كِبَرَهُ وَلَا يَقْطَعُونَ رَأْدِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَرِّهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَسْعَلُونَ ﴿ [التوبة: ١١٩ - ١٢١] .

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال: « إِنْ أَحْبَبْتُكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبْتُكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَجَالِسَ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضْتُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدْتُكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَسْوَرُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَافُزُونَ، الْمُتَفَهِّقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ » ^(١).

البيان الثاني: عن ابن عمر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: « لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ نَفَاتًا » ^(٢).

البيان الثالث: عن أبي مشعود قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنْ يَأْ أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ الْبُزَّةِ الْأَوْفَى إِذَا لَمْ تَشْتَعْبِي فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ » ^(٣).

البيان الرابع: عن ابن عمر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرْنًا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ » ^(٤).

البيان الخامس: عن أنس وابن عباس أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » ^(٥).

(١) رواه أحمد، وابن حبان، والطبراني، والبيهقي. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه الترمذي. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الحاكم، والبيهقي. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه ابن ماجه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

البيان السادس: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، خادم رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَلْمِزْ أَحَدَكُمْ حَتَّى يُجِبَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ بِنَفْسِهِ» ^(١).

البيان السابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَذَابُرُوا، وَلَا يَبِيعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْرَاقًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُغْلِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَخُونُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُحْمَلُ إِلَى صُدْرِهِ ثَلَاثُ مَرَاتٍ - بِحَسَبِ اقْرَبِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حِرَاقٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ. إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ. وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صُدْرِهِ» ^(٢).

البيان الثامن: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غُبَيْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُزِنَ مِنْ كُنْ فِيهِ كَنْانٌ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِنْهُمْ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِنَ التَّقَايِ حَتَّى يَذْغَبَهَا: إِذَا أَوْثَقَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ خَدَرَ، وَإِذَا عَاسَمَ فَجَرَ» ^(٣).

البيان التاسع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ، فَإِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَّقِرَى الصَّدْقَ حَتَّى يَكْتَسِبَ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا، وَإِنَّا كُنْمْ وَالْكَذِبُ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَّقِرَى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَسِبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» ^(٤).

• • •

الرسالة الثالثة عشرة

في البلاغ الحكيم

وأتت التعلمي بالملكة في السرعة، والصبر على المذنب، وعدم الاستهانة بالاستفسارات، ثم مراعاة المآلات في الفتاوى والنصريات، تدبرها، وتالفاً، وتلطفاً، والعمل وفق ذلك إيماناً واحتساباً، يستلزم معية الله للسرعة وثابته للسرعة.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْظِعِ الْحَسَنِ وَحَدِّ لَهُم بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْثِينَ ﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي صَبْرٍ مِمَّا بَمَكُورُونَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿ [شعر: ١٢٥ - ١٢٨]

الكلمات الثانية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا شَرَّكَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكَةَ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ بِالْجَنَّةِ أَنْتُمْ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ تَحْنُ أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ تَزَالُ مِنْ عَقُوبِ رَحِمٍ ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ وَإِنَّا بِرَعْنِكَ مِنَ الْمُتَلَبِّطِينَ نَزَّ

فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيظُ ﴿ [فصلت: ٣٠ - ٣٦] .

الكلمات الثالثة: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يُمْسِي ﴾ (١) وَأَسْطَعْتَنكَ لَيْلِي ﴿ (٢) أَذْهَبَ أَنْتَ وَلَوْكَ يَتَابَعِي وَلَا يَبْقَى فِي ذِكْرِي ﴿ (٣) أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ (٤) فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا نُبًّا لَمَلَمَ ﴿ (٥) يَنْذَرُكَ أَوْ يَخْشَى ﴿ [طه: ٤٠ - ٤٤] .

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: « غَلِيظٌ بِالرُّفْقِ، إِنَّ الرُّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُلْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا سَانَهُ » (١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رضي الله عنه: « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَأْمُورٌ بِثَلَاثٍ: وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُمَا: « يَمْشُوا وَلَا تَعْشَرُوا، وَتَمْشُوا وَلَا تَنْفَرُوا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا » (٢).

البيان الثالث: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: « حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ » (٣). وقد جعل الإمام البخاري رحمته الله هذا الحديث الموقوف على علي رضي الله عنه ترجمةً لباب من أبواب « كتاب العلم » من صحيحه، صاغها في حكمه ربيعة، وهي قوله: (بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَلَّا يَنْفُخُوا) كما أورد ترجمة أخرى في السياق نفسه لفقه الممالات وهي:

البيان الرابع: قال الإمام البخاري: - (بَابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْإِخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَفْضَرَ قَوْمٌ بَعْضَ النَّاسِ عَنْهُ، فَيَفْضَرُوا فِي أَشَدِّ مِنْهُ) (٤) فأخرج بسنده عن الأُمَوِيَّ بْنِ يَزِيدَ الشَّعْبِيِّ قَالَ: « قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُبْرِئُ إِلَيْكَ كَثِيرًا، فَمَا حَدَّثْتُكَ فِي الْكُفَّةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْلُكَ حَدِيثَ عَهْدِهِمْ بِكَفْرِ، لَنَقَضْتُ الْكُفَّةَ فَبَعَثْتُ لَهَا بَابَيْنِ، بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ ». فَقَعَلْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ » (٥)، وفي رواية أخرى: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: « أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْلُكَ لَمَّا بَنَزَا الْكُفَّةَ أَقْصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَوَدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: « لَوْلَا جَذَانُ قَوْلِكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ » (٦)، ولذلك لَمَّا رَدَّهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه على

(٢) متفق عليه.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم.

(١) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٥، ٦) رواه البخاري.

قواعد إبراهيم هَدَمَهَا الطاغية! الحجاج، ثم أعاد بناءها على ما كانت عليه في عهد النبي ﷺ. فأفتى مالك رحمه الله بعد ذلك خلفاء بني العباس بعدم جواز إعادة بنائها على قواعد إبراهيم؛ حتى لا تكون عبثًا بين الأمراء.

• • •

الرسالة الرابعة عشرة

في التفويض الدعوي

دانت تسيير الشان الإصلاحي سادقة وتمكيننا انما هو من عزوت
الريعية، دانت ليس له انسان منه الله عبادة الله باسبابه.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَأَنَّهُمْ
ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

الكلمات الثانية: ﴿فَلَمْ تَقْنُؤْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾
ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَذِبَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

الكلمات الثالثة: ﴿مَلَسَتْ ﴿١٦٩﴾ يَدَاكَ الْكِتَابَ الْيُسْبُوعِ ﴿١٧٠﴾ لَكَ بِنِعْمَةِ فَسَكَ الْآ
بَكُورًا مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ إِنْ لَّمْ تَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَظُلَّتْ أَفْئِدَتُهُمْ لِمَا خَصَّيْنَاهُمْ ﴿١٧٢﴾ وَمَا
يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّمْثِ يُحْمَلُوا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿١٧٣﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لِمِمْ أَنْبَلُوا مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩-١٧٣].

الكلمات الرابعة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٤﴾
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِئَلَّا يَكُ خَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿١٧٥﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئْتُ بِهٖ، فَوَادَكَ وَجَاهَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ
وَمَوْعِدَةً يُؤْتُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَصْلَحُوا عَلَىٰ مَا كَانُواكُمْ إِنْ أَعْمَلُوا ﴿١٧٧﴾

وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١١٨﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ [هود: ١١٨ - ١٢٣].

الكلمات الخامسة: ﴿ وَلَقَدْ مَتَّأً عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ ﴿١١٨﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ﴿١١٩﴾ أَيِ الْإِنشَاءِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْبِضِي فِي الْيَمِّ فَلْيَلِغِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَالْقَبِيضُ عَلَيْكَ بِحَبْطِ نَبِيٍّ وَلِيُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيْ ﴿١٢٠﴾ إِذْ تَمْشِي أُنْجُلُ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْنَا نَفَسًا فَفَجَوَّجْنَا بِهَا الْفَيْدَ وَفَوَّكْنَا فُتُوكًا فَلَيْسَتْ سَيِّئِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ حِثَّ عَلَى قَدْرِ يَمُوسَى ﴿ [طه: ٢٧ - ٤٠] .

بيان الكلمات:

- عَنْ غُثَّابٍ قَالَ: « أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكُثْبَةِ، فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَمْتَنِعُصُرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُخَمَّرًا وَجْهَهُ فَقَالَ: « قَدْ كَانَ مِن قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الْوَجُلُ فَيُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْإِنْسَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فَوْقَهُنَّ، مَا يُضَرُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُنْشَطُ بِأَنْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ، مِنْ حَتْمٍ وَغَضَبٍ، مَا يُضَرُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمُّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ؛ حَتَّى يَمِيرَ الْوَائِكِبُ مَا بَيْنَ صُنْعَاءَ وَخَضِرْمُوتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذُّنْبَ عَلَى غَتْبِهِ، وَلِكَيْلُكُمْ تَفْعَلُونَ » (١).

...

الرسالة الخامسة عشرة

ففي الاعتصام

وأتى التقييد بإحكام الكتاب والسنة، والفقه المبني عليهما، بعض
الدعوة والرافعية من الانتماءات المضمرة والسلوكي والمنهاجي، وأن
الفقه السليم للكتاب والسنة إنما يؤخذ من سنة الخلفاء الراشدين،
فيما وتنبهوا أبي بكر، عمر، عثمان، وعلي، رضوان الله عليهم
الجميعين، ثم عامة نقباء الصحابة الكرام. وأن ذلك المنهج هو الذي
تجلى - فيما بعد - في مناقب علماء الأئمة، الأئمة الأعلام؛
مالك، رابع حنيفة، والثانفي، وأحمد، رحمهم الله رضي عنهم
الجميعين.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا كَذُوبٌ وَكُنَّا مِنَّا كَاذِبِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾

الكلمات الثانیة: ﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْتَدٍ ۚ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَنُكَلِّمَنَّكَ اللَّهُ



الرسالة السادسة عشرة

في الفتن

دانت رحاب الدعوة الإسلامية معرضة طيش المعين والفتن! في دينهم، وانفسهم، واسرهم، وقد تنهالت الفتنة في صرة النعمة، وربما تسربت الشيطانات الى الانسان من باب الضمير، فبرهسه انه قد حاز فخر صرح علم الابعاد، وهو من أشد الفتن، وذلك هو الاستدراج والعبث بالله.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ آتَى الْآدَمَ مِنْ رَبِّهِ الْآدَمَ أَنْ يَتَزَكَّى أَنْ يَقُولَ مَا مَكَتَ وَهَمَ لَا يَفْتَنُونَ ﴾ ① وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ② أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ③ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ فَلَا تُلَاحِظْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ④ وَمَنْ جَهِدَ فَإِنَّمَا يَجُهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ⑤ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا لَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑥ وَوَعَدْنَا الْإِنْسَانَ بِإِلَادَةٍ حَسَنًا وَإِنْ جَهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِنْ مَرَجَعُكُمْ فَاتَّبِعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ⑧ وَمِنَ الَّذِينَ مَنْ يَقُولُ مَا مَكَتَ بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَمَلٌ فَتُنَادِي السَّائِسَ كَذَابٌ اللَّهُ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ⑨ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ⑩ [العنكبوت: ١ - ١١].

الكلمات الثانية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنْ بَيْنَ يَدَيِ الشَّاعِبَةِ فِتْنَةٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضِيحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُغَيِّبُ كَافِرًا، وَيُغَيِّبُ مُؤْمِنًا وَيُضِيحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَانِسِيُّ لِبَيْتِهِ خَيْرٌ مِنَ الشَّامِيِّ، فَكُتِرُوا قَبِيحَتَكُمْ، وَقُطِّعُوا أَوْتَارُكُمْ، وَاصْرَبُوا سَيُوفَكُمْ بِالْخُبْرَةِ، فَإِنْ ذُجِلَ - يَغْيِي عَلَى أَحَبِّ بَيْنِكُمْ - فَلْيَكُنْ كَخُبْرِ ابْنِي آدَمَ » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « يَأْخُذُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضِيحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُغَيِّبُ كَافِرًا، أَوْ يَغْيِي مُؤْمِنًا وَيُضِيحُ كَافِرًا، يُبْعَثُ دِينُهُ بِغَرْضٍ مِنَ الدُّنْيَا » ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « يُخْرِجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا - قَوْمٌ يَحْفَظُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِرُ خُلُوفَهُمْ، أَوْ حَتَا جَرْهُمْ، يُؤْثِرُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ الشَّهْمِ مِنَ الرِّيمَةِ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى شَهْمِهِ، إِلَى نُصْلِهِ، إِلَى رِصَافِهِ، فَيَحْمَازِي فِي الْفَوْقَةِ، هَلْ غَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ؟ » ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ عَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « سَيَخْرُجُ فِي الْحَجْرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَعْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِرُ حَتَا جَرْهُمْ، يُؤْثِرُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يُؤْثِرُ الشَّهْمُ مِنَ الرِّيمَةِ » ^(٤).

البيان الخامس: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رضي الله عنه قَالَ: « كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَتَيْتُكُمْ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْيَتَمَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَعَى سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْتَوْنَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) (٤: ٣) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلٌ. قَالَ: بَلَّكَ تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ وَالصَّدَقَةُ. وَلَكِنْ أَهْكُمْ
سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الْيَتِيمَ الَّذِي تَمُوجُ مَوْجُ الْبَحْرِ؟ قَالَ حَدِيثُهُ: فَأَشَكَّتِ الْقَوْمُ.
فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: « أَنْتَ إِلَهُ أَبُولَدَا » قَالَ حَدِيثُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
« تَغْرُسُ الْيَتِيمَ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ حُودًا حُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا لُكْتُ فِيهِ نُكْتَةُ
سُرْدَاءٍ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَكْزَمَهَا لُكْتُ فِيهِ نُكْتَةُ بَيْضَاءٍ، حَتَّى تُصِيرَ عَلَى فَلَتَيْنِ: عَلَى أَيْضٍ يَطْلُ
الصُّفَا، فَلَا تَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهَا ».

قَالَ حَدِيثُهُ وَحَدَّثَنِي: أَنَّ يَتِيمَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يَكْشُرَ. قَالَ عَمْرُو:
« أَكْشُرُوا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ قُبِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادَا! » قُلْتُ: لَا بَلْ يَكْشُرُ، وَحَدَّثَنِي: أَنَّ
ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُفْعَلُ أَوْ يَمُوتُ، حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلَى (١).

(١) رواه مسلم. وقوله: « أَسْوَدُ مُوْنَادَا » أي: شِلَّةُ الْبَيْضِ فِي مَوَادٍ. و« الْكُورُ الْحَكِي: الْإِبْرَيْقُ الْمَكْمُوسُ
عَلَى رَأْسِهِ، بِحَيْثُ لَا يَحْفَظُ بِمَا فِيهِ.

الرسالة السابعة عشرة

في فتنة الزعامات

وانت اول ما تعرض للمصاحبة من الفتنة شهرة الشهرة وهيب
الظهور، وثينة الرياسة والقيادة، ذلك ينهر العبد من ذلك انه يتعبد
الإذلال، والحرص على تمجيد القلب من الاشرار، والاضطراب
على سلك العبدية لله.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَانَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يَتَحَدَّوْا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَنَّادِينَ مِنَ الْمَدَائِبِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَافْتِرَاقِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ يَوْمًا وَفُجُودًا وَعَلَى جُوبِهِمْ
رَبَّنَاكَ رُفُودًا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُبَيِّنُكَ فَيُنَا عَذَابِ
الْآخِرِ﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّا
سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ﴿رَبَّنَا وَهَبْنَا لَنَا مَعَ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعَهْدَ﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا
وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَجْلِلَّاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَافًا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿مَتَّعَ

قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ رِيسَ الْيَهُادُ ﴿١٨٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا زُرْعَتَهُمْ حَبَشَتٌ نَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِيكَ فِيهَا تَرَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَزْوَاجِ ﴿١٨٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
الْحَشْبِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَائِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْعُرُونَ
بِقَائِمِ اللَّهِ ثَمَّنَا قَلِيلًا أَوْلَيْتَ لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنْ كُنَّ اللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبَرُوا وَصَارُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: ١٨٨ - ٢٠٠].

الكلمات الثانية: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاكًا يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَسْأَلُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَكِينٌ الْعَذَابِ ﴿١٩٢﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا
الْعَذَابَ وَتَفَلَّتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٩٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَبَرَأْنَا مِنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَغْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ ﴿١٩٤﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

الكلمات الثالثة: ﴿أَتَعْبُدُونَ أَشْكَارَهُمْ وَزُهِقَتْهُمْ أَزْكَارًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ [التوبة: ٢١].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلِّي
عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّا لَنُتَسَقَّلُ عَلَى
عَمَلِنَا مِنْ أَزَافَةٍ» ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ،
وَسَتَكُونُ لَدَائِمَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْمُنُ الْمَرْبُوعَةِ وَتُشَبُّ الْفَاطِمَةُ» ^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

البيان الرابع: عن عَبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْرُورَةَ عليه السلام قَالَ: « قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَا تَسْأَلِ الْإِمَامَةَ، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكُنْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتُ عَلَيْهَا » ^(١).

البيان الخامس: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ ﻻ يَحْكُمُ مَغْلُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكُهُ يَدُهُ أَوْ أَوْفَقَهُ إِيَّاهُ، أَوْ لَهَا عِلَاقَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَأَخْرَجَهَا جِزْيُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ^(٢).

البيان السادس: عَنْ جُنْدَبِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: « مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ وَمَنْ يُزَانِي يُزَانِي اللَّهُ بِهِ » ^(٣).

البيان السابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: « جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مُنْذُ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ! فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْسَانِي إِلَيْكَ رَمْلًا: أَفَعَلَيْكَ نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَمَّ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا، بَلْ عَبْدًا رَسُولًا » ^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد، وابن حبان، وأبو يعلى. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني في صحيح الترغيب وفي السلسلة الصحيحة.

الرسالة الثامنة عشرة

في فتنه العجيب التنظيمي

رَأَيْتُ خُلُقَ التَّوَاضِعِ الْمَعْرِعِي، وَالْتَمَهُدِ مِنْ كُلِّ صِرَاحٍ دَقْرَةٍ، وَالتَّبَعِيَّةِ
مِنْ سَهْبَةٍ «الْمُنَا» الْفَرْدِيَّةِ وَالْعِمَارِيَّةِ وَغَدَمِ الْإِغْتِرَارِ بِالتَّأَثُّرِ الْمَعْرِعِي
لِلْمُتَبَاعِي، هُوَ سِرُّ الْمَقْبُولِ الرَّحْمَانِيِّ وَالتَّائِيدِ الرَّيَانِيِّ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿لَقَدْ فَصَحَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ
أَعْيَبَكُمْ كَذَّبْتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَفُتِنَتْ عَنْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا
رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذِيرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ
جُودًا لَوْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

الكلمات الثانية: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى
إِذَا فَتِنْتُهُمْ وَنَفَزْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَغَمَّكُنَّ بِرَأْسِهِ مَا أَرَاكُمْ مَا شِئْتُمُ
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَكَّنَّاكُمْ عَنْهُمْ
لِيَبْلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَمَّا عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢].

الكلمات الثالثة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ إِنْ رَأَى
وَمِنْهُمُ الْمُغْفِرُ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ آجَتًا فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧].

الكلمات الرابعة: ﴿ وَذَرُوا ظِلَهِمُ الْآثِرَ وَيَبْلُغُهُ إِلَى أَذُنِكَ بِكَيْبُوتِ الْإِثْمِ سَابِقُونَ ﴾
يَمَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَ ﴿ [الأنعام: ١٢٠] -

الكلمات الخامسة: ﴿ وَقَدْ مَكَنَّا ثَقَنَ الْحِكْمَةِ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ وَلَئِذَا قَالَ ثَقَنُ لِأَتِيهِ وَمُو يَبْلُغُهُ
يَبْقَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْهِ إِلَى الْمَعْيَرِ ﴿ وَلَنْ
جَهَنَّمَ لَكَ عَلَاقٌ أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَأَتَّبِعْ مَسِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ شُرِّ إِلِكِ مَرَجِعُكُمْ فَأُنَبِّشْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ يَبْقَىٰ إِنَّمَا
إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي سَخِرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿ يَبْقَىٰ أَفِيرُ الْفَكَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَمْرٌ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿ وَلَا تُصِرَّ مَثَلُكَ لِلنَّاسِ وَلَا نَشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿ وَأَقْبِضْ فِي مَشِيكِ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْرِكَ
إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصُوتُ الْغَيْبِ ﴿ [النسان: ١٢ - ١٩] -

الكلمات السادسة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَعَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ قُلْ أَتَسْمَعُونَ اللَّهَ
يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ يَسْمَعُونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَسْمَعُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلَى اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كَرِهُ لَلِإِسْلَامِ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿
[الحجرات: ١٥ - ١٨] -

بيان الكلمات:

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا يَرْوَاهُ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: ه قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا عِبَادِي إِنِّي خَوَّضْتُ الظُّلُمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهَا بَيْنَكُمْ مَحْرُومًا
فَلَا تَقَالُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِيَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ
جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْطَعْمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ غَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَمْتُهُ،
فَأَسْكَنْتُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،

فاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضْرِبُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْصِي فَتَقْتُلُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَعْرَضَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَلْفَى قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَعْرَضَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَلْفِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَعْرَضَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ، قَامُوا فِي صَبِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ بِي مِنْ عِبَادِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُذْخِلَ الْبَيْعَرُ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْتُهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْلَيْتُكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ غَيْرًا فَلْيَعْمِدِ إِلَى اللَّهِ! وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ! ^(١).

...

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِينَ وَالْخَافَاتِ وَالَّذِينَ كَثُرَ لَهُمْ أَثَرُ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَثُرَ لَهُمْ تَقْوَى اللَّهِ وَاجْتَرَأَ عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾

[الأحزاب: ٣٥، ٣٦.]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أسامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء! » ^(١).

البيان الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَبِيْنُهُ مِنَ الزَّنا، مُذْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ! فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْحُطُّ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَبْذُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ » ^(٢).

البيان الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « جِنَّاتَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَزْهَمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ بَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَأَسْبَاتِ عَارِيَّاتٍ، مُبْلَّاتٍ مَا بَلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْبِمَةِ الْبَيْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ قَبِيْرَةٍ كَذَا وَكَذَا... » ^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢، ٣) رواه مسلم.

الرسالة العشرون

في فتنة المال

وأتى شهوة الترف من أضرار الفتن على المؤمن، رأت المال
الغنيمة - من متى أنواع الشغف ذلك انوار الريا - من أكبر المصالحات
للدين والدعوة! رأت ذلك كله من لظلم ما تبلى به الدعوات
والعراكات رر حالها! رأت الاصطبار على الصلوة والصيام وقراءة
القرآن، للتغلب بمنزلة الزهد والريع من انجع الادوية لها.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَغْرَافَ النَّهَارِ لَكَ رَبُّنَا ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا
بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْزَنَ فِيهِ رَبُّكَ رَبُّكَ خَبِيرٌ وَأَبْقِ ۝ وَأَمْرُ أَهْلِكَ
بِالصَّلَاةِ وَأَصْلَحْ عَالِيًا لَا تَسْأَلُكَ دِينًا فَتَنْزِعُكَ عَنْ مَرْزُقِكَ وَالْعَقِيبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝ [١٣٠ - ١٣٢].

الكلمات الثانية: ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ حِكْمٍ رَبُّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ
تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِمًا ۝ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ لَا تَدْعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ وَكُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَهَنَ شَاءَ فَلْيُزَيِّنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحْمَقًا يَوْمَ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَيْسِرُوا يَتَأَلَّوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا أُمُورًا فَلْيُصْلَبُوا الصَّلِيبَ إِنَّهُمْ لَا
يُصْبِحُونَ بِخَيْرٍ مِّنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ [الكهف: ٢٧ - ٣٠].

الكلمات الثالثة: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْخَيْلِ الذَّاكِرَةِ أُنْزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْلَقَ فِيهَا بَنَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَيِّئًا نَذِيرٌ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِيرًا ۝ السَّالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ وَبِوَسْمِ اللَّهِ الْهَيْمَلِ وَرَأَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ لَهُمْ أَسَدًا ۝ وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ جُعِلَ لَهُمْ مَوَدَّةٌ ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَلَّيْنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَوِيرَةً وَلَا كِبْرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا وَلَا يَنْصُرُهُمْ رَبُّكَ أَشَدَّ وَلَا يَنْصُرُهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا سَمْعًا ۝ ٤٥ - ٤٩ ﴾

الكلمات الرابعة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخِرُّهُ الشُّجْلَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَمَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقَ اللَّهَ مَا سَلَفَ وَأَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ يَمْشُوا عَلَى الْأَرْضِ وَرُبِّي الْقَصْدَاتِ ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢١﴾ إِذْ الْأَوَّلُ مَاتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَذَكَّرُ الْأَوَّلُ مَاتُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَيْنَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُقْرِنِينَ ﴿٢٣﴾ إِنْ لَمْ تَقْلُوا فَأَذَا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَدُسُولِهِ ۖ ذَانِ شَيْئٍ فَلَكُمْ دُورُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ دُونَ عِشْرِينَ فَظَلُّوا إِلَى مِيسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَقْلُوا يَوْمَ الْحَرْبِ ۖ فَبِهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٨١] .

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ». وَقَالَ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ». ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمْذِقُهُ يَأْكُلُهُ إِلَى

الشَّعَاءُ: « يَا رَبِّ، يَا رَبِّ! » وَتَطْعُمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرُوبُهُ حَرَامٌ، وَلَعَلَّيْهَا حَرَامٌ، وَعَدَدِي بِالْحَرَامِ؟ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ بِذَلِكَ؟ » (١).

البيان الثاني: عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: - وَأَهْوَى الثُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - « إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِيَدِيهِ وَعِزِّهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَزْعُمِي حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَزْتَغِيَ فِيهِ، أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ جَمَى، أَلَا وَإِنْ جَمَى اللَّهُ مَخَارِمَهُ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا ضَلَخَتْ ضَلَخَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » (٢).

البيان الثالث: عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ، هُمْ فِيهِ سَوَاءٌ » (٣).

البيان الرابع: عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « دِزْهَمٌ رِبَا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقْلَمُ أَشَدُّ جُنْدَ اللَّهِ مِنْ سَيْتَةٍ وَفُلَانِيْسٍ زَنْيَةٍ » (٤).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، والطبراني. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير والسلسلة الصحيحة.

الرسالة الحادية والعشرون

في الاقتصاد

وانتَ التوسطَ بينَ الميئتينِ هدايةَ المُرشدِ الصالحِ، وانتَ التنبهَ بهر
صفةِ المفسرينِ بهدايةِ الشيطانِ الاستهلاكيةِ، العاهدينِ لطماعِ
الاقتصادِ المستعماريِّ القاردينِ

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿وَمَنْ ذَا الْقَرْيَةِ حَقَّهُ وَالْيَسِيرَ وَالَّذِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَبْذُرُونَ
بَذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا ۝ وَإِنَّا
نُعْرِضُ عَنْهُمْ أَنِيقَةً رِجْمًا مِنْ رَبِّكَ رِجْمًا نَقْلَ لَهُمْ قَوْلًا نُبَسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِبِعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٣٠].

الكلمات الثانية: ﴿إِنَّ قُرُونًا سَكَتَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَنَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ
الْكُوفِ مَا إِنَّ مَفَاضِعَهُ لَنَسُوا بِالْمُعْبَكَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ
الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ حَنِيعٌ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قد أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ
مَنْ أَكْثَرُ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَعًا وَلَا يَنْفَعُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُشْفَعُونَ ۝
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي رِجْلَيْهِ قَالِ الَّذِينَ يُبْذَرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَنَاتٌ لَنَا وَشَلَّ مَا أُوْتِيتُ
قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَافٍ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ كُنْتُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ

لَنْ يَمُوتَ وَغَمَلٌ صَالِحًا وَلَا يُلْغَىٰ إِلَا الْعَصِيُونَ ﴿٥٦﴾ فَتَسْفَتَا بِهِ وَيَدَارُوا الْأَرْضَ
فَمَا كَانَ لَكُم مِّنْ فِتْنَةٍ يَتَصَرَّوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٥٧﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُم بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِشَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا
أَنَّ اللَّهَ عَلَيْنَا لَكُنَّا قَيْظًا وَيَكَاظُرُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّكَ الْذَّارُ الْأَخِيرَةُ فَصَلِّهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٩﴾ [النمل: ٥٦ - ٥٩]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن المقدم ابن مقدي كُتِبَ، قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
« مَا مَلَأَ أَدَمِي وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ! يَخْتَبِئُ ابْنُ آدَمَ أَكْلَاتٍ يَقَعْنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ
لَا مَعَالَةَ، قُلْتُ لِبَطْنِهِ، وَتَلَّتْ لِشِرَابِهِ، وَتَلَّتْ لِنَفْسِهِ » (١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِي
مُحَمَّدٍ قُرُونًا » (٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « تَعَسَّ عَبْدُ الدُّنْيَارِ وَالْذُرْهَمِ
وَالْقُطَيْفَةِ وَالْحَبِيبَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَحِيًّا وَإِنْ لَمْ يَلْطَمْ سَجَطَ، تَعَسَّ وَاتَّكَمَ، وَإِذَا شَبَكَ
فَلَا تَنْتَشِلُ، طَوَسَى يَقْبِذُ أَحْبَدَ بَعَثَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَّتْ وَأَسَدَتْ، مُغْبِرَةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ
كَانَ فِي الْحُرَاسَةِ كَانَ فِي الْحُرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي الشَّافَةِ كَانَ فِي الشَّافَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ
يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ سَمِعَ لَمْ يُسْمَعْ » (٣).

البيان الرابع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ،
فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اسْتَخَذْنَا نَكَ وَطَاءً فَقَالَ: « مَا لِي وَمَا
بِلَدُنِّي؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَوَاجِبٍ اسْتَظَلَّتْ تَحْتِ شَجَرَةٍ ثُمَّ زَاخَ وَتَرَكَهَا » (٤).

البيان الخامس: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « أَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ بِمِثْقَالِي، فَقَالَ:
« كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِبٌ سَبِيلَ » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتُ

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن
حياتك لموتك « ^(١).

♦ ♦ ♦

يَعْنِ أَهْبَاتًا مِنْهُمْ وَأَتَجَعَ إِلَيْكَ طَلَبُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا يَجْرِعُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٨﴾ [هود: ١١٧ - ١١٨].

الكلمات الرابعة: ﴿وَالِإِيَّائِي لَنُفَصِّلَنَّ شُعَبًا قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفَعُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ إِيَّايَ أَرْسَلَكُمْ بِغَيْرِ وَإِنِّي أَنَا أَنَا عَلَى كُمْ عَذَابٌ يَوْمَ تُحْشَرُ ﴿١١٧﴾ وَيَقُولُونَ أَوْفُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿١١٨﴾ بَيِّنْتُ أَلَوْ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ ﴿١١٩﴾ قَالُوا بِشُعْبٍ أَمْكَرْتُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْهَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أُمُورِنَا مَا نَفْعُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيدُ الرَّبِيدُ ﴿١٢٠﴾ قَالَ يَقُولُونَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَرَدَّ قِي مِنْهُ يَدًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِيَّايَ مَا أَنْتُمْ لَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٢١﴾ [هود: ٨٤ - ٨٨].

الكلمات الخامسة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلُوا عَرْضُهَا السَّكِينُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطُوبِ الْأَنَظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا تَجَسُّدًا أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٤﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِهِمْ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٢ - ١٢٦].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِي وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما قَالَا: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَتَى اللَّهَ خُفْيَا مُكْتًا، وَأَتَى السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ قَمَحًا، وَخَالِي النَّاسِ بِخُلُقِي حَسَنٍ » ^(١).

البيان الثاني: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « فِئْتَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ،

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، والبيهقي. وقال الترمذي: « حديث حسن صحيح ». وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وماله، ونفسيه، وزليده، وجاريه؛ يَكْفُرُهَا الصَّيَّامُ، والصَّلَاةُ، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١).

البيان الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِلُّ، وَلَا يَضَعُ، فَإِنْ سَاءَتْهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَفْزَرُ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرَحٌ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحٌ بِصَوْمِهِ »^(٢).

البيان الرابع: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أَوْصِيكَ بِقَوِي اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ زُهْدَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ »^(٣).

البيان الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « سِيرُوا هَذَا مُحَمَّدَانِ. سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ » قالوا: وما المُفْرَدُونَ يا رسول الله؟ قال: « الَّذِينَ يَكُونُونَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالْذَّاكِرَاتِ »^(٤).

(٢٠١) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه مسلم.

الرسالة الثالثة والعشرون

في دُعَاءِ الْأَمَانِ وَكَاشِفِ الْأَحْزَانِ

دانت اضلعت الاستعانة بالله، توكُّلاً، واستعانة، واستغفارا، ودُعَاءَ،
والتَّوَكُّلاً اليه تعالى، في كل وقت وحين، ههناك الغافلين ودُفْعَهُ
المستضعفين، دانت ذلك من فضلك الشَّهِيدِ النبي لك غُفَى عنها
بِالْمُؤْمِنِينَ وَالشَّاهِدِينَ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَجَّهْتُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْكُمُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ يَوْمَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَنْتُمْ تَلْفِكُونِ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ مُعْتَدُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَذَلِكَ حُجَّتُنَا
إِذْ بَعَثْنَا عَلَى قَوْمِهِ نَوَاحٍ دَرَجَتٍ مَن شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ٧٩ - ٨٣].

الكلمات الثانية: ﴿إِنَّا وَجَّهْتُ قَوْمَهُ قَالَ أَتُحْكُمُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ يَوْمَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَنْتُمْ تَلْفِكُونِ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ مُعْتَدُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ وَذَلِكَ حُجَّتُنَا
إِذْ بَعَثْنَا عَلَى قَوْمِهِ نَوَاحٍ دَرَجَتٍ مَن شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ٧٩ - ٨٣].

الكلمات الثالثة: ﴿وَلَا اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يَغْفِرْكُمْ مَتَّعًا حَتَّىٰ إِلَٰك أَجَلٍ نَّسِيَ رَوَيْتُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضَّلَهُ وَإِنْ قَوْلُوا يَلَيَّ أَهْلُ عِلِّيَّكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كِبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

الكلمات الرابعة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الكلمات الخامسة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّي الْغَلِيِّ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الغل: ١-٥].

الكلمات السادسة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْكَافِرِينَ ۝ مَلِكِ الْكَافِرِينَ ۝ إِلَٰهِ الْكَافِرِينَ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِينَ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الْكَافِرِينَ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ» ^(٢).

البيان الثالث: عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ كَرِيمٌ يَسْتَحْصِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يُؤْثِمَهُمَا صِفْرًا خَالِيَيْنِ» ^(٣).

البيان الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى يَفْضُبْ عَلَيْهِ». وفي رواية: «مَنْ لَا يَدْعُو اللَّهَ يَفْضُبْ عَلَيْهِ» ^(٤). وقالت عائشة رضي الله عنها: «سَأَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الشُّشْعُ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ إِنْ لَمْ يُجَسِّرْهُ لَمْ يَنْجِسْهُ» ^(٥).

(١) رواه الحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، والحاكم. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه، واللفظ له. ورواه أيضا ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) أخرجه أحمد، والترمذي، والبيهقي، والطبراني، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. ثم صححه الألباني في صحيح الجامع، بينما قال في السلسلة الصحيحة: «هو حديث حسن».

(٥) الشُّشْعُ: أحد شُيُورِ الثَّغْلِ، مما يعقد به. والحديث موقوف على عائشة رضي الله عنها. وقد أخرجه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في شعبه، وكذا ابن السني رقم: (٣٤٩). وقد ضيف الألباني رحمه في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة. بينما حسن وقفه على عائشة رضي الله عنها.

البيان الخامس: عن الْأَعْرَاضِ الْمُؤَنِّي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُومُوا إِلَيَّ وَنُكِّمُ، فَرَأَى اللَّهُ إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ »^(١).

البيان السادس: عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرُوهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيَكْبِرْ فِيهَا مِنَ الْأَسْبَغَاءِ »^(٢).

البيان السابع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُجَيْبٍ قَالَ: « خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَذْرَكْنَاهُ فَقَالَ: « قُلْ ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ ». فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَغْزُودَيْنِ، جِنِّ قَمْبِي وَلُصْبِيعِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي، والضياء. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع، وفي صحيح الترغيب.

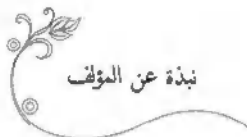


- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الأربعمون النووية للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.
- ٣ - حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت. ط. الرابعة: (١٤٠٥ هـ).
- ٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد. طبعة جديدة بتاريخ (١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).
- ٥ - سنن أبي داود، دار إحياء التراث العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦ - سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧ - سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٨ - سنن الدارمي، دار الكتاب العربي: (١٩٨٧ م).
- ٩ - سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٠ - شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط. أولى: (١٤١٠ هـ).
- ١١ - صحيح البخاري، دار القلم، بيروت: (١٩٨٧ م).
- ١٢ - صحيح الترغيب والترهيب للمحافظ المنذري. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي. بيروت. ط. الثانية: (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).
- ١٣ - صحيح الجامع الصغير وزيادته. تأليف محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي. بيروت/دمشق. ط. الثالثة: (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).
- ١٤ - صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، (١٩٧٢ م).

- ١٥ - المسند للإمام أحمد بن حنبل، نشر المكتبة الإسلامية: (١٩٨٥ م).
- ١٦ - الموطأ للإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (١٩٨٥ م).
- مراجع عامة:
- ١٧ - أبحاث في البحث في العلوم الشرعية. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء.
- ١٨ - الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، طبع دار الكلمة، منشورات « رسالة القرآن »، مكناس المغرب، (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م).
- ١٩ - بلاغ الرسالة القرآنية، تأليف فريد الأنصاري، منشورات ألوان مغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- ٢٠ - البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، تأليف فريد الأنصاري. منشورات ألوان مغربية، ط. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى: (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م).
- ٢١ - تجديد أصول الفقه للدكتور حسن الترابي.
- ٢٢ - تفسير ابن كثير المسمى « تفسير القرآن العظيم »، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت: (١٤٠١ هـ).
- ٢٣ - تفسير الطبري، المسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن »، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. نشر دار الفكر، بيروت: (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م).
- ٢٤ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب: (١٣٨٧ هـ).
- ٢٥ - التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام: (٢٥ - ٢٩) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط. الثانية: (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م).
- ٢٦ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ١٠٣). نشر دار الشعب، القاهرة. ط. الثانية: (١٣٧٢ هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

- ٢٧ - الحركات الاجتماعية: تحولات البنية وانفتاح المجال. بحث للدكتور إبراهيم البيومي غانم، منشور على الموقع الإلكتروني: «إسلام أون لاين».
- ٢٨ - الحركات الاجتماعية المفهوم والتاريخ. للباحثين: (ربيع وهبة، وجوزيف شكلا)، بحث منشور على الموقع الإلكتروني:
<http://www.hic-mena.org/homea.htm>
- ٢٩ - زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق الشيخين عبد القادر الأرنؤوط وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ٣٠ - شرح الحكم العطائية، للشنوبى.
- ٣١ - شرح النووي على صحيح مسلم. نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت. ط. الثانية: (١٣٩٢هـ).
- ٣٢ - عارضة الأحوذى بشرح سنن الترمذى، لأبي بكر بن العربي المعافى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة بيروت.
- ٣٤ - الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب، دراسة في التدافع الاجتماعي. فريد الأنصاري. منشورات الفرقان الدار البيضاء. (سلسلة: اخترت لكم رقم: ٣) مطبعة النجاح الجديدة. ط. الأولى: (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ٣٥ - فتاويل الصلاة: مشاهدات في منازل الجمال، فريد الأنصاري، نشر دار الكلمة مصر/ المنصورة. ط. الثانية: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- ٣٦ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام تقي الدين بن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. مكتبة المعارف بالرباط، المغرب.
- ٣٧ - مفهوم العالمية، تأليف فريد الأنصاري منشورات رسالة القرآن (رقم ١). طبع دار الكلمة، مكناس/ المغرب: (٢٠٠٦م).
- ٣٨ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس،

- لإسماعيل بن محمد المجولوني الجراحي. تحقيق أحمد القلاش، نشر مؤسسة الرسالة بيروت. ط. الرابعة (١٤٠٥ هـ).
- ٣٩ - كليات رسائل النور تأليف بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالح، نشر دار (سوزلر) للنشر، فرع القاهرة ط ٢ بمصر (١٤١٢ هـ/الموافق ١٩٩٢ م).
- ٤٠ - لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
- ٤١ - مجالس القرآن، تأليف فريد الأنصاري، منشورات ألوان مغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- ٤٢ - مجمع الزوائد للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧ هـ).
- ٤٣ - معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس. تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل. بيروت، ط: الأولى (١٤١١ هـ/١٩٩١ م).
- ٤٤ - المفردات في غريب القرآن. تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق محمد سيد كيلاني. طبع شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: (١٣٨١ هـ/١٩٦١ م).
- ٤٥ - المقاومة للمدنية: مدارس العمل الجماهيري وأشكاله، للدكتور عبد الهادي خلف. نشر مؤسسة الأبحاث العربية (ش.م.م) بيروت، لبنان.
- ٤٦ - الموافقات للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ) بشرح الشيخ عبد الله دراز. نشر دار المعرفة. بيروت. ط. الثانية: (١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م).
- ٤٧ - ميثاق العهد في مسائلك التعرف إلى الله. تأليف فريد الأنصاري. مطبعة أنفوبرانت فاس/ المغرب.



نبذة عن المؤلف

- ولد بإقليم الرشيدة جنوب شرق المغرب سنة: (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م).
- حاصل على دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب المحمدية - المغرب.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا « دكتوراه السلك الثالث » في الدراسات الإسلامية تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب - الرباط.
- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين) « الماجستير » في الدراسات الإسلامية - تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب - الرباط.
- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة السلطان محمد ابن عبد الله، كلية الآداب - فاس / المغرب.
- صدر له من الدراسات العلمية:
- ١ - أبحاث في البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأسيس المنهجي، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠١٠ م).
- ٢ - الأخطاء السنة للحركة الإسلامية بالمغرب، مطبعة الكلمة، مكناس / المغرب، (٢٠٠٧ م).
- ٣ - بلاغ الرسالة القرآنية، نشر دار السلام، القاهرة : (٢٠٠٩ م).
- ٤ - التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، نشر دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة: (٢٠١١ م).
- ٥ - جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح، نشر دار السلام، القاهرة: (٢٠٠٩ م).

٦ - مبداء الحركة في الإسلام بين الثمر والضرر، نشر دار السلام القاهرة (٢٠٠٩م).

٧ - المجهود السياسي والحركة الإسلامية بفرنسا، دراسة في التدافع الاجتماعي، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠١٠م).

٨ - التطهية بحثا لتجديد الفكر من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠٠٩م).

٩ - فاضل الصلابة، كتاب في التكليفات الشرعية للصلابة، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠٠٩م).

١٠ - محاضرات الزكوة من الفقه إلى التوعية، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠٠٩م).

١١ - المصطفى الأسدي عند الشافعي (المروحة والكور)، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠١٠م).

١٢ - دفاع الورع، دراسة في المستطاعات الشرعية لكتابات رسائل ابن أبي عمير، نشر مركز الدراسات والبحوث بالبحر، بالقاهرة مع معهد الدراسات الشرعية بنسب، مطبعة نيل وأبيوف، (٢٠٠٩م).

١٣ - مفهوم التوبة، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠١١م).

١٤ - مبادئ التوبة في مسائل التوبة إلى الله، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠١١م).

- ومن الأعمال الأصيلة:

١ - نشر فريسات، رواية نشر دار النيل، بتطوان (٢٠٠٦م).

٢ - مقال الروح، نشر مشترك مع الناشر العربي، دار الفكر للنشر، مطبعة بني، مكاس، (١٩٩٧م).

٣ - دعوى الزكوة، طبع دار الفصح للتحقيق، منشورات الدفاع التتالي بالجزيرة (١٩٩٩م).

- ۱ - دیوان القصائد: شعر، نشر دار السلام القاهرة، (۱۳۹۶ م) .
- ۲ - کشف المحجوب: روایت، نشر دار السلام القاهرة، (۱۳۹۱ م) .
- ۳ - الواحد: شعر مطبوعه انجمن تشیع فارس، (۱۳۹۴ م) .